وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جمهورية العراق
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
قسم الدراسات القرآنية والفقه

المنظومة العاطفية في القرآن الكريم - دراسة تحليلية-

أطروحة مقدمة الى مجلس كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة في الشريعة والعلوم الإسلامية

كتبت من قبل الطالبة

شيماء ثابت ناصر

بإشراف

الاستاذ الدكتور صبحي العادلي

1444هـ 2023

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

صدق الله العلي العظيم

(سورة المائدة /54)

ترشيح أطروحة للطبع

نظرًا لإنجاز فصول ومباحث الأطروحة الموسومة بـ (**المنظومة العاطفية في القرآن الكريم – دراسة تحليلية**) لطالبة الدكتوراه (**شيماء ثابت ناصر**) فاني أرشحها للطبع .

التوقيع:

المشرف : صبيحة عودة محمد العادلي

مكان العمل: جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ١٧/٤/٢٠٢٢

إقرار المشرف

أشهد أن الأطروحة الموسومة بـ (**المنظومة العاطفية في القرآن الكريم- دراسة تحليلية**) التي قدمتها الطالبة (**شيماء ثابت ناصر**) قد تم إعدادها تحت إشرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة الشريعة والعلوم الاسلامية .

التوقيع:

المرتبة العلمية : استاذ دكتور

الإسم: حيدر عودة محمد العادلي

مكان العمل: جامعة كربلاء/كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ٢٠٢٢/٤/١٨

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الأطروحة للمناقشة.

التوقيع:

الاسم: أ.م. د. محمد ناظم محمد الجزائري

التاريخ: ٢٠٢٢/٤/١١

شهادة الخبير اللغوي

اطلعت على رسالة/أطروحة الطالب/ـــه ( ) الموسومة بـ (**المنظومة العاطفية في القرآن الكريم دراسة تحليلية**) وقومتها لغوياً وأجد أنها صالحة للمناقشة .

التوقيع:

المرتبة العلمية : استاذ مساعد دكتور

الاسم : محمد علي حمدان

مكان العمل : جامعة كربلاء / التربية للعلوم الصرفة

التأريخ:

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أننا اطلعنا على هذه الأطروحة الموسومة بـ (**المنظومة العاطفية في القرآن الكريم – دراسة تحليلية**) وناقشنا الطالب/ـة (**شيماء ثابت ناصر حسين**) في محتوياتها وفيما له علاقة بها ، ووجدنا بأنها جديرة بالقبول بتقدير(جيد جداً) لنيل درجة الدكتوراه فلسفة في الشريعة والعلوم الإسلامية.

أ.د. أمل سهيل عبد
كلية التربية المختلطة/ جامعة الكوفة
رئيساً

أ. د. سكينة عزيز عباس
كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بابل
عضواً

أ.د. بشرى حنون محسن
كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء
عضواً

أ.م.د. هدى عباس محسن
كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء
عضواً

أ.م.د.خضير جاسم حالوب
كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء
عضواً

أ.د. صبحي عوده العادلي
كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء
عضواً ومشرفاً

صدقت في عمادة كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

التوقيع:
الاسم: أ.د.ضرغام كريم كاظم الموسوي
العميد وكالة
التاريخ: 2023/6/25

الإهداء

الى.....من بعثه الله (ﷺ) رحمة للعالمين، الأسوة الحسنة في العواطف النبيلة وآله الطاهرين.

الى .....كربلاء عالم المعرفة والإبداع.

الى ..... والديَّ حفظمها الله .

الى ..... اخواني الأحباء وأختي الغالية.

الى ..... زوجي الذي رفع من همتي لإكمال الدراسة.

الى .....وحيدتي ابنتي الغالية رهف.

أهدي الجهد المتواضع هذا

شكر وامتنان :

شكرا لله تعالى على فضله وتوفيقه لإتمام هذا العمل .

وعرفاناً بحق الآخرين أسجل شكري وامتناني لهؤلاء المخلصين ، وأدعو الله (ﷻ) أن يوفقهم جميعاً، وأخص منهم الأستاذ الدكتور صبحي العادلي الذي عمل بإخلاص من أجل إثراء هذا البحث وإخراجه بأفضل صورة، أشكره على رعايته وسعة صدره وأخلاقه العالية.

الأستاذ الدكتور ضرغام كريم الموسوي، والأستاذ الدكتور محمد حسين عبود والدكتور خضير جاسم حالوب، وجميع أساتذتي في الكلية.

لجنة المناقشة التي ستشرفني بتقييم البحث ونقده، حتى يكون نافعاً لكل طالب علم، وسألتزم أن شاء الله بتوصياتهم وتوجيهاتهم.

أسرتي الحبيبة وجميع من أمدني بيد العون، سائلة المولى تعالى أن يجزيهم جميعاً خير الجزاء.

الخلاصة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين، لا سيما نبينا وسيدنا محمد وآله الطاهرين ومن سلك سبيله واهتدى بهداه الى يوم الدين .

إن العاطفة فطرة بشرية أودعها الله (ﷻ) في قلب الإنسان، إذ خلقه من قبضة من طين، ونفخ فيه من روحه، وجعل له عقلا وعاطفة، وأنزل له شرعا يوجه العاطفة ويحكم العقل، وإن الإنسان في حقيقته مجموعة من العواطف، بل هي الجزء المميز له، وأكثر معالم شخصيته ظهورا وأكثرها حضورا، فلها التأثير الشديد والبالغ على الذات، وباقي الجوانب المعنوية الأخرى في سلوكه.

تألفت اطروحة الباحثة التي حملت عنوان (المنظومة العاطفية في القرآن الكريم - دراسة تحليلية-)من مقدمة وأربعة فصول وعلى النحو الآتي:

كان الفصل الأول تمهيديا متحدثا عن التأصيل الموضوعي لمفردات العنوان وقد شمل ثلاثة مباحث (تعريف المنظومة و العاطفة لغة واصطلاحا، وعلاقة العاطفة بالعقل الانفعال، وأنواع العواطف ومنظومة الحب القلبي).وتضمن الفصل الثاني دراسة العاطفة المقدسة في القرآن الكريم وكان في ثلاثة مطالب(محبة الله عز وجل للعبد، ومحبة العبد لله تعالى، ومحبة العبد للرسول (صلى الله عليه آله)وأهل بيته (عليهم السلام).أما الفصل الثالث يتعلق بدراسة منهج القرآن الكريم في عرض العواطف الأسرية في القصص القرآني وقد شمل ثلاثة مطالب(عاطفة الأبوة والبنوة، وعاطفة الأمومة وعاطفة الأخوة).وتناول الفصل الرابع العواطف الإنسانية والاجتماعية في القرآن الكريم وتضمن مبحثين(العواطف الاجتماعية ومنها العاطفة تجاه اليتيم، والعاطفة في العلاقة الزوجية، والعاطفة تجاه غير المسلمين، والعواطف الانسانية كالعاطفة السياسية، والعاطفة تجاه الحيوان) ثم خاتمة بأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة وقائمة المصادر والمراجع. .

المحتويات

الآية الكريمة..... أ
الإهداء.....ب
شكر وامتنان.....ج
الخلاصة .....د
المحتويات.....هـ
*****
-
المقدمة..... 1-9
*****
الفصل الأول : التأصيل الموضوعي لمفردات عنوان البحث 10-57
المبحث الأول: تعريف المنظومة والعاطفة 10-15
المطلب الأول : المنظومة لغة واصطلاحا 10-12
المطلب الثاني :العاطفة لغة واصطلاحا.....12-15
المبحث الثاني : علاقة العاطفة بالعقل والانفعال.....15- 37
المطلب الأول: علاقة العاطفة بالعقل 15-25
المطلب الثاني : العلاقة بين العاطفة والانفعال.....25-35
المبحث الثالث: أوعية العاطفة ومنظومة الحب القلبي.....35- 57
المطلب الأول: أوعية العاطفة 35- 45
المطلب الثاني: أنواع العواطف..... 45-49
المطلب الثالث : منظومة الحب القلبي.....49-57
*****
الفصل الثاني: العاطفة المقدسة في القرآن الكريم.....58-110
المبحث الأول: محبة الله تعالى للعبد.....59 -81
المطلب الأول : الحب لغة واصطلاحا.....59-62

المحتويات

المطلب الثاني : المحبة عند علماء التفسير.....62 -68

المطلب الثالث: مظاهر حب الله تعالى للعبد.....68-72

المطلب الرابع : الأعمال المحبوبة والمبغوضة عند الله تعالى..... 73-82

المبحث الثاني : محبة العبد لله تعالى..... 82-100

المطلب الأول: مفهوم حب العبد لله تعالى.....83-89

المطلب الثاني: تجليات محبة العبد لله تعالى..... 89-96

المطلب الثالث : آثار حب الله تعالى في الدنيا والآخرة.....97-98

المطلب الرابع: مظاهر حب العبد لله (ﷻ) 98-100

المبحث الثالث: محبة الرسول الأكرم وأهل بيته (عليهم السلام).....101-110

المطلب الأول: محبة رسول الله (صلى الله عليه وآله).....101-107

المطلب الثاني: محبة آل بيت الرسول (عليهم السلام).....107-110

*****

الفصل الثالث : منهج القرآن الكريم في عرض العواطف الأسرية في القصص القرآني 111-181

المبحث الأول: عاطفة الأبوة والبنوة في القصص القرآني.....113-141

المطلب الأول: عاطفة أبوة نوح (عليه السلام).....114-118

المطلب الثاني : عاطفة أبوة يعقوب(عليه السلام).....118-128

المطلب الثالث: الجوانب العاطفية في وصايا لقمان 128-153

المطلب الرابع: عاطفة أبوة ابراهيم(عليه السلام).....135- 139

المطلب الخامس: عاطفة البنوة في القصص القرآني.....139-141

المبحث الثاني : عاطفة الأمومة في القصص القرآني..... 141-181

المطلب الأول: عاطفة أمّ موسى (عليها السلام).....142-150

المطلب الثاني: عاطفة أمّ مريم (عليها السلام)..... 150-157

المطلب الثالث : عاطفة أمّ عيسى (عليهما السلام).....157-161

المبحث الثالث: عاطفة الاخوة في القصص القرآني.....161-181

المحتويات

المطلب الأول: العاطفة بين هابيل وقابيل في القرآن الكريم.....161-166

المطلب الثاني: عاطفة أخوة يوسف(عليه السلام).....166-177

المطلب الثالث: عاطفة أخوة موسى(عليه السلام).....177-181

الفصل الرابع : العواطف الاجتماعية والإنسانية في القرآن الكريم 183- 246

المبحث الأول : العواطف الاجتماعية في القرآن الكريم.....183-225

المطلب الأول: العاطفة تجاه اليتيم 183-198

المطلب الثاني: العاطفة مع غير المسلمين 198-210

المطلب الثالث: العاطفة في العلاقة الزوجية.....210-225

المبحث الثاني: العواطف الإنسانية في القرآن الكريم 225-246

المطلب الأول: العاطفة السياسية في القرآن الكريم.....225-240

المطلب الثاني: العاطفة تجاه الحيوان.....240-246

*****

الخاتمة والنتائج 248-249

التوصيات.....249-250

المصادر والمراجع.....251-261

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي نزلّ الكتاب المكنون، وإذا قضى أمراً (إنما يقول له كن فيكون) وله كل من في الأرض والسماء قانتون، وأحسن خلقنا (من حمأ مسنون) وفصّلَ الآيات لقوم يتفكرون.

والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين، ولا سيما نبينا محمد المصطفى وآله الطيبين الهداة الميامين وبعد .

اعتنى الدين الإسلامي بمصالح الإنسان، وسعى في اصلاح جميع جوانب حياته فهو الدين الذي ارتضاه (ﷻ) للعباد، وهو منهج متكامل وصالح لكل زمان ومكان ومن هذه العناية اهتمامه بعواطف الناس، فقد تناولها في مناسبات عدة، وعني بها القرآن الكريم عناية خاصة.

إذ إن من الحقائق الواضحة والبينة، أن الله(ﷻ) أنزل القرآن الكريم على قلب نبيه تبيانا لكل شيء، ومن تمسك به هُدي الى الطريق المستقيم، فقد تناول الكتاب العظيم أمورا عدة، لها مساس مباشر بحياة الإنسان في مختلف مناحي الحياة، وعرضها بصورة كافية وشافية، لذا اخترت الخوض في غمار موضوع العواطف، إذ يتصل بسلوك الفرد وعلاقته بخالقه من جانب، وعلاقته بالآخرين من جانب آخر، وما له من أهمية كبيرة في الحياة.

فالمتأمل في الآيات الكريمة يجد أن الكثير منها يهتم بعاطفة الإنسان وأحاسيسه وميوله، ومختلف الجوانب النفسية الأخرى.

وتعد العواطف من أوضح معالم شخصية الإنسان ظهورا وأكثرها حضورا، فلها التأثير الشديد والبالغ على الذات، وباقي الجوانب المعنوية الأخرى في سلوك الفرد من خلال اتخاذ القرارات والمواقف والتعامل مع الأمور المختلفة، فكان لها دور

الحاكم والمقرر، فأثرت على تفكير أبناء المجتمع ليبتعد عن الموضوعية والعدل والانضباط في كثير من المواقف .

وفي المقابل يوجد فراغ عاطفي في جانب معين كان سببا لظهور مشاكل نفسية وأزمات سلوكية في المجتمع، وقد دُرست العاطفة على المستوى النفسي، وبأساليب علمية لم تراعَ فيها القيم الإسلامية، وابتعدت عن الواقع، بينما نجد نصوص الشريعة تعرضت كثيرا للعاطفة، وهذه النصوص بحاجة للاستقراء والدراسة وتفعيلها على مستوى الفرد والمجتمع.

لذا تختلف نظرية الشريعة الإسلامية في تناولها للعاطفة وكيفية تحديدها وأساليب ضبطها والتحكم بها، عن نظريات علم النفس.

وإن ما يذهب بالإنسان للبحث عن العواطف الصادقة، ومنها المحبة الخالصة والوداد والحنان في ظل العلاقات الإنسانية هو المحيط الجاف، والغلظة التي يتميز بها، والتي بسببها فُقدت الكثير من القيم الجميلة، ومن طبيعة النفس الإنسانية أنها تبحث عن الكمال والطمأنينة والاستقرار، لذا هي تسعى للخلاص من أي توتر نفسي أو أي نقص آخر.

ونحن نعيش في عصر تبدلت فيه مشاعر الناس واحاسيسهم وتقطعت بينهم سبل المودة، ونحن بحاجة الى عاطفة صادقة، تسير بجانب العقل والحكمة وتتوسطها الأخلاق، إذ خلق الله الإنسان وجعل له عقل يتفكر ويتدبر، وعاطفة تؤثر في أفكاره ودوافعه، وبين العقل والعاطفة جاءت الشريعة السماوية بأحكام موافقة للفطرة الإنسانية التي فطر الله سبحانه الناس عليها، توجه العقل وتهديه وتحكم العاطفة وتضبطها .

وعلى الرغم من أن القرآن الكريم أشار كثيرا الى العاطفة، وأن الإنسان في حقيقته هو مجموعة من العواطف، إلاّ اننا لم نجد من أفرد البحث عنها، بل وردت بعض الدراسات المختصرة، وكذلك بعض الجزئيات في بعض كتب التفسير الحديثة

فتناولتها الباحثة لدورها في بناء الذات الإنسانية وبناء الأسرة والمجتمع، وأهميتها في الإصلاح والتوجيه.

*****

مشكلة الدراسة

جاءت هذه الدراسة لتناقش مشكلات عدة وكان أبرزها ما يأتي:

1- ما هدف القرآن الكريم من ضبط عواطف الإنسان وتوجيهها.
2- بماذا يتميز منهج القرآن الكريم، وما خصائصه في تعزيز عواطف الإنسان الإيجابية، عن المناهج المادية الأخرى.
3- ما الأساليب التي اعتمدها القرآن الكريم من أجل الارتقاء بمشاعر الفرد وميوله وتنمية قدرة الجانب النفسي لديه.
4- مدى تأثير ما طرحه القرآن الكريم عن العواطف في المجتمع.

أهمية الموضوع

تتبين أهمية هذه الدراسة في تناول الآيات الكريمة التي تتعلق بالجانب النفسي للإنسان وعواطفه ومشاعره، وبيان أهميتها ودورها في حياته، ومحاولة استنباط طرق ووسائل تساعد الفرد على تحليلها وتوجيهها، واستكشاف الأسس والأصول التي عرضها القرآن الكريم في كيفية التعامل مع المشاعر والعواطف، والتخلص من كل ما هو سلبي، وارشاده الى أسلوب فاعل في الوصول الى السلوك المطلوب .

وكذلك إظهار أعجاز القرآن الكريم وعنايته بتفعيل جوانب حياة الإنسان بشكل عام والجانب النفسي على وجه خاص.

وتعلق الموضوع بالإنسان الذي يعد خليفة الله في الأرض، فعندما تكون عاطفته متفقة مع منهج القرآن الكريم يكون فرداً صالحاً وبصلاحه يصلح المجتمع بأكمله .

وتوجيه الإنسان نحو منهج الله تعالى المتجلي في كتابه ورسوله وأهل بيته (عليهم السلام)، وإبراز خصائص هذا المنهج القويم .

وتناول القرآن الكريم في آياته المباركة أجمل المعاني وأسمى المفاهيم لمشاعر الإنسان تظهر المعنى الحقيقي لمختلف العواطف التي يحملها

وتبين هذه الدراسة الصفات التي يحبها الله (ﷻ) لعباده والاقتداء بها واجتناب الصفات التي يبغضها الله صيانة للمجتمع من الضلال .

*****

الأسباب الداعية للدراسة

كان من أهم الأسباب التي دعت الباحثة الى ولوج غمار هذه الدراسة ما يلي :

1- إظهار عناية الشريعة الإسلامية بعواطف الإنسان ومشاعره وأحاسيسه كونها أعدل شريعة وأفضل منهج مَنّ به الله تعالى على البشرية.
2- إظهار حاجة الإنسان الى منهج عادل وقويم في تهذيب عواطفه وضبطها ولن يوجد أفضل من المنهج القرآني.
3- تأثر بعض الدراسات العربية بالثقافة المادية للغرب، والفرق الواضح بين منهجها ومنهج القرآن الكريم من الناحية العاطفية خصوصا .
4- رفد المكتبة الإسلامية بدراسة تحليلية تتناول موضوع العواطف من جوانب مختلفة.
5- بيان الاهتمام القرآني بالأسرة، من خلال الاهتمام بالأبناء والآباء والزوجة فهو يعرض عواطفهم وكيفية توجيهها والاعتبار منها.
6- إن التعامل مع غير المسلمين عن طريق العاطفة والعقل معاً وسيلة مهمة من وسائل الإقناع والعودة الى الحق.

7- غياب الفهم الصحيح لمعنى الحب ومصاديقه في حياة الفرد والمجتمع وغرس مفهومه الايجابي والمودة واللطف بين أفراده وحث المسلمين على نشر هذه المشاعر الجميلة.

*****

هدف الدراسة

إن الهدف من هذه الدراسة تقديم الآليات والوسائل التي اعتمدها القرآن الكريم في التعامل مع العواطف الإنسانية من استقراء الآيات وتحليلها، للمربين والمصلحين في المجتمع لتسهيل مهامهم في تربية الأجيال الحالية والقادمة، لبناء مجتمع إسلامي ويطبق المنهج الذي عرضه القرآن الكريم، وسار عليه محمد وآله (عليهم السلام) .

إذ إن توجه القرآن يسعى دائما الى بناء الإنسان من الداخل قلبه وميوله وارادته فإذا توازنت أحواله واستقر على الهدى واجه الأزمات والنوائب بكل أشكالها؛ لأن العواطف الإيجابية تصبغ الحياة باتساق وجداني جميل ونظام نحو هدف الذات الإنسانية، ولها دور مهم في كل تحركاته ودوافعه .

*****

المنهج المعتمد في الدراسة

كون الأطروحة تناولت أبعاد الإنسان النفسية العاطفية، ولكل منها منهج يناسبه، لذا اقتضت طبيعته اعتماد المنهج الوصفي التحليلي القائم على التفسير والاستنباط والنقد وتتبع أقوال المفسرين المختلفة فيما يخص الآيات المتعلقة بالعواطف من خلال التحليل والمقارنة وبيان وجه الاستدلال.

وحضر كذلك كل من المنهج الاستقرائي والمنهج المقارن، أما الاستقرائي كون القرآن الكريم منهج متكامل وشامل لجميع جوانب الحياة، لذا راعيت استقراء الآيات الكريمة التي تناولت العواطف في دلالة واضحة أو ضمنية، وأما المقارن

لبيان ما جاء به القرآن الكريم وما جاءت به المناهج الأخرى التي إن أنصفت جانب أهملت جوانب أخرى وغابت عنها.

*****

الدراسات السابقة

إن البعد المعرفي الذي تقوم عليه الدراسة هو الجانب النفسي بشكل عام وعواطف الإنسان ومشاعره وكيفية التعامل معها بشكل خاص، ولم تجد الباحثة بحدود اطلاعها وبعد البحث في المصادر المختلفة، دراسة أكاديمية تناولت المنظومة العاطفية في القرآن الكريم من جوانب عدة، وإنما وجدت الباحثة دراسات تناولت بعض الجوانب النفسية في الشخصية الإنسانية يمكن أن تكون دراسات سابقة للموضوع ومنها:

1- المنهاج القرآني في تقويم العاطفة تجاه الأهل والعشيرة، مال الله عبد الرحمن مال الله الجابر، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر،2017.
2- الحب في المنظور الإسلامي، رسالة ماجستير، ضياء محمد محمود المشهداني، جامعة بغداد ، العراق
3- العاطفة الأسرية في القرآن الكريم، محمود عايد عطية، أسماء إبراهيم أحمد، بحث منشور، كلية التربية للبنات، جامعة الموصل، العراق، 2020.
4- المحبة في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، دار الحديث، قم، إيران، ط4.

خطة البحث

اقتضت طبيعة الأطروحة أن يتكون من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة تضمنت أهم النتائج وبعدها المصادر والمراجع .

تناولت المقدمة أهمية الموضوع واسباب اختياره، وهدف البحث مروراً بالدراسات السابقة وإشكالية البحث، وصولاً الى أهم المناهج المعتمدة في البحث .

وأما الفصل الأول فقد تناول التأصيل الموضوعي لمفردات العنوان وبعض ما يتعلق به كعلاقة العاطفة بالعقل والانفعال وأنواع العواطف ومنظومة الحب القلبي

وجاء الفصل الثاني ليبحث العاطفة المقدسة في القرآن الكريم وقسم على ثلاثة مباحث هي :

المبحث الأول محبة الله (ﷻ) للعبد، والمبحث الثاني محبة العبد لله (ﷻ).

أما المبحث الثالث فكان محبة العبد للرسول وأهل بيته (عليهم السلام).

وبعد هذا الفصل الذي يعرض المحبة المتبادلة بين الله تعالى وبين العبد جاء الفصل الثالث ليعرض العواطف ضمن الأسرة فكان بعنوان (منهج القرآن الكريم في عرض العواطف الأسرية في القصص القرآني) وتناول نماذج من عواطف الأنبياء والصالحين إذ تمثل سيرتهم دروس وعبر للعواطف الجميلة ولتوضيح ذلك قسم الى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول/ عاطفة الأبوة والبنوة في القصص القرآني، والمبحث الثاني / عاطفة الأمومة في القصص القرآني، أما المبحث الثالث فكان عاطفة الأخوة في القصص القرآني.

أما الفصل الرابع : طرح العواطف الاجتماعية والإنسانية في القرآن الكريم وكان في مبحثين :

المبحث الأول / العواطف الاجتماعية في القرآن الكريم.

المبحث الثاني/ العواطف الإنسانية في القرآن الكريم.

ثم خاتمة ذكرت أهم نتائج البحث، تلتها قائمة بالمصادر والمراجع

وفي الختام فإن هذا البحث الذي تضمن جهدا قاصدتا به القرب لله تعالى وطالبتا لرضوانه، فإن أصبت ففضل ورحمة منه تعالى، وأن أخطأت فأسأل الله العفو والمغفرة، فقد حاولت قدر استطاعتي وأرجو أن يكون سبحانه حبيب قلوبنا والرفيق الدائم لنا، وأن يجد الإنسان فيه ما يعمق مشاعر الحب لديه ويغني عقله ويثري عواطفه، وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا على نعمه وفضله وكرمه.

الباحثة

الفصل الأول

التأصيل الموضوعي لمفردات العنوان

المبحث الأول: تعريف المنظمة والعاطفة

المبحث الثاني : علاقة العاطفة بالعقل والانفعال

المبحث الثالث: أوعية العاطفة ومنظومة الحب القلبي

الفصل الأول

التأصيل الموضوعي لمفردات عنوان البحث

يمثل هذا الفصل مدخل تعريف مفردات العنوان، لتتضح الدلالة عند المتلقي ولبيان الاصطلاح الذي تتبناه الدراسة، وعندئذ يكون البحث هنا متعرضاً لمصطلحين هما المنظومة والعاطفة.

المبحث الأول/ تعريف المنظومة والعاطفة:

يتضمن هذا المبحث بيان معنى كل من المنظومة والعاطفة:

المطلب الأول/ المنظومة لغة واصطلاحاً :

المنظومة لغة: اسم مفعول والمصدر نظام من الفعل (نظم) وتعني الاتساق والتأليف[1] ، وعرفها الجوهري " نظمت اللؤلؤ أي جمعته في سلك..... و النظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ"[2].

المنظومة اصطلاحا: لا يختلف معنى المنظومة في الاصطلاح عن المعنى اللغوي فهو يعني الترتيب والاتساق، وسميت منظومات الشعر بهذا الاسم لاتساقها في القافية، وترابط اجزائها[3].

وعُرفت المنظومة :بأنها مجموعة من العناصر المترابطة أو الأجزاء المتفاعلة، التي تعمل مشتركة معا من أجل تحقيق أهداف محدودة وغايات مشتركة[4] .

ولا يوصف أي مفهوم بالنظام الا إذا قامت علاقة تكامل بين مكوناته بحيث يتوقف أداء كل منها لوظيفته على طبيعة وظيفة الآخر[1].

---

[1] ينظر : لسان العرب : محمد بن مكرم بن علي الأنصاري(ت711هـ) ،دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان ط1، 1408هـ، 12 / 578 .

[2] الصحاح : اسماعيل بن حماد الجوهري(ت393هـ)، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط4، 1407هـ، 5 / 204 .

[3] ينظر : معجم اللغة العربية المعاصرة : أحمد مختار عبد الحميد، عالم الكتب، ط1429،1هـ، 1/ 2235 .

[4] ينظر: تعريف المنظومة والقضية والمشكلة : عائشة الفقيه ، بحث منشور، جامعة أم القرى، السعودية shsh2330.blogspot.com

والمحصلة إن المنظومة هي مجموعة من العلاقات المتفاعلة والمبادئ والمفاهيم والأفكار المنتظمة بشكل متسق والمرتبطة مع بعضها بعض، وتظهر على شكل نظام ويؤدي كل منها وظيفة معينة .

المطلب الثاني / العاطفة لغة واصطلاحاً:

العاطفة لغةً: عرفها الخليل بن أحمد الفراهيدي فقال: " عطفت الشيء أملته وانعطف الشيء انعاج وعطفت عليه : انصرفت وعطفت رأس الخشبة، اي لويت و قوله تعالى : ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ (سورة الحج/9) إذا أعرض عنك وجفاك " [2].

يبدو أن العطف عنده يدل على الميل نحو الشيء والتحول إليه ، و قال أيضاً : " عطف الله فلان على فلان عطفه "[3].

أي مال إليه بالبر والوصل وجعله شديد الميل إليه، ويقال : " عطف الله بقلب السلطان على رعيته إذ جعله عاطفاً رحيماً"[4].

أما ابن فارس فعرفها : (عطف) العين والطاء والفاء أصلا واحد صحيح يدل على انثناء وعياج، يقال عطفت الشيء إذا أملته، وانعطف إذا إنعاج، وتعطف بالرحمة تعطفاً ، وعطف الله تعالى فلان على فلان عطفاً ، والرجل يعطف الوسادة يثنيها عطفا اذا أرتفق بها"[5].

وقال الجوهري : " عطفت أي ملت ، وعطفت العود فانعطف ، وعطفت الوسادة : ثنيتها، وعطفت عليه أي أشفقت، يقال : ما تثنيني عليك عاطفة من رحم أو

---

(1) ينظر : الأسس المعرفية المعجمية العربية، قراءة في ضوء اللسانيات المعاصرة: لواء عبد الحسن اطروحة دكتوراه، كلية التربية – جامعة كربلاء، 2014، 39 .

(2) العين : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري(ت170هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ- 2003م، 2/ 17 .

(3)المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(4) تهذيب اللغة : محمد بن أحمد الأزهري الهروي(ت370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط2001،1م، 2/ 106

(5) معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، 1404هـ،4/ 351.

قرابة ، وتعطف عليه : أشفق، و تعاطفوا : عطف بعضهم على بعض ، والناقة العطوف : التي تعطف على فصيلها "[1].

وقال الزمخشري: "عطفت عليه عطوفاً، وعطف عليه عطفاً، وفلان أهل أن يعطف عليه ويتعطف، وخير الناس العَطّاف عليهم: العطوف على صغيرهم وكبيرهم"[2].

يبدو أن العاطفة في المعاني اللغوية المذكورة تشير الى إثارة الشفقة والرحمة والميل الى المحبة والبر والوصل.

أما العاطفة في الاصطلاح فهي " شعور أليم أو سار ثابت مستقر في أعماق النفس، حول شيء معين، كلما رأته العين أو سمعت به الأذن أو خطر على بال صاحبه ذلك الشعور السار أو المؤلم"[3].

هذا التعريف ناظر الى أصل العاطفة كونها مستقرة في أعماق النفس ، وبذلك أشار الى أحد أوعية العاطفة وهي النفس والقلب .

وعرفت بأنها " جملة انفعالات منسجمة حول موضوع واحد تنشأ، في نفس الفرد بعد تقدمه في النمو أو يكتسبها عن طريق الخبرة والتبصر بآثارها"[4].

ويرى مغنية " إن في داخل الإنسان العديد من العناصر والغرائز وهي بمجموعها على قسمين : عقلية فكرية وتسمى بالمنطق العقلي، وعن هذا المنطق يصدر العلم والمعرفة، والقسم الثاني عناصر قلبية عاطفية وتسمى بالمنطق العاطفي وعنه تصدر الشهوة والميول " [5].

---

[1] الصحاح : الجوهري 4/ 1405 .

[2] أساس البلاغة : أبو القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشري (ت538هـ)، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1419،1هـ-1998.1/ 662.

[3] مجلة الأزهر : مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، القاهرة – مصر، المجلد 20، 4 /372 .

[4] الذكاء العاطفي : دانييل جولمان، ترجمة : ليلى الجبالي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،1998، 9 .

[5] في ظلال نهج البلاغة : محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط3، 1979، 4/ 282 .

والعاطفة كما جاءت في كتب علم النفس :" استعداد انفعالي مفرد أو هي مجموعة منتظمة من الاستعدادات الموجهة صوب موضوع معين"[1].

وتعريف العاطفة في المنهج الأدبي " حالة شعورية في مقابل التصور الذي يحدثه الإحساس، فالحالة العاطفية هي حالة انفعالية، في مقابل الحالة التعقلية والفاعلة واللفظة تدل على الحب والصداقة والعطف وكل الإحساسات النابعة من أعماق النفس والمنبجسة من جذوره "[2].

والعاطفة " استعداد وجداني مكتسب ينشأ من تكرار المواقف الإنفعالية سواء كانت مواقف انفعالية سارة، أو مواقف انفعالية منفرة، أو مؤلمة مثل عاطفتي الحب والكراهية "[3].

كما تعني " تمركز الانفعالات حول موضوع واحد مع الاستعداد النفسي المسبق"[4].

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا مفهوم العاطفة كما في النقاط الآتية :

1- من خلال تتبع الباحثة لم تجد من المفسرين من عرف العاطفة تعريفاً اصطلاحياً، لذلك صار الاعتماد على مصادر علم النفس وبعض المصادر الأخرى
2- ورد في مجلة الأزهر بأن العاطفة هي شعور أليم أو سار ثابت مستقر في أعماق النفس حول شيء معين، كلما رأته العين أو سمعت به الأذن أو خطر على البال.
3- العاطفة صفة أصيلة في الإنسان، و فطرة فطرها الله وجزء لا يتجزأ منه فهي حالة شعورية تتصل به وتنبع من وجدانه، أودعها الله ﷻ فيه منذ

---

(1) المدخل الى علم النفس الحديث : ركس نايت ومرجريت نايت، دار الفارس، عمان، ط2، 1993، 272 .
(2) المعجم الأدبي : جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط2، 1984م، 167 -168 .
(3) علم النفس العام: خليل ميخائيل معوض، مركز الاسكندرية للكتاب ، مصر ط2، 2000، 106.
(4) النفس في دائرة الفكر الإسلامي: حقيقتها ودافعها انفعالاتها-عواطفها : أحمد القبانجي، دار المحجة البيضاء 2001م، 217 .

طفولته، وتكون حجر الأساس في تنظيمه وتوجيهه الأخلاقي والاجتماعي والإنساني فهي قاعدة لجميع العلاقات في المجتمع.

4- القرآن الكريم بوصفه دستور ينظم الحياة البشرية، كانت أحكامه متوافقة مع قدرات الإنسان وفطرته، فلم يترك هذه الصفة دون بيان، والإشارة إليها واضحة في القصص القرآني والآيات الكريمة بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

5- تمثل العواطف أبرز صفات الكمال للذات الإلهية، فمن اسمائه(ﷻ) اللطيف الودود الرحيم الحليم الرؤوف.

6- تكون العاطفة عند الإنسان عبارة عن مشاعر وأحاسيس تجعل منه يميل نحو موقف معين أو شخص معين، ويكون هذا الميل ناتج عن مثير ما، أما داخلي من نفس الإنسان أو مثير خارجي، أو هي استعداد تعنى برغبات وانفعالات ومشاعر الفرد فهي قوة محركة لسلوك الإنسان وتساعده في صياغة نظرته للحياة.

المبحث الثاني / علاقة العاطفة بالعقل والانفعال:

ينعقد هذا المبحث في مطلبين :

المطلب الأول / علاقة العاطفة بالعقل :

العقل والعاطفة قوتان متكاملان في طبيعة النفس البشرية في أغلب الأحيان وكمال الفرد في معرفة كيفية الموازنة بينهما فلا يزيد دور العقل أو ينقص، ولا يقدم العاطفة على حساب العقل، كما يكون دور العقل التحليل القائم على الدليل والمنطق ويتسم بالصلابة والقوة وينظر في الأمور على أساس معايير وحسابات.

بينما العاطفة دائماً ما تتصف بالرفق والرقة و" يلعب العقل دور الدليل والمرشد في ضمان سعادة الإنسان ولكن الطاقة المحركة له هي العواطف والمشاعر، والعقل في الحياة يشبه العدل في كونه ضروريا للمجتمع ولكن العدل

والعقل أمران صارمان لا يملكان مرونة وحنانا، أما اللحام الذي يربط بين أجزاء المجتمع ويوجد الحب والإخاء فهو العاطفة"[1] ولا غنى للإنسان عنهما فالعقل له دور التهذيب للعاطفة والعاطفة تلطف العقل، إذ بدونها تصيبه الغلظة والاضطراب وسعادة الإنسان متعلقة بهما، فلهما التأثير المباشر في إدارة شؤون حياته وتدبيرها.

ونجد الآية الكريمة تحذر النبي (صلى الله عليه وآله) من التجرد عن العاطفة قال تعالى :﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(سورة آل عمران /159) أي لو كنت " جافيا بين الخلق قاسي القلب غير رؤوف لتفرق أصحابك عنك ونفروا منك"[2].

والمجتمع دائماً بحاجة الى العطف والعفو واللين واللطف، وتعد العواطف النبيلة بلسم لجراحاتهم ومقوي لعزيمتهم واستعدادهم لتحمل المسؤولية ومواجهة المستقبل.

والآية صريحة في الإشارة الى دور العاطفة الى جانب العقل، فالقائد كما يجب أن تتوفر لديه القيادة الحكيمة، والتدبير الذي يعتمد على أسس عقلية رصينة، فهو بحاجة الى توفر صفة اللين والعفو، فإذا فقد القائد هذه الخصلة المهمة، وعامل الناس بالخشونة والقسوة، فلا ريب أنه يواجه الهزيمة في كل المشاريع والبرامج وتذهب جهوده أدراج الرياح، ويتركه من حوله فلا يقوم بمهامه ومسؤولياته[3].

لذا نجد أمير المؤمنين(عليه السلام) يقول في خطبته: " آلة الرئاسة سعة الصدر"[4].

([1]) الطفل بين الوراثة والتربية : محمد تقي فلسفي، تعريب : فاضل الحسيني الميلاني، بلا طبعة، بلا تاريخ، 174/1.

([2]) تفسير مقتنيات الدرر : مير علي الحائري الطهراني، تحقيق: محمد تقي الهاشمي، دار الكتاب الإسلامي، ط1، 1433هـ - 2012م، 2/ 383.

([3]) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الاعلمي للمنشورات، بيروت،- لبنان، ط1، 1428هـ-2007م، 2/ 457.

([4]) نهج البلاغة : الشريف الرضي، شرح: محمد عبده، منشورات الفجر، بيروت – لبنان، ط1، 1429هـ - 2008م،519/4، الحكمة 176.

ومع أهمية المشاورة في الإسلام وكونها تمثل قدرة فكرية ضرورية لتصريف الأمور، وركن أساسي في أي برنامج ينمي القوى العقلية والفكرية، نجد أن القرآن الكريم قدم اللين مع الناس والرحمة بهم، تلك الأحاسيس المستقرة في العاطفة على سنة المشاورة، التي هي أهم الأسس المنطقية العقلية .

أما وظيفة كل من العقل والعاطفة نجد أن " في النفس الإنسانية قوتان قوة تفكير وقوة وجدان، وحاجة كل واحدة منهما غير حاجة أختها، فأما أحدهما فتنقب عن الحق لمعرفته وعن الخير للعمل به، وأما الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من اللذة والألم، والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين ويطير الى نفسك بهذين الجناحين فيؤتيها حظها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معاً "[1].

وتقوى وتنمو أحدى القوتين و تضعف الأخرى بسبب مؤثرات عديدة منها ما هو نفسي في داخل الإنسان، ومنها ما هو خارجي أي من المحيط، فهناك بعض الأفراد لديهم قدرات عقلية متميزة، لكنهم من حيث العاطفة لا يمتلكون الحب واللطف والمودة مع الأخرين، وهناك من يكون ناجح عاطفيا وإن كانت قدراته العقلية بسيطة.

و" ما دام كل من العقل والعاطفة يشكلان شيئين متقابلين في الذات الإنسانية، فإنّ لنا أن نتصور وقوع نوع من الشد والجذب بينهما، ونوع من التأثير والتأثر، وهذا هو واقع الحال"[2].

والعاطفة قد تنشأ وتنمو نتيجة الاحتكاك بالآخرين، إذ تتكون لدينا خبرات واقعية عن الأشخاص فنحب كل من يمتلك صفات نبيلة وأخلاق سامية.

ومن المعروف إن العقل البشري يكشف الحقائق تدريجياً وليس دفعة واحدة وهذا يساعد على خلق حالة من التوازن بين العقل والعاطفة، فعن أمير المؤمنين علي بن

---

[1] النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: محمد عبد الله دراز، دار الغد الجديد، القاهرة – مصر، ط1، 1438هـ - 2017م، 109.

[2] الشاب بين العقل والعاطفة : محمد تقي فلسفي تعريب: نور الدين مير زادة، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، 664.

أبي طالب (عليه السلام) قال:" أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما "[1].

أي أن حكم العقل يتغير تجاه من أحببنا أو أبغضنا، فلا نقع في الحسرة والندامة تجاههم؛ لأن عواطفنا قد تتغير نتيجة الرؤيا الناقصة، ويمكن للإنسان أن يتحكم بعواطفه ويوجهها كيف يريد، فهي ليست أمراً مفروضاً عليه؛ لذا نجد أن الشريعة الإسلامية قدمت رؤية واضحة بشان علاقتنا بالعواطف فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[2].

وكل إنسان يستطيع أن ينمي ويوجه عاطفة الحب لديه حتى يحب للآخرين ما يحبه لنفسه قال تعالى :﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(سورة فصلت /34_35).

أي بمعنى " إن دفع السيئة بالحسنة منقبة عظمى، لا يتحلى بها إلاّ من صبر عند الشدائد، وكان وجيها عند الله "[3].

والذين صبروا قادرين من خلال الصبر الدفع بالتي هي أحسن وتحويل العواطف السلبية الى عواطف ايجابية، لذا على المسلم أن يخوض معركة حقيقية ضد العواطف السلبية، مثل الحقد والحسد والشح والأنانية، وكل ما يسبب خلل بتوازن شخصيته وكل ما يتعارض مع العقل ويسبب الفتنة بين الناس للتخلص من هذه السلبيات وينبغي أيضاً تهذيب النفس ومجاهدتها وجعلها متعلقة بالله تعالى، واكسابها عادات وصفات جيدة كالتواضع والقناعة والاستبشار والأمل.

---

[1] نهج البلاغة: الشريف الرضي 535/4، الحكمة 270.

[2] وسائل الشيعة الى تحصيل علوم مسائل الشريعة : الحر محمد بن الحسن العاملي، مؤسسة آل البيت ((عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، ط2، 1416، 12/ 206 .

[3] التفسير الكاشف : محمد جواد مغنية، دار الأنوار، بيروت- لبنان، ط4، 6/ 490.

قال تعالى : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(سورة الاعراف /199) ومتى ما تغلب الفرد على هوى نفسه ترتقي شخصيته بتجنب الرذائل النفسية والخلقية؛ لأن العقل هو الذي يقيم الحوادث باكتشافه للواقع، ويرسم رد فعل مناسب للمواقف، ويعد الخطط والبرامج ويعمل على ايجاد المنهج اللازم.

وللعواطف جانب حيوي كبير ومهم في حياتنا، فهي الركن الأساس في توازن الشخصية، ومع تضاؤل العاطفة لدى الإنسان فإنه فقد أداة التواصل بالمجتمع، ولا يمكن مواجهة الشدائد والمصائب والصمود في وجهها إذ يشكل " العقل كما تشكل العاطفة شيئين أساسيين في شخصية أي إنسان، لكن من الواضح أن العاطفة لدى المرأة غالبا أقوى منها لدى الرجل، كما إن المحاكمة العقلية لدى الرجل غالباً أقوى منها عند النساء هذا ما هو الذائع والمشهور، لكن من خلال خبرتي في الحياة وجدت أن الناس رجالا ونساء هم عاطفيون أولاً وثانياً عقلانيون "[1] .

و نلحظ بأن العقل عند الرجل في أقوى درجات كماله وقوته، والعاطفة عند المرأة في أقوى درجات كمالها، ولكن لا يستغني عقل الرجل عن العاطفة ولا عاطفة المرأة عن العقل إذ "توجد في باطن كل إنسان قوتان عظيمتان ومؤثرتان إحداهما قوة العقل والثانية قوة المشاعر وعندما يقال إن عوامل البلوغ تؤثر في الإنسان معنويا ونفسيا يعني ذلك أن العقل والعاطفة ينموان الى جانب سائر أعضاء الجسم"[2].

ولقد مَنّ الله(ﷻ) على الإنسان بأن رزقه سبيل السعادة والكمال اللائق من خلال العقل فعن أمير المؤمنين(عليه السلام) " كفاك من عقلك ما أوضح لك سبيل غيك من رشدك "[3] أي بين أمير المؤمنين (عليه السلام) وظيفة العقل وقيمته وهي تمييز طريق

---

[1] وجهتي في الحياة : عبد الكريم بكار، مكتبة مركز الراية، الرياض، ط1، 1428هـ - 2007م، 17.
[2] تشكيل عقلية اسلامية معاصرة : عبد الكريم بكار، دار الاعلام، عمان، ط3، 1432هـ - 2011م، 121.
[3] نهج البلاغة : الشريف الرضي 560/4، الحكمة 416.

السعادة والنجاة من طريق الضلال والشقاق، أي له دور المرشد للإنسان وسُئل(عليه السلام) عن صفة العاقل قال : " هو الذي يضع الشيء مواضعه " [1].

بمعنى أن الإنسان يقوم بمختلف الأعمال بإرشاد العقل وهدايته، وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لكل شيء مطية ومطية المرء العقل"[2].

إذ يتبين أن الحيوانات تعتمد الغريزة لتحقق غاياتها، أما الإنسان فمحركه لتحقيق أهدافه وتدبير شؤونه العقل ونظام حياته قائماً عليه، وقد أكد ذلك الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بقوله " قوام المرء عقله"[3].

وعن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)حديث عن العقل والعاقل مع هشام بن الحكم يذكر الفضائل للإنسان العاقل ومنها الحرية وحسن الاختيار بقوله : يا هشام إنّ الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(سورة الزمر/ 17 - 18)[4]، وهذا يعنيه ما عناه الإمام الصادق (عليه السلام)حينما قال:" إن الله خلق العقل، فقال له أقبل فأقبل، ثم قال أدبر فأدب، ثم قال له وعزتي وجلالي ما خلقت شيئاً أحب إلي منك، أياك أمر وإياك أنهي، وإياك اثيب وإياك اعاقب"[5].

و" يخوض الدماغ البشرى نزاعاً دائماً مع نفسه بين مركز العاطفة الذي يسعى إلى الإشباع الفوري، ومركز العقل الذي يسعى لتحقيق أهداف على المدى البعيد كما تشير دراسة اكتشف فيها الباحثون أن منطقتين في الدماغ تتنافسان للتحكم بسلوك

---

[1] المصدر نفسه 527/4، الحكمة 237.

[2] بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار: محمد باقر المجلسي(ت 1111هـ)،دار التعارف، للمطبوعات بيروت- لبنان،.32/1 .

[3] ميزان الحكمة : محمد الري شهري، دار الحديث، قم – ايران، ط1، 1422هـ، 3/ 2037 .

[4] وسائل الشيعة : العاملي 5/ 207 .

[5] بحار الأنوار : المجلسي 1/ 96.

شخص، على وشك اتخاذ قرار بين إشباع رغبات مباشرة وتحقيق أهداف بعيدة المدى"[1].

ومن تجربة علماء النفس تبيَّن لهم" أن القرارات المهمة المتعلقة بإمكانية تحقيق مكسب مباشر تنشط بصورة كثيفة في المناطق المرتبطة بالعواطف في الدماغ، وفي مقابل أن كل قرار يتعلق بخيار بعيد المدى ينشط مناطق في الدماغ مرتبطة بالتحليل غير المحسوس"[2].

وكثيراً ما تقودنا العواطف الى قرارات وتصرفات غير مدروسة وغير موفقة بدلاً من القرار القائم على البصيرة والتفكر والمعرفة وذلك؛ لأن العواطف ترتبط بالغرائز والانفعالات وعندما تسيطر على تفكير الإنسان وسلوكه فإنها تُغيب عقله.

ومثاله عاطفة امرأة العزيز تجاه النبي يوسف (عليه السلام)عندما سيطرت أحاسيسها ومشاعرها على عقلها، وفقدت توازنها مما سبب وقوعها في المحظور، وبتلك العاطفة المنحرفة حاولت اغواءه وأدخلته السجن قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(سورة يوسف/ 30).

حاولت احتواء يوسف بكل ما لديها من عاطفة وشهوة، في حركة يدعمها ضعفها الأنثوي الغريزي الذي لا يرتكز في الجانب الآخر من الشخصية على قاعدة من العقل والإيمان، اللذين يمكن لهما أن يحققا حالة من التوازن والانضباط [3].

لكن بسبب حبه الصادق لله (عز وجل)أبى واستعصم عن الرذائل قال تعالى : ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾(سورة يوسف/23).

([1])العاطفة كالماء : جاسم حسين المشرف، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط1، 2012، 107.

([2])المصدر نفسه 108.

([3]) تفسير من وحي القرآن :محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت – لبنان، ط2، 1419هـ - 1998م، 12/ 186.

قال محسن قراءتي في تفسير الآية:" إن أفضل أشكال التقوى هو أن لا يرتكب الإثم من أجل الحق، ومن أجل محبتنا لله تعالى وإحساسنا بلطفه، وليست التقوى أن نخاف الفضيحة في هذه الدنيا أو النار في الآخرة"[1].

وعليه فأن التفكير السليم دائماً يسعى للسيطرة على العاطفة المندفعة؛ لأن أي عاطفة جامحة تمثل عائقاً أمام سلامة التفكير، وكلما" اتجه الإنسان إلى العاطفة ابتعد عن الموضوع (العقل) وكلما اتجه الى الموضوع ابتعد عن العاطفة "[2].

وبذلك يتضح عدم إمكانية الاعتماد على العاطفة بصورة مستقلة في اتخاذ أي قرار أو معاملة، بل حتى في نظرتنا للآخرين، إذ ينبغي أن تتحرك العواطف في ظل القيم العليا والعقل، لذا نجد كل من يحكم عقله في حياته لا عاطفته وأفعاله يعرف بالاستقرار على المستويين الروحي والنفسي.

وهذا لا يعني أن يجرد الإنسان حياته من العواطف، وإنما يعمل على ضبطها في ظل العقل، وأن التفكير والعاطفة متلازمان، وللعقل دور الدليل والمرشد والضابط لهذا التلازم.

ومن ذلك نستنتج بأن التحكم المطلق للعاطفة في أي قرار دون الرجوع الى التفكير السليم الذي مصدره العقل السديد مصيره الفشل، إذ إن كثير من القرارات الاجتماعية انتهت بالانفصال، أو مشروع أو دراسة لم يستطع أصحابها الاستمرار بها وكثير من العلاقات الاجتماعية يصيبها الانحراف وذلك يرجع الى تحكيم العاطفة دون العقل " لنعطي العقل جرعة من العاطفة والعاطفة جرعة من العقل"[3]

ونوظف كل منهما في مجاله؛ لأن الله (ﷻ) خلق الإنسان وهيأ له كل ما يؤهله وييسر له طريق العبادة والتوحيد وخلق له العقل والعاطفة وأمره (ﷻ) بالتفكر والتعقل والتذكر والاتعاظ، ومن خطاب العقل الاستدلال بالأمور الغيبية قوله تعالى : ﴿وَهُوَ

([1]) تفسير النور: محسن قراءتي، دار المؤرخ العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1435هـ - 2014م، 4/ 179.

[2] دراسات في علم النفس : محمود البستاني 1 / 66 .

[3] من وحي القرآن : فضل الله 11 / 232 .

الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(سورة الروم/ 27).

أي إنكم" تعتقدون أن بداية الخلق من قبل الله، فعودة الخلق مرة أخرى أيسر وأهون من بداية الخلق "[1].

إذ يدل الاستدلال ببدء الخلق التي لا ينكرها أحد، على قدرته تعالى، أما خطاب العاطفة فمنه الجمع بين الترغيب والترهيب، ومما أعده الله (ﷻ) للسابقين في سورة الواقعة من متعة للعاطفة، وأيضاً خطاب القرآن الكريم للعقل والعاطفة معاً قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(سورة البقرة /216).

لذا على الإنسان " الاطمئنان الى حكمة التشريع الإلهي من خلال الحقيقة الإيمانية وهي أن الله هو الذي يعلم خفايا الأمور وبواطنها ونهاياتها، فلا بد من الثقة بالتشريع بأنه يختزن الخير كله للإنسان، بعيدا عن المشاعر والانفعالات الذاتية، التي يثيرها في النفس سلبا أو إيجابا"[2].

كما يأمر الله(ﷻ) بأن تعمل العاطفة بجانب أحكام العقل، حتى يصل الإنسان الى تكامله العقلي والعاطفي قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَايتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(سورة النحل /90) فالإحسان أحد محاور العاطفة، والعدل حكم العقل، وهو القانون الذي تدور حول محوره جميع الأنظمة في الكون، ولا يمكن لأي مجتمع أن ينشد السلام دون أن يكون العدل الأساس في كل مجالاته، ومع ما للعدل من قدرة وتأثير شديد في كل وقت في بناء المجتمع السليم، الا إنه ليس العامل الوحيد الذي يقوم بهذه الوظيفة؛ بل لابد أن تكون العاطفة جنباً الى جنب معه لذلك جاء الأمر بالإحسان بعدها مباشرة دون فاصلة.

([1]) الأمثل : الشيرازي 10/ 153.
([2]) من وحي القرآن : فضل الله 4/ 184.

وقد تحصل في حياة الإنسان حالة حاسمة لا يمكن حل مشكلاته باعتماد العدل فقط، وإنما يحتاج الى لطف وإيثار وعفو، وذلك يتحقق بالإحسان فعن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنّه قال : " العدل الأنصاف والاحسان التفضل" [1].

فالقرآن الكريم من خلال الآية الكريمة يقدم دستور عمل إسلامي متكامل في كل زمان ومكان يسير فيه العقل مع العاطفة جنباً الى جنب، وبذلك تصبح الدنيا عامرة وخالية من كل اضطراب وفساد وسوء.

وبذلك نصل الى حقيقة مهمة في الحياة، وهي إن سعادة الإنسان غير مرتبطة بالعقل فقط، بل هناك قوة أخرى وهي العاطفة، إذ تعمل كطاقة محركة للعقل الذي يؤدي وظيفة الإرشاد للإنسان، فيحتاج الحنان والمرونة واللين، وعليه تكون العاطفة رابطة بين أجزاء المجتمع، وهي منبع الحب والأخلاق والفضيلة.

وكل مشاعر الإيثار والحنان والشفقة والوفاء تنبع من العواطف للتغلب على العوائق والموانع، وكما يعمل الإنسان من أجل إدراك الحقائق العلمية والفكرية واحراز التقدم في كل مجالات الحياة، عليه أن يسعى ويعمل لتطهير نفسه واحياء انسانيته وإرضاء عواطفه بالفضائل والأخلاق؛ لأن كل امة تقوم على التعلم بدون الفضيلة لا تكون بمأمن من طوارق الهموم[2].

ولما كانت الفضائل ومكارم الأخلاق والسجايا العظيمة الطاهرة صفات الأنبياء والرسل (عليهم السلام) كانت ركيزة أساسية وسبباً مباشراً في نجاحهم وتأثيرهم في الأقوام والمجتمعات ونفوذ أفكارهم وتبليغاتهم الى العقول.

لذا نجد أنّ إعراض المجتمع اليوم عن التوفيق بين العقل والعاطفة، والتركيز على جانب واحد، ابتعاد عن السير الصحيح في التنمية الروحية وسببا لانتشار الفساد والانحراف.

---

[1] نهج البلاغة : الشريف الرضي 4/ 526، الحكمة 233.

[2] ينظر: العاطفة كالماء : المشرف 138.

في حين أن المجتمع السعيد الذي يحيى العقل والعاطفة معا ويصل الى التكامل والصلاح، إذ يسود فيه الحب والحنان، ويعيش في سعادة ورخاء يعتمد على موازنة دقيقة بين العقل والعاطفة، وأي خلل في هذه الموازنة يكون سبباً للاضطراب فالعاطفة مقترنة بالعقل والفكر والعقل مرتبط بالرقة واللطف.

وبذلك يكون العقل والعاطفة جانبين مهمين في الحياة الإنسانية وبينهما اختلاف واتفاق و نقاط التقاء وافتراق، وينبغي السعي الى إيجاد التوازن بينهما، وعدم تمييز أحدهما على الآخر ضرورة انسانية وحياتية، وتوازن شخصية الإنسان ما هو الاّ انعكاس للتوازن بين العقل والعاطفة، كما لا توصف أي شخصية بالنضج والاعتدال مع وجود خلل بالعلاقة بينهما.

المطلب الثاني / العلاقة بين العاطفة و الانفعال:

الانفعال في اللغة : الانفعالات جمع انفعال والانفعال مأخوذ من الفعل بمعنى تأثر وانفعال ومنفعل تأثر به انبساطاً وانقباضاً"[1].

وبين الأصفهاني معنى المنفعل بقوله : "والمنفعل إذا اعتبر قبول الفعل في نفسه..... لأن المنفعل يقال لما لا يقصد الفاعل الى إيجاده، وأن تولد منه كحمرة اللون من خجل يعتري من رؤية إنسان، والطرب الحاصل عن الغناء، وقيل لكل فعل انفعال الاّ للإبداع الذي هو من الله تعالى كذلك هو إيجاد من عدم "[2].

تعد دراسة الانفعالات من المراجع المهمة لتقسيم سلوك الإنسان النفسي، فهي مظهر من مظاهر تفاعل الفرد مع المحيط والمؤثرات من حوله، وتصدر من الإنسان في حالتي الألم والغضب والحزن، وحالة الفرح والسرور والانبساط، ويمكن البحث في المفاهيم النفسية ومنها الانفعالات من خلال عرضها في سور وآيات القرآن

---

(1) المعجم الوسيط : (مصطفى إبراهيم وآخرن)مجمع اللغة العربية بالقاهرة بلا طبعة ، مصر، بلا تاريخ 605.

(2) المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، قدم له: وائل أحمد عبد الرحمن المكتبة التوفيقية، مصر، بلا طبعة، بلا تاريخ، 384.

الكريم، لمعرفة حقيقة هذه النفس وليس فقط اعتماد نظريات علم النفس المتباينة أمثال نظرية فرويد[1]وغيرها.

قال تعالى:﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾(سورة الشمس /7 – 8) أي أن الله(ﷻ) ألهم النفس الإنسانية حقيقة الفجور والتقوى وخلق فيها" الاستعداد التام لعمل الخير والشر معاً، بحيث تكون قدرته على أحدهما مساوية لقدرته على الآخر ثم نهاه عن الشر وأمره بالخير"[2].

وبالنظر في القرآن الكريم نجد أن كلمة الانفعال لم ترد فيه، وإنما ورد ما يدل على معناها اللغوي، وهو ما تركته المؤثرات من تأثير على الأنبياء عليهم السلام أو غيرهم من الشخصيات التي جاء ذكرهم في قصص الكتاب الكريم، وعليه فالانفعال هو الأثر أو التأثر بفعل المؤثرات المختلفة[3].

أما الانفعال عند علماء النفس : من الطبيعي أن يتناول علماء النفس الانفعالات فهم المعنيون بوضع قواعدها وأسسها ونظرياتها، ولا يوجد تعريف متفق عليه لديهم

---

[1] نظرية فرويد تعني : إنّ حتمية البايولوجية المتمثلة في غريزتي الجنس والعدوان صلب نظرية فرويد ، إذ يرى أنهما مصدر الطاقة الديناميكية في الحياة النفسية ، وكما هو الحال في بقية اجزاء النظرية فقد مرت نظريته في الجنس في ثلاث مراحل كان أخرها اعتقاده بوجود دافعين متصارعين أحدهما هو الدافع نحو الحياة والآخر نحو الموت والدمار ، ويرتبط الأول بالحب والجنس الذي يبدأ مع بدايات الحياة ذلك انه الأساس في الحياة ويكون الجنس موجها نحو الذات وهذا يظهر في النرجسية في المراحل الأولى وقد تستمر في الحالات ، ثم يوجه نحو موضوعات خارجية ، والآخر يرتبط بالعدوان أو الدافع نحو الموت والموجه أساسا نحو الذات ثم الآخرين ، كما تناول فرويد بناءات الشخصية من جانبين، إذ تحدث عن البناءات من حيث أساس تكوينها ووظائفها وتشمل الهو ، والأنا ، والأنا العليا ، ثم تحدث عنها وعن محتواها من حيث مدى ارتباطها بالوعي فقسمها الى الشعور ، ما قبل الشعور ، واللاشعور

الهو : يولد الطفل مزودا به ويرتبط بالغرائز الأساسية وأهمها الجنس والعدوان ويسير وفقا لمبدأ اللذة بمعنى أنه يسعى للإشباع المباشر ويصارع لتحقيق ذلك .

الأنا : تنمو الأنا خلال مرحلة الرضاعة حيث ينفصل عن الهو كنتيجة للضغوط التي يفرضها الواقع على الفرد ويعمل الأنا من الناحية الوظيفية كوسيط بين الواقع ورغبات الهو ، حيث يسعى الى اشباع هذه الرغبات بطريق مشروع اجتماعيا

الأنا الأعلى : تنمو الأنا العليا في نهايات المرحلة الأوديبية ، وذلك كنتيجة للتوحد مع الوالد او الوالدة من نفس الجنس ، ويتم امتصاص القيم الوالدية حول ما هو مقبول أو غير مقبول ينظر : الأنا والهو : سيجموند فرويد ، ترجمة : محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ، ط4 ، 1402، 1982 33 -53 .

([2]) تفسير الكاشف : مغنية 7/ 270.

([3]) ينظر : الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم : إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى ، رسالة ماجستير، جامعة النجاح ، فلسطين، 11،2009

نظراً لاختلاف خصائص ووظائف ومكونات الانفعالات واختلاف نظرتهم للانفعال[1].

ومن هذه التعريفات " إنها حالة جسمية نفسية ثائرة، أو حالة من الاهتياج العام تفصح عن نفسها في شعور الفرد وجسمه وسلوكه، وله القدرة على حفزه على النشاط وبذا يكون الفزع والهلع من الانفعالات"[2].

وعُرفت الانفعالات أيضاً بأنها :" حالات داخلية تتصل بجوانب معرفية خاصة و

إحساسات وردود أفعال فسيولوجية وسلوك تعبيري معين " [3] أو أنها حالة وجدانية داخلية مفاجئة يصاحبها تغيرات فسيولوجية ونفسية معاً "[4].

يبدو أن التعريفات للانفعال تشترك في كونه حالة وجدانية داخلية متغيرة مؤثرة في سلوك الإنسان، تعتمد على أمور منها المثير أو السبب، فهي لا تظهر دون مسبب بل نجد عند كل انفعال مثير معين، وترتبط الانفعالات كذلك بالاستجابة وهي ردود الأفعال على الأسباب والمثيرات، وتكون الاستجابة مادية أي جسمية أو معنوية شعورية نفسية، وهي مختلفة من فرد لآخر فقد يكون رد فعل قوي ومركب ومعقد وهناك ردود بسيطة ضعيفة منخفضة متأثرة بعوامل مختلفة

ويعتني علم النفس بسلوك الكائن الآدمي في شتى مجالات نشاطه، بيد أن الزاوية التي يشدد عليها من مجالات النشاط تنحصر في العملية التالية الاستجابة حيال مثير معين، فعندما تواجه مثيراً هو الاساءة يكون الرد عليها هو الاستجابة يستوي في ذلك أن تكون الاستجابة صمتاً أو احساناً أو المقابلة بالمثل، فهذه العملية النفسية القائمة على الاستجابة قبال المثيرات تتناول جانبين من الشخصية وهم

---

(1) ينظر: سيكلوجية الدافعة والانفعال : محمد محمود بني يونس، دار المسرة، القاهرة، ط1،2009م، 828.

(2) اصول علم النفس : أحمد عزت راجح، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط7، 1968م، 122 .

(3) معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة : سميح عاطف الزين، دار الكتاب المصري، القاهرة،ط1، 1991م، 141 .

(4) سكيولوجية الدافعية والانفعالات : بني يونس 228 .

الادراكي مثل التفكير التخيل التذكر النسيان والجانب الوجداني مثل الإرادة الرغبة الانفعال..... الخ [1].

ولأن علم النفس يُعنى بدراسة مظاهر سلوك الإنسان في مختلف المجالات، وفي جميع مراحل الحياة، يبين أن سلوك الفرد له جوانب عدة جانب بدني وجانب نفسي وجانب عقلي وجميعها متلازمة مع بعضها ، فعند تفكير الإنسان بموضوع ما والتفكير من الوظائف الفكرية العقلية، قد يرافقه انفعال نفسي كالخوف والغضب أو السعادة وغيرها، فكلما تفاعل الإنسان مع بيئته ومحيطه بانت عليه مظاهر الانفعال.

كما تقسم الانفعالات باعتبارات متعددة من حيث تأثيرها على الكائن الحي وهي كالآتي:

أولا: انفعالات ايجابية أو سارة وهي الانفعالات الباعثة على السعادة والمنشطة للكائن الحي والمؤدية الى المتعة واللذة، ولها انعكاسات إيجابية على الصحة الجسمية والنفسية مثل الفرح والسرور.

وانفعالات سلبية أو غير سارة : وهي الانفعالات الباعثة على التعاسة وتعمل على الكبت وتؤدي الى المعاناة والألم كما تؤدي الى نتائج غير حميدة بالنسبة الى الصحة الجسمية والنفسية ومنها الخوف والغضب والذعر[2].

ثانيا / من حيث الشدة والقوة تنقسم الى قسمين : انفعالات قوية : وهي الانفعالات التي تعمل على زيادة النشاط والطاقة والحيوية والحماس كما تعمل على زيادة ضربات القلب وضغط الدم.

انفعالات ضعيفة : وهي الانفعالات التي تكون في شدتها ضعيفة وتعمل على التقليل من النشاط والحيوية، ومن هذه الانفعالات الحزن والحنين والضجر.

---

[1] ينظر : دراسات في علم النفس : محمود البستاني، دار البلاغة، ط4، 2010م، 1/ 7 .

[2] ينظر: سيكولوجية الدافعية والانفعالات : بني يونس 239.

ثالثا / من حيث بساطتها وتعقيدها تنقسم الى قسمين : انفعالات سفلى بسيطة وانفعالات عليا معقدة [1].

وورد أيضاً تقسيمها الى قسمين أحدهما: هو تصريح الفرد عن الحالات الشعورية وثانيهما: يشمل ردود الفعل الجسمية الداخلية والحالات اللاشعورية للشخصية ذاتها[2].

وقد وردت هذه التقسيمات من الانفعالات في القرآن الكريم، ومنها تبسم سليمان(عليه السلام) عند سماعه حديث النملة[3] في قوله تعالى :﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا ايهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾(سورة النمل/ 18- 19).

وقد كان تبسم سليمان(عليه السلام) رد فعل واستجابة لمثير معين، وهو تحذير النملة لأصحابها من التحطيم والأذى قال الشيرازي: " كان ضحك سليمان سروراً منه بأن عرف أن النمل تعترف بقواه وعدالته وتقوى جنوده وعدالتهم، وقال بعضهم كان ضحكه وتبسمه؛ لأن الله أعطاه هذه القدرة وهي أنه برغم جلجلة جيشه ولجبه، فإنّه التفت الى صوت النملة مخاطبة بقية النمل فلم يغفل عنها"[4].

وعلى كل حال مهما كان سبب تبسم سليمان(عليه السلام)فقد كان نتيجة مسبب معين .

وكذلك من أنواع الانفعالات ردة فعل موسى (عليه السلام)الشديدة وأسفه تجاه عبادة العجل عند عودته من الميقات، فكان لردة فعله هنا دور مهم في إيقاظ هذه الجماعة من ظلال السامري قال تعالى :﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا

([1]) ينظر: المصدر نفسه 240.

(2) ينظر: علم النفس الاكلينيكي : محمد جاسم محمد، مكتبة دار الثقافة للنشر ، عمان، ط1، 2004، 340.

([3]) ينظر : الانفعالات النفسية عند الأنبياء : مصطفى 15.

([4]) الامثل : الشيرازي 9 / 424 .

خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(سورة الاعراف/ 150).

والأسف كما ذكر الراغب الأصفهاني في مفرداته :" الحزن والغضب معاً، وقد قال لكل واحد منهما على الانفراد، وسُئل ابن عباس عن الحزن والغضب فقال مخرجهما واحد واللفظ مختلف، فمن نازع من يقوى عليه أظهره غيضاً وغضبا، ومن نازع من لا يقوى عليه أظهره حزناً وجزعاً، وفسر كثير من اللغويين الأسف بالغضب أو جعلوها جزء منه مع أنهما غير متلازمين لما رجع موسى الى قومه غضبان إسفا أي غاضبا متحسراً لما حدث "[1].

نلاحظ إن معنى الأسف عند الراغب الأصفهاني هو الحزن المقرون بالغضب، فإذا نازع الإنسان من هو أعلى منه ولا يستطيع مقابلته يكون ظهور حزنه، وإذا نازع من هو أدنى منه تكون رده فعله غضبا.

فكان تمرد بني اسرائيل واتباعهم السامري وعبادتهم العجل سبب؛ لأن تكون رده فعل موسى (عليه السلام) بالحد الأعلى من الغضب والحزن العميق؛ لأن إفساد القوم سهل المنال فكان لابد من إثارة أفكارهم النائمة.

وقد استعرض القرآن الكريم قوة غضب موسى و حزنه العميق بمظاهر عدة منها إلقاء الألواح، وتوجهه الى أخيه هارون وجره من رأسه ولحيته، ولومه بشدة إذ لابد للمرء أن يظهر حميته الدينية إزاء الانحرافات الفكرية والعقدية، من أجل إحداث هزة في المجتمع الفاسد لابد من حركة توبيخ تظل حية في الذاكرة، وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره[2] ورد في نهج البلاغة أن الإمام علي(عليه السلام)عندما

---

[1] المفردات في غريب القرآن : الاصفهاني 61 .

[2] ينظر : الأمثل : الشيرازي 4/ 518.

كان يريد لفت انتباه المجتمع لخطبته كان يضرب على وجهه الشريف ثم "ضرب على لحيته الكريمة" [1].

كما ينبغي أن يكون التعاون ودياً وعاطفياً في ازاء غضب الآخرين، نلاحظ أنّ هارون ينادي موسى ابن أمِّ على الرغم من أنهما من ام واحدة وأب واحد[2].

وعليه فإنّ انزعاج موسى(عليه السلام) الشديد كان لِلفت انتباه بني اسرائيل، فكان عمل ضروري لينبههم الى قبح عملهم وبذلك طلبوا العفو من الله(عز وجل) .

وعادة ما يكون الانفعال تعبير عن اضطراب ناتج عن خطر مفاجئ يهدد التوافق بين الفرد وبيئته، إذ كانت حياته هادئة منتظمة فينشأ رد فعل معين لمواجهة الخطر إذن عندما يتعرض الفرد لمثير معين فيصدر استجابة تجاه ذلك المثير وقد تكون سارة أو غير سارة.

كما إن للانفعالات وظائف وادواراً مهمة منها تحديد مسار حياة الإنسان والمجتمع "فبفضل الانفعالات نفهم بعضنا بعض بصورة أحسن، كما أننا نستطيع وبدون استخدام الكلام أن نحكم على حالات بعضنا للتكيف الأمثل للعمل الجماعي والتواصل على أكمل وجه، والحقيقة الممتعة في هذا الخصوص أن الأفراد المنتمين الى ثقافات مختلفة، يستطيعون استقبال وتقييم تعابير الوجه البشري بدون أي اخطاء كما أنهم يتمكنون من تحديد الحالات الانفعالية الفرح والحزن والغضب والخوف والتعجب والاشمئزاز من خلال تعابير الوجه "[3].

وفي الجانب الاجتماعي فإنّ " الانفعالات تؤدي وظيفة مهمة في تسهيل التواصل الاجتماعي بين الأفراد، فالانفعالات السارة تبعث على السرور والابتهاج وتجديد الأمل وتوطيد أواصر العلاقات الاجتماعية، أما الانفعالات غير السارة فتعمل على الانسحاب والهرب أو التهيؤ وإعادة الأمل، وللانفعالات دور مهم في إيصال

---

[1] نهج البلاغة : الشريف الرضي ، 2/ 282 ، الخطبة 182 .
[2] ينظر: تفسير النور : قراءتي 3/ 166 .
[3] مبادئ علم النفس : محمد بني يونس، دار الشروق، عمان – الأردن،ط2، 2004، 167 .

مشاعرنا للآخرين وتحقيق دوافع السلوك والتقدير العقلاني لمدى ملائمة هذا السلوك لنا "[1].

الفروقات بين العاطفة والانفعال

من خلال الدراسة يتبين أن هناك فروقات عديدة بين الانفعال والعاطفة ويمكن عدها كما يلي :

1- الانفعال تجربة عابرة بينما العاطفة نزعة تكتسب بالتدريج عن طريق التجارب الوجدانية، أو بمعنى آخر أن الانفعال استجابة لموقف معين، بينما العاطفة استعداد للقيام بنوع من الاستجابات وفقاً للحالة الشعورية الراهنة ولطبيعة الموقف الخارجي فالحقد مثلا عاطفة أو عقدة ناشئة عن الغضب ولكنها تبدو أكثر تعقيداً من الانفعال وسبب ذلك أنها تنشأ حيث يلزم الإنسان كظم غيظه لعجزه عن التشفي في الحال [2].
2- ومن الفروق بين العاطفة والانفعال السلوك الظاهري، أي تظهر الانفعالات على شكل إيماءات وحركات واشارات، أو تظهر من خلال تعبيرات فسيولوجية احمرار الوجه واتساع حدقة العينين وزيادة ضربات القلب، أو ارتفاع ضغط الدم وقد تتأثر الانفعالات من العوامل الوراثية أي بالبناء العضلي والعصبي أو من خلال التعلم الذي يعد من العوامل المؤثرة في الانفعالات " ويظهر أثره في اكتساب الطفل التعبيرات الانفعالية التي يتعلمها من بيئته التي يعيش فيها من خلال المحاكاة التي تقوم بدور كبير في اكتساب الطفل للاستجابات الانفعالية حيث يبدأ في محاكاة الآخرين بعد سن

---

[1] الانفعالات نموها وادارتها : راهبة عباس العادلي، دار الكتب والوثائق، بغداد –العراق، ط1، 2010م، 27 بتصرف .

[2] ينظر : الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص : عبد الكريم العثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1401هـ - 1981، 267 .

السنتين ثم الفهم الذي يعني إدراك المواقف التي يحتمل أن تثير استجابة انفعالية لدى الفرد"[1].

3- ومن الفروق الأخرى بين العاطفة والانفعال تتميز العاطفة بالثبات، بخلاف الانفعال حالة نسبية متغيرة طارئة تكون استجابة لمثير خاص، أما العاطفة استعداد أو استجابة للحالة الوجدانية الشعورية الحاضرة في نفس الفرد، يتسم الانفعال بالاستثارة والتوتر والرغبة فأي سلوك ينتج عن الانفعال يتصف بالحركة والاضطراب وتكون صادقة وقوية، وقد " كشفت الدراسات الحديثة عن العلاقة الوثيقة بين الانفعال ومستوى الفرد الاجتماعي والثقافي، فالأفراد القادمون من بيئات فقيرة اقتصادياً ونالوا قسطاً غير وافي من التعليم يميلون للانفعال عندما يعبرون عن مشاعرهم" [2].

وكذلك توجيه تفكير الإنسان وسلوكه لهما الأثر البالغ على ادراكه، وتتفق الانفعالات والعواطف في المواقف العديدة فالحنين يرافقه الحب، والبغض يرافقه الكره ويمكن التنبؤ بسلوك الإنسان بالاعتماد على العاطفة، فبالنظر الى الأمومة نتمكن من ملاحظة سلوك الأم.

4- تتميز العواطف كونها هادئة معتدلة بخلاف الانفعال المعروف بالهيجان، وقد تكون مسيطرة على العواطف الباقية وتحرك الفرد في سلوكه ومشاعره وتجعله منقادا لها لا يستطيع مقاومتها، فالعاطفة استعداد يكسبه الفرد في موقف معين والعواطف تتطور بمرور الوقت ونمو الإنسان كما " تنتقل العواطف من موضوع الى آخر ومن مرحلة الى أخرى في حياة الإنسان، وذلك عن طريق التلازم والتشابه.....كما تلعب دور الدوافع في توجيه سلوك الإنسان إذ أنها أهم عناصر الشخصية؛ لأنها تحدد اتجاه المرء

---

(1) احياء علوم الدين : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي(ت505هـ)، دار المعرفة، بيروت – لبنان،ط2، 1963، 28/3 .

(2) الذكاء العاطفي في القرآن الكريم دراسة موضوعية : يسرى أبراهيم الر فاعي أبو الحسن ، رسالة ماجستير، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا، كولالمبور، 2013، 78.

وسلوكه، وتجعل له وحدة ونظاماً فشخصية الإنسان تتلون بتلون العاطفة، وتظهر أكثر العواطف قوة وضعفاً حين تتغلب عاطفة ما على شخصية الإنسان فتصبح هي السائدة " [1].

كما يمكن فهم الانفعالات من خلال دراستها، وتكون تصور عام عنها وتختلف الانفعالات من شخص لآخر " فهي تختلف باختلاف الأفراد، وظروف البيئة والأوضاع التي يعيشها كل منهم، فلو أجري اختبار نفس الانفعال على بضعة أشخاص لتبين لنا إن ردود الفعل الفسيولوجية تأتي مختلفة ومتنوعة وما ذلك إلاّ أن الانفعالات إنما ترتبط بمكونات فسيولوجية وادراكية ومعرفية وسلوكية خاصة بكل فرد وأن كانت هذه العناصر تتفاعل مع بعضها بعض في الذات الواحدة[2].

وتأسيساً على ما تقدم يظهر أن جوهر العواطف هو الميل والتأثر بالتفكر والتأمل والتجربة، فكلما ازدادت خبرات الإنسان تبلورت عاطفته أكثر، فميل الفرد الى الجماعة يعد قاعدة لعواطف الصداقة، وتسعى العواطف من الوصول الى النضج وتبحث عن الاستقرار بخلاف الانفعالات، فالعاطفة تنمو كباقي جوانب النفس الإنسانية، وللبيئة أثرها في تكوين العواطف ونشأتها كالوالدين والأخوة والأخوات والمعلم والقادة، كما تتأثر أيضاً بالقيم ومبادئ المجتمعات، وللعوامل الشخصية دور في إيجاد العاطفة الفردية وتوجيهها مثل حياة الطفولة وخبراتها سواء كانت إيجابية أو سلبية، فهي قوة محركة للسلوك ومنشطة للفعاليات من أجل إرضاء لذاتها من الفرح أو القلق أو الألم، وكذلك لثقافة الفرد ومعرفته أثر في تكوين العواطف وتفاوتها، فهي أحد ضوابط السلوك وتكسب الفرد الثبات والاستقرار وتكون أكثر هدوء من الانفعال.

وللشريعة السمحاء دور كبير في توجيه عاطفة الإنسان نحو ما هو مفيد ومعتدل وجعلها جديرة بهذا الإنسان المكرم من الله ﷻ فالحب لله والرسول وأهل بيته (عليهم

---

[1] الدراسات النفسية عند المسلمين وبوجه خاص عند الغزالي : عبد الكريم العثمان 267 .

[2] معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة : سميح الزين 142.

الصلاة والسلام) والمودة الخالصة تعد من أقدس العواطف؛ لأنهم المستحقين لها والخالق (ﷻ) هو المتفضل علينا بكل شيء والرسول الأعظم وأهل بيته (عليهم السلام) هم باب الهداية لله ﷻ قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(سورة التوبة /24).

وفي ضوء ما تقدم اتضح أن الصلة بين العاطفة والانفعال متينة ومتداخلة لدرجة أن بعض علماء النفس لا يميزون بينهما، وهما متعلقان بالجوانب الوجدانية في حياة الإنسان.

المبحث الثالث/ أوعية العاطفة ومنظومة الحب القلبي:

يتضمن هذا المبحث ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أوعية العاطفة :

تتألف أوعية العاطفة من ركنين وهما القلب والنفس :

أولاً : القلب

يعرف القلب بأنه " لطيفة ربانية روحانية لها تعلق بهذا الجسماني، وهذه اللطيفة هي حقيقة الإنسان، وهي المدرك والعالم والعارف، وهو المخاطب والمعاتب والمطالب"[1]

ويعني أيضا " منشأ التجليات الروحية والنفسية من الرغبة والحب والتمني والانفعال "[2].

([1]) إحياء علوم الدين : أبي حامد محمد بن محمد الغزالي(ت505هـ) دار المعرفة، بيروت – لبنان،ط2، 1963،877.

([2]) العقل والقلب : مركز نون للتأليف والترجمة، جمعية المعارف الإسلامية، ط2، 2007، 62.

ويعد القلب محل إثارة العواطف ومكمن للمشاعر والأحاسيس كالحنين والمحبة تجاه شخص معين، أو موقف معين، ومنبع الإيمان والكفر، وقد أشار الى ذلك القرآن الكريم بقوله"﴿ وقالوا قلوبنا غلف﴾(سورة البقرة/ 88) أي لا تسمع ولا تعي ولا تتأثر فهي صلدة كالحجارة أو أشد قسوة بسبب كفرهم وتماديهم في الغي والضلال[1].

ونحو ذلك قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾(سورة فصلت /5) أي " مغشّاة بأغطية خلقية لا يصل إليها ما جاء به محمد ولا تفهمه، وغلف مستعار من الأغلف الذي لم يثخن "[2] فكان الرد عليهم﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(سورة النساء /155) "يؤكد القرآن الكريم هنا أن قلوب هؤلاء مختومة لا ينفذ إليها أي حق بسبب كفرهم"[3] وقال تعالى:﴿ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾(سورة البقرة /88).

يقول المراغي : " أي ليس الأمر كما يدعون، بل قلوبهم خلقت مستعدة بحسب الفطرة، للنظر الذي يوصل الى الحق، لكن الله سبحانه أبعدهم من رحمته، بسبب كفرهم بالأنبياء السابقين وبالكتاب الذي تركوا العمل به، وحرفوه اتباعا لأهوائهم"[4]. فإنّ قلوبهم ليست غلف بطبيعتها بل ظلالهم وغيهم جعلها قاسية صلدة مغشياً عليها "فالقلب ليس مفطوراً على نوع واحد من السلوك، كذلك القلوب نسبية متفاوتة في درجة التلقي، وفهم المعارف الخارجية في الإنسان، والقلب مركز لتلقي المعارف وأن اختلفت، ويستقر فيه الأضداد كالإيمان والكفر وينتهي في آخر الأمر أحد المعاني في القلب "[5].

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشد قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا

(1) ينظر : التفسير الكاشف : مغنية 2/ 484.
(2) زبدة التفاسير: فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشاني (ت998هـ)، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم إيران،ط1، 1433هـ، 1/ 187.
(3) الأمثل : الشيرازي 3/ 361.
(4) تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي، دار احياء التراث، بيروت_ لبنان، ط2، 1985، 1/ 166 .
(5) الدراسات النفسية عند المسلمين وبوجه خاص عند الغزالي : العثمان 58.

يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(سورة البقرة/ 74) أي أن قلوبهم صلبة ويابسة، ومستكبرة عن الحق " والحجارة التي يقيس قلوبهم إليها، فإذا قلوبهم منها أجدب وأقسى، هي حجارة لهم بها سابق عهد، فقد رأوا الحجر تتفجر منه اثنتا عشرة عيناً، ورأوا الجبل يندك حين تجلى عليه الله (ﷻ) وخر موسى صعقا ولكن قلوبهم لا تلين ولا تندى ولا تنبض بخشية ولا تقوى، قلوب قاسية مجدبة كافرة "[1].

وكذلك يكون القلب موطن الخوف من الله قال تعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾(سورة الأنفال/ 2) وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾(سورة المؤمنون /60) " (الوجل) حالة الخوف التي تنتاب الإنسان وهو ناشئ عن أحد الأمرين : فقد ينشأ عند أدراك المسؤولية واحتمال عدم القيام بالوظائف اللازمة التي ينبغي على الإنسان اداؤها بأكمل وجه امتثالاً لأمر الله تعالى، وقد ينشأ عند ادراك عظمة مقام الله والتوجه الى وجوده المطلق الذي لا نهاية له "[2].

وهذا يبين إن محل الشعور والميل والإحساس إنما هو القلب، فهو القوة التي تتحرك وتتفاعل عند قراءة القرآن الكريم، الذي تقشعر له الأبدان، وتلين له القلوب لإعجازه ونظمه وبيانه.

وصور القرآن الكريم القلوب القاسية قال تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾(سورة البقرة /74) فقد امتنعت قلوبهم عن قبول الحق وصارت كالحجارة في صلابتها أو أشد منها، وأصبحت بفقد تأثرها بالآيات وتفاعلها بالمواعظ كأنها جمادات[3].

وقوله تعالى:﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(سورة الزمر /22) وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾(سورة المائدة /13) والقلوب القاسية هي قلوب صلبة غليظة لا تنفعل

---

[1] في ظلال القرآن : سيد قطب، دار الشرق، القاهرة، ط9، 1400هـ - 1980م، 1/ 80.

[2] الامثل : الشيرازي 5 / 14 .

[3] ينظر : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط10 1430هـ - 2009م،212/1.

عن الآيات والنذر، ولا تخضع للحق ولا تتأثر برحمته (ﷻ) فهم قد انهمكوا في الطغيان والكفر والمعاصي، فأثر ذلك في نفوسهم فأبعدهم عن الرحمة الإلهية وقست قلوبهم فلا تؤثر فيها حجة ولا موعظة [1].

وتبين الآية الكريمة بأن" موضع الجهل والغفلة هو القلب فوجب أن يكون موضع العقل والفهم أيضاً هو القلب "[2].

ولما كان القلب هو المدرك نجده يذهب باتجاه وجهة واحدة، تبعاً لموانع عديدة والتي يعبر عنها بالختم والطبع، التي تشير الى انعدام الإدراك والفهم وإنّ منشأ الانحراف من القلب، وبين القرآن الكريم أن القلب مركز العواطف ومكان للانفعالات كالخوف والرعب قال تعالى :﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أهل الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾(سورة الاحزاب/ 26) أي ألقى في قلوب بني قريضة الخوف من النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه المؤمنين[3].

وكذلك منطلق الألفة من القلب قال تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(سورة آل عمران / 103).

---

(1) ينظر :مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، نكين، قم – ايران،ط3، 1431هـ - 2010م، 11/ 79 ، تفسير الأصفى: محمد محسن الفيض الكاشاني (ت1091هـ)، مركز العلوم والثقافة الإسلامية ، قم، إيران، بلا طبعة، 1429هـ، 1/ 267.

(2) مفاتح الغيب : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسن التيمي البكري الرازي(ت 606هـ)، دار الفكر، ط1، 1401هـ - 1981م 24 / 531 .

(3) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن: أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548هـ)، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط2، 1425هـ، 8/ 145 / الميزان في تفسيرالقرآن : محمد حسين الطباطبائي (ت 1402هـ)، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، 1417هـ - 1997هـ، 16/ 235.

قال سيد قطب : " والنص القرآني يعمد الى مكمن المشاعر والروابط (القلب) فلا يقول: فألف بينكم إنما ينفذ الى المكمن العميق (فألف بين قلوبكم) فيصور القلوب حزمة مؤلفة متآلفة بيد الله وعلى عهده وميثاقه"[1].

وكذلك يكون القلب موطن الإيمان قال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمان وَايدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(سورة المجادلة /22)أي " ثبته فيها حتى كأنه طبعت عليه وأيدهم بالتوفيق لكل خير، وبالحجج البالغة والبراهين القاطعة، ومرضاة الله وحدها هي الصلاح والفلاح"[2] قال تعالى:﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾(سورة التوبة/77) ومستقر الأمراض النفسية الباطنية قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾(سورة البقرة /10).

قال السبزواري في تفسير الآية : " المراد بالقلب في الآيات المباركة منشأ الفهم والإدراكات فينطبق عليه النفس والروح والعقل أيضاً، والمرض هو الخروج عن الاعتدال سواء كان في الجسم أو في القلب، والمراد بمرضها ضعف إدراكاتها وعدم تعقلها للدين وأسراره"[3].

وفيه الانكار والاستكبار قال تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾(سورة النحل /22) الذين لا يؤمنون بالإله الواحد

---

[1] في ظلال القرآن : سيد قطب 1/ 443.
[2] التفسير المبين : مغنية 729.
[3] مواهب الرحمن في تفسير القرآن : السبزواري 1/ 123.

قلوبهم جاحدة للحق؛ لأن مرضهم ليس مرض سطحي جسدي قابل للعلاج، وإنما الداء كامن في قلوبهم[1].

كما يكون القلب موطن الصفات الجميلة والأخلاق السامية قال تعالى : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(سورة الحج /32) "أضاف التقوى إلى القلوب لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب" [2].

ومن أجل إعمال القلوب اللين قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾(سورة الزمر /23) بمعنى أن " تسكن وتطمئن جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله، لينة تقبله أو تلين له ساكنة إليه"[3].

ومستودع الطمأنينة قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(سورة الرعد/ 28) أي تسكن قلوب المؤمنين ويستقر فيها اليقين حتى يستقر القلب ويطمئن لا بد من إيمان كبير ودوام لذكره[4].

فالاطمئنان محله القلب ولا يأتي إلاّ بذكر الله (ﷻ).

وقد خص القرآن الكريم بعض القلوب كقلب سيدنا إبراهيم (عليه السلام)﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبراهيم إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(سورة الصافات /82- 83) أي سالم من حب الدنيا[5].

([1]) تقريب القرآن الى الأذهان : محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم، بيروت، ط1، 1424هـ- 2003م، 3/ 205.

([2]) مجمع البيان : الطبرسي 7/ 149.

([3]) الميزان : الطباطبائي 17/ 208.

([4]) ينظر : تفسير البغوي معالم التنزيل: الحسن بن مسعود البغوي، دار طيبة، بيروت، بلا طبعة، 2007م،3/ 18.

([5]) ينظر : كتاب الصافي في تفسير القرآن: محمد محسن الفيض الكاشاني، تحقيق: محسن الحسيني الأميني ، دار الكتب الإسلامية، طهران – ايران، ط1، 1419هـ ، 6/ 188.

وأصحاب الكهف قال تعالى:﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾(سورة الكهف /14) أي "شددنا عليها كأن القلب إذا لم يربط عليه يكون مضطربا متفككا، كالأشياء الرخوة فإذا شد عليه برباط الإيمان صار صلدا قويا"[1].

والمحصل يعد القلب وعاء عاطفي غير مختصٍ بهِ فهو مثلما يكون للعاطفة يكون للعقل قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(سورة الاعراف /179) أي أنهم " بالرغم مما لديهم من استعداد للتفكير وأنهم ليسوا كالبهائم فاقدي الشعور والإدراك إلا أنهم في الوقت ذاته لا يفكرون في عاقبتهم"[2].

والميل عن الحق ينسب الى القلب أيضا قال تعالى : ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾(سورة الأنعام /113) تصغي بمعنى تميل وكلمة الميل في القرآن تستعمل في غير المرغوب، وما يستفاد من الآية الكريمة أن الأساليب المزيفة وزخارف القول توجب ميل الأفئدة إليها، والوقوع في الخداع التي توجب صرف القلوب عن الحق والإعراض عن الحقيقة، فان القلوب المائلة توقع الإنسان في الغرور[3].

وعليه فأن لكل عضو من أعضاء جسم الإنسان وظيفة، وللقلب وظائف متعددة كالتعقل والعلم والنظر والاطمئنان وغيرها، ويضم القلب مجموعة كبيرة من العواطف كالحب والكره والقسوة والوجل واللين، فهي أدوات يتعرف بها على ما حوله والمحصل أنّ معنى القلب في القرآن يدور بين المعنى الوجداني والعقلي فهو محل الإيمان والهداية والمعارف و الإرادة.

([1]) تقريب القرآن الى الأذهان : الشيرازي 3/ 366.
([2]) الأمثل : الشيرازي 4/ 575.
([3]) ينظر : مواهب الرحمن : السبزواري 14/ 302.

ثانياً : النفس

اهتم القرآن الكريم بالنفس الإنسانية وعرضها من جميع الجوانب المادية والمعرفية، منذ نشأتها الأولى ونموها وتطورها، وكل ما تمر به من تغير فسيولوجي أو علمي معرفي.

وهي مصدر سلوك الإنسان وضمن طاقاتها التي تعمل على دفعه وتحريكه لذلك السلوك، وتتحكم فيه ملكات مختلفة منها ما هو عقلي كالإرادة والتفكر والانتباه والتعلم والتذكر وغيرها من عمليات العقل، وكذلك تتحكم به الوجدانيات كالإحساس باللذة أو الألم أو الفرح أو الحزن أو الغضب والخوف ولأهميتها فقد ورد ذكرها مع مشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من مئتين وثمان وتسعين مرة[1].

تعريف النفس لغة قال ابن منظور :" النفس : الروح والنفس ما يكون به التمييز، والنفس الذم، والنفس الأخ، والنفس بمعنى عند، أما النفس والروح ما يكون به التمييز فشاهدهما قوله تعالى: الله يتوفى الأنفس حين موتها(سورة الزمر/42) فالنفس الأولى هي التي تزول بزوال الحياة، والثانية التي تزول بزال العقل"[2].

وذكر الزبيدي عدة معانٍ للنفس وهي" الروح، الدم، الجسد، العين، العند، عين الشيء، والعظمة، والعزة، والأنفة، والغيب، والإرادة، والعقوبة....والنفس الإنسان جميعه روحه جسده "[3] يبدو من تعريف ابن منظور والزبيدي أنهم لم يميزوا بين النفس والروح بل خلطوا بينهما وعدوها أمرا واحدا.

([1]) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ - 1999م، 715 – 720.

([2]) لسان العرب : ابن منظور 14/ 320.

([3]) تاج العروس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، مطبعة الكويت ، الكويت ، ط2، 2008، 4/ 206.

تعريف النفس اصطلاحا فقد عرفها الجرجاني " الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية [1] لم يبتعد تعريف الجرجاني للنفس عن تعريفات اللغويين، فأعطى لها تصورا روحيا في مقابل التصور المادي.

وظائف النفس الإنسانية كما ذكرها القرآن الكريم:

1- يبين القرآن الكريم بأن النفس أساس كثير من الدوافع السلوكية قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾(سورة النحل /111) أي هي مسؤولة عن ما تكسب من أعمال، وتجادل وتدافع عن موقف الإنسان يوم القيامة أمام الله تعالى وكلمة الفصل في النهاية له سبحانه ويوفي كل نفس ما تستحق من خير أو شر[2].

كذلك قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(سورة المدثر /38) والمعنى " وكأن نفس الإنسان محبوسة حتى تؤدي وظائفها، فإن أدت ما عليها فكت وأطلقت وإلا فهي باقية رهينة ومحبوسة"[3] لذلك هي محاسبة يوم القيامة

فالنفس الإنسانية مفطورة على معرفة الله (ﷻ) قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدم مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾(سورة الاعراف /172) "إشهادهم على أنفسهم إراءتهم حقيقة أنفسهم، ليتحملوا ما أريد تحملهم من أمرها"[4].

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾(سورة الشمس /7 – 10) والمراد منها الذات الإنسانية التي سواها الله في أحسن تقويم، وركب فيها من الخصائص العقل والإدراك والشعور، وبين لها طريق الفجور في الفكر والعمل وطريق التقوى في الوعي والحركة، لذا فالإنسان

([1])التعريفات : علي بن محمد الجرجاني(ت816هـ)،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، بلا طبعة 321.
([2]) من وحي القرآن : فضل الله 13/ 310.
([3]) الأمثل: الشيرازي 14/ 457.
([4]) الميزان : الطباطبائي 8/ 310.

حر في إرادته من خلال انفعاله بالأفكار والمشاعر والظروف المحيطة به التي تمثل عناصر الاختيار[1].

2- في النفس البشرية مجموعة من العواطف أشارت إليها نصوص القرآن الكريم كعاطفة الاشفاق في قوله تعالى:﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾(سورة الشعراء /3) تبين الآية الكريمة حرص الرسول على الرسالة ومصلحة الناس فهو يكاد يهلك نفسه حينما يرى كفرهم[2].

فهذه المشاعر مستقرة في نفسه كما وصفتها الآية الكريمة، وقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾(سورة الكهف /6) أي أنّ الرسول كان يتحسر على ضلال الآخرين ويأسى ويتأسف لحالهم[3].

3- الحزن في قوله تعالى :﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (سورة فاطر /8) الحسرة شدة الحزن على ما فات، ومعنى ذهاب النفس هلاكها أو شدة حزنها وغمها، والآية الكريمة تخاطب الرسول (صلى الله عليه وآله) بأن لا يهلك نفسه من التحسر على الكفار[4].

4- الخوف قال : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾(سورة طه /67)أي أحس بالخوف في نفسه من التباس الأمر عند الناس[5] فنسبت الآية أحاسيسه ومشاعره الى النفس.

5- الاستمتاع والشهوة قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (سورة يوسف /32).

6- ذكر القرآن الكريم الشح والبخل متعلقا بالنفس ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(سورة الحشر /9) بمعنى أنه يربي نفسه على العطاء

([1]) ينظر من وحي القرآن : فضل الله 24/ 284.
([2]) من هدى القرآن : المدرسي 6/ 170.
([3]) ينظر : تفسير النور : قراءتي 5/ 131.
([4]) ينظر : تقريب القرآن الى الأذهان : الشيرازي 4/ 406.
([5]) المصدر نفسه 4/ 490.

ويمنعها عن البخل لتنفتح على الخير فيحبهم الله سبحانه ويلتقون بالناس في مشاعر الإيمان[1].

وعليه فإنّ القرآن الكريم اهتم بالنفس الإنسانية وصفاتها ومختلف أحوالها وربطها بأنواع متعددة من العواطف والمشاعر، فهي محور الإصلاح ومن خلالها يسمو الإنسان للفضيلة ويرتقي في الدرجات العليا.

المطلب الثاني /أنواع العواطف:

صنف المختصين في الدراسات الإسلامية وعلماء النفس العواطف الى أصناف متعددة منها :

1- العاطفة الأولية والعاطفة الثانوية:

العاطفة الأولية وهي أن ينجذب الإنسان تجاه شخص آخر، دون أن تناله منه منفعة ولا يوجد فيه جمال خاص يثير النفس، كعاطفة الأم تجاه وليدها في مثل هذه العاطفة يكون الطفل محبوب لدى أمه وعلى أي حال كان، ولن تكون المنافع أساس منشأ هذه العاطفة فهذه تسمى العاطفة الأولية أو الطبيعية، وأبرز المصاديق لهذا النوع من العاطفة هي العلاقات الأسرية، علاقة الآباء مع الأبناء علاقة الأخوة والأخوات وباقي الأرحام والعشيرة، وتقوى هذه العواطف كلما اقتربت علاقة القرابة وتضعف كلما ابتعدت العلاقات[2].

ومنها دعوة نوح (عليه السلام) لابنه رغم يأسه من إيمانه لكن بعاطفته الأبوية الطبيعية ظل يناديه محاولاً انقاذه بعيداً عن أية خصوصيات.

ومنها أيضا عاطفة أم موسى وقلقها وحزنها على ولدها ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(سورة القصص/ 10) .

([1]) من وحي القرآن : فضل الله 22/ 115.

([2])ينظر : الأخلاق في القرآن : محمد تقي مصباح اليزدي ، دار التعارف، لبنان ، 1425هـ2004م، 2/ 304.

فكانت تلك العاطفة بين الأم ووليدها عاطفة طبيعية وفطرة أودعها الله تعالى في الإنسان.

والعواطف الثانوية التي يكون منشؤها وأساسها منفعة خاصة يميل الإنسان الى شخص آخر يكون واسطة لبلوغ شيء معين، مثلا أن يحب الإنسان صاحب الإحسان وهذه العاطفة ليست الطبيعية، بل الإنسان يحب منفعته بالأصل، فيحب من يكون سببا لبلوغه هذه المنفعة، ويكون واسطة في الحصول عليها، كالعاطفة بين المعلم وطلابه غالباً ما يكون العلم والتعلم هو سبب هذه العلاقة العاطفية، وبدونها لا توجد هذه العاطفة بين المعلم والطالب، وللعواطف الثانوية حيثيات أخرى كتدخل عوامل خارجية تكّون العواطف الثانوية، ومثاله كأن يكون أبناء الأعمام أقرب من الأعمام انفسهم بسبب أخلاقهم وسجايهم[1].

2- العاطفة التركيبية والعاطفة البسيطة:

العاطفة التركيبية وهي التي تنشأ نتيجة تأثير حيثيات أخرى على العاطفة الأولية الطبيعية، كأن يكون أحد الأبناء صالحا بارا عابدا، فمثل هذا الأبن مورد اهتمام الوالدين ومودتهم وعطفهم دون سائر الأبناء، فكانت هذه الخصال سبباً لتقوية العاطفة، وعندها تصبح مثل هذه العاطفة عاطفة تركيبية، ومثالها في القرآن الكريم نبي الله يوسف (عليه السلام)إذ كان يحظى بحب شديد من يعقوب (عليه السلام) كونه مجمع الأخلاق، حتى حسده اخوانه على هذا الحب وكادوا له، فقالوا رغم اننا شباب أشداء أقوياء فإن يوسف أحب الى أبينا منا، أن درجة حب يعقوب ليوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن على فراقه، وبعاطفته الأبوية وحبه الشديد له شم ريحه من مسافة بعيدة، فكانت عاطفته تجاه يوسف مركبة بالإضافة الى عاطفته الأبوية الاعتيادية كمالات يوسف الخاصة في تكوين العاطفة المركبة [2].

([1]) ينظر : المصدر نفسه 2/ 304

([2]) ينظر : الأخلاق في القرآن : اليزدي 2/ 308.

أما العواطف البسيطة مثل عاطفة يعقوب (عليه السلام) تجاه أبنائه اخوة يوسف(عليه السلام) فرغم كيدهم ليوسف لكن ظلت عاطفته الأبوية تجاههم، وقال لهم سأستغفر لكم وكذلك نصحهم بالدخول من أبواب متفرقة، عند ورودهم لمصر خوفاً عليهم.

وصنف الغزالي العواطف على أساس اللذة والألم، كونهما حسيان ومعنويان بالعواطف الراقية تتبع اللذائذ المعنوية وما يدرك عن طريق نور البصيرة، بينما النوع الثاني عبارة عن اللذائذ الحسية وما يدرك بواسطة الحواس[1].

3- العواطف الإيجابية والعواطف السلبية

قسم محمد تقي فلسفي العواطف الى قسمين " عواطف إيجابية، مثل عاطفة الحب والرحمة والشفقة والسرور وتعشق الفضائل، وعواطف سلبية مثل الحقد والغضب والكراهية والخوف والحزن والأنانية والجشع والكبر وهذه وتلك تتأثر تأثراً بالغاً بالأفكار وبأحكام العقل العامة"[2]

وفي علم النفس وجد المختصون صعوبة في تصنيف العواطف وتقييمها وفق معايير محددة، وذلك بسبب كون العاطفة عملية معقدة، لذلك ظهر الاختلاف في وجهات النظر " على الرغم من اقرارهم لأن الإنسان طيلة حياته لا يستخدم الاّ مجموعة محددة من العواطف وهي الفرح، الغضب، الثقة، القلق، التوتر، الإجهاد الاسترخاء، النشوة، بينما يرى البعض الآخر أن التنوع في العواطف يجعل تجارب الفرد متعددة متنوعة"[3].

وقد صنف علماء النفس أيضا العواطف ضمن عوائل خمسة الغضب الخوف الحزن التقزز الاستمتاع، كل واحد من هذه العواطف له أصناف متعددة أصناف

([1]) احياء علوم الدين : الغزالي 2/ 323.

([2]) الشاب بين العقل والعاطفة : فلسفي 669.

[3] الذكاء العاطفي في القرآن الكريم : يسرى إبراهيم الرفاعي أبو الحسن75 . نقلا عن

Ethan beh(2008):never lose controi again list of human emotions<improvement mentor.com>seif.

مختلفة كعائلة الغضب مجموعة من الأفراد تحتها العدوانية الحسد الإرهاب الكره البغض..... الخ[1]

وتقوم العواطف" كما هو الأمر بالنسبة لجميع الحالات الوجدانية على أساس من الحب والكراهية اللذين يتصلان باللذة والألم، والعواطف الرئيسية إذاً هي عواطف الحب والكراهية، وكل ما ينشأ من عواطف أخرى فإنما يقوم عليهما"[2].

وقسم البعض العواطف وفق معايير معينة منها/ أولاً : التقييم الذاتي ويعني " أن العواطف موضوعية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتقييم الفرد تجاربه وخبراته، وتخضع للتحليل الشخصي الناتج من مؤثرات خارجية وداخلية"[3].

وعلى هذا التقسيم العواطف معتمدة على انطباعات الشخصية للفرد متأثرة بالوراثة والبيئة بحسب الانعكاسات على السلوك.

ثانياً: العالمية صنف بعض علماء النفس. العواطف باعتبارها مشتركة بين جميع الثقافات وميل الجميع الى إظهارها وسميت بالعواطف الأساسية، أو الأولية وصنفوها وفقاً لاعتبارات متعددة :

1 إنها فطرية في الإنسان وليست مكتسبة.

2 تنبع من ظروف يشترك فيها جميع الناس مثل الحزن.

3 تظهر من خلال مظاهر معينة مثل تعابير الوجه.

4 تثير استجابة فسيولوجية محددة كالبكاء أو العرق[4].

([1]) ينظر : الذكاء العاطفي في القرآن : الرفاعي 71 نقلا عن
jonmarshall reeve understanding motivation and emotion 417.

([2]) الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص : 265.

([3]) الذكاء العاطفي في القرآن : الرفاعي 71نقلا عن
jonmarshall reeve understanding motivation and emotion.417

([4]) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

وصنف كلك كارول آزاد[1] صنَفَ عشرة أنواع للعواطف، وعدها عامة ومشتركة وأساسية، تتكون منها العواطف الأكثر تعقيداً، مثل المتعة الاستمتاع السعادة الدهشة الإحباط المعاناة الغضب التقديس اللامبالاة الخوف الخجل الندم[2].

وصُنفت العواطف وفق أفكار الطابع الديني، كالنفس الروحية و محور العاطفة فيها يدور حول الإحساس بالوجود وكينونة الحياة، والنفس الاجتماعية وجوهر العاطفة فيها هو الاعتبار والاحترام الاجتماعي والمقارنة الاجتماعية التي تكون بين الافراد، و المادية وجوهر العاطفة توجه نحو الممتلكات المادية المشتركة بين الأفراد "[3].

وعلى ما تقدم نجد إن العلماء ذكروا تقسيمات مختلفة للعواطف وباعتبارات مختلفة، وخلط بعض علماء النفس بينها وبين الانفعالات، وعلى أي حال فإنّ العواطف تترك اثرها على حياة الفرد وسلوكه، وهذا مما يشترك فيه الجميع بغض النظر عن أي ظرف محيط أو ثقافة معينة، وقد شمل القرآن الكريم أنواعاً متعددة من العواطف وعرضها بأسلوب مغني للدراسات النفسية وكفيل بأن ينظم قواعد علم النفس الإسلامي .

المطلب الثالث /منظومة الحب القلبي:

وردت في القرآن الكريم العديد من ألفاظ الحب القلبي نذكر منها :

أولاً / الشهوة:

(1) إزاد : عالم نفسي معاصر، من رواد النظرية التطورية البيولجية والتي بحثت في سيكولوجية العاطفة من الجانب البيولوجي وهمشت الجوانب الأخرى الذكاء العاطفي في القرآن : الرفاعي 71نقلا عن
Randolph r Cornelius the science of emotion 41

(2) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(3) الذكاء العاطفي في القرآن : الرفاعي 71 نقلا عن
Strongman the psychology of emotion (2003) 5thed wiley @ sona ltd 148.

الشهوة في اللغة : الرغبة الشديدة، وتطلق أحياناً على القوة النفسانية الراغبة في ما تشتهي، وتطلق كذلك على ما يشتهي من الملذات المادية، فيسمى المشتهي شهوة والجميع شهوات، وشهواني أي شديد الرغبة في الملذات المادية[1] .

وعرف الراغب الشهوة : " نزوع النفس الى ما تريده وذلك في الدنيا ضربان صادقة وكاذبة، فالصادقة ما يختل البدن من دونه كشهوة الطعام عند الجوع والكاذبة مالا يختل من دونه" [2].

وعليه تقسم الشهوة الى محمودة(صادقة)كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُون﴾ (سورة فصلت/31) ومذمومة (كاذبة) كما في قوله تعالى ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (سورة مريم / 59).

والفرق بين الشهوة واللذة : الشهوة تختص بالمحسوسات ولكن لا يظهر أثر ذلك في البدن فهي الميل الى اللذة وهو أمر نفسي لا بدني....واللذة تختص بالمحسوسات التي تظهر آثارها فب البدن كلذة الطعام ولذة النظر وغيرها[3]

وقال الطبرسي: " الشهوة من فعل الله ولا يقدر عليها أحد من البشر، وهي ضرورة فينا، فإنه لا يمكننا دفعها عن نفوسنا "[4].

وقال السبزواري :"هي توقان النفس للملائم أو الملذ لها، وهي من أهم القوى التي خلقها الله تعالى في الحيوان، ولولاها لما قام لها أصل أو بنيان"[5].

([1]) ينظر: معجم مقاييس اللغة : ابن فارس ،لسان العرب : ابن منظور 14/ 444 ، تهذيب اللغة : الأزهري 6/ 354 .

([2]) مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الاصفهاني، تحقيق : صفوان عدنان داوودي، مطبعة النور، قم، ط2، 1337هـ، 270 .

([3]) ينظر: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم: محمد محمد داوود، دار غريب، القاهرة، 2008م، 307.

([4]) مجمع البيان : الطبرسي 1/ 536.

([5]) مواهب الرحمن : السبزواري 5/ 131.

ووافقه فضل الله في هذا المعنى بقوله :" هي توقان النفس الى المشتهى، والظاهر أنها التعبير عن الغرائز المودعة في الإنسان، التي هي العنصر الحي لحركة الحياة في جسده من أجل إثارة الإحساس الطبيعي لتحصيل شروط حياته الضرورية والكمالية، من حيث هي مركز الإحساس في الجسد"[1].

وقد عرض القرآن الكريم آيات عدة عن الشهوة قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآَبِ ﴾(سورة آل عمران/14).

إن الله (ﷻ) هو الذي جعل حب الأبناء والثروة في جبلَّة الأنسان، لكي يختبره ويسير به في طريق التربية والتكامل، وقد تقدم ذكر المرأة أولا، وهذا ما يقول به علماء النفس اليوم، بأن الغريزة الجنسية من أقوى الغرائز في الإنسان، وكثير من الحوادث الاجتماعية ناشئة عن طغيان هذه الغريزة، فهي أقوى تأثيرا وأشد جاذبية لأهل الدنيا[2].

وحب الأمور المذكورة في الآية الكريمة والشهوة نحوها، يصرف صاحبها عن محبة الله تعالى ويبعده عن طريق الخير والسعادة، حتى وأن لم تكن تلك الأمور مذمومة في نفسها .

وقال تعالى:﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾(سورة مريم / 59) وقال تعالى :﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾(سورة النساء/27).

وقد بين السبزواري معنى إتباع الشهوات بقوله:" هو الرضوخ الى دواعي الشهوة وعدم الاعتناء الى ما يحكم به العقل، والتورط في قبائح الأعمال، ورذائل الأخلاق

([1]) من وحي القرآن : فضل الله 251/5.
([2]) ينظر: الأمثل : الشيرازي 2/ 216 .

والموبقات، وهذا هو الميل العظيم المستلزم لهتك الحدود الإلهية، ويترتب عليه الخروج عن صراط الفطرة، التي تدعو إليها جميع الشرائع الإلهية والعقل القويم"[1].

وفي ضوء ما تقدم يتبين للباحثة أنّ الشهوة تطلق على الرغبة الشديدة للشيء والميل نحوه، وهي ليست سلبية دائما، بل بحاجة الى تهذيب، ومما يشترك فيه الرجال والنساء، كما ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) " غالب الشهوة قبل قوة ضراوتها، فإنها إن قويت ملكتك واستقادتك ولم تقدر على مقاومتها"[2].

وقال حسن المصطفوي:" إن الاشتهاء أما فيما يلائم الروح وتحت حكم العقل، فهو مطلوب وممدوح عند الشرع والوجدان الإنساني وموجب للسعادة والكمال، وأما فيما يلائم البدن وقواه في جهة التمايلات النفسانية الصرفة، فهو مذموم عند العقل والشرع وموجب للانحطاط ويسوف الإنسان الى الحيوانية والمرتبة المادية النازلة، والشهوة قوة بها يتحصل النيل إلى المطلوب، وهي أول وسيلة يسلك بها إلى الرضوان أو إلى النيران"[3].

والمحصل فإن وجود الشهوة ثابت في نفس الإنسان، فهي مغروزة في أصل تكوينه، وتأثيرها خطير على الفرد والمجتمع، فهي كفيلة بإرباك منظومة القيم في الشخصية الإنسانية وتعطيلها، لذا عليه توجيهها بما يناسب فطرته؛ لأنها إذا ما سيطرت على صاحبها فإنه سوف يجند كل طاقاته النفسية والعاطفية والعقلية لإشباعها، كما تعمل على مسخ ذوقه الإنساني وفطرته السوية، وتغيب عقله وتعمي بصيرته.

([1]) مواهب الرحمن : السبزواري 8/ 85-86 .

([2]) غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الآمدي التميمي ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت /لبنان ، ط1، 1422هـ، 2002م،الحكمة 5528، 205.

([3]) التحقيق في كلمات القرآن : حسن المصطفوي، مركز نشر آثار المصطفوي، طهران،1430هـ، 2009 م، ط1، 1416هـ، 175/6.

ثانياً/ الهوى :

قال الراغب: "الهوى ميل النفس الى الشهوة، وقيل: سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا الى كل داهية، وفي الآخرة الى الهاوية"[1] ، وقال ابن منظور:" الهوى العشق يكون في مداخل الخير والشر"[2].

وعرفه الطبرسي:" الهوى ما يميل طبعك إليه ويدعو هواك إليه، إذا كان مخالفا للحق"[3] .

قال تعالى:﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾(سورة ص /26).

والمعنى " إنك إذا اتبعت الهوى عدل الهوى بك عن سبيل الحق الذي هو سبيل الله"[4] .

إذ إن هوى النفس " ستار سميك يغطي بصيرة الإنسان، ويباعد بينه وبين العدالة فأينما وجد الضلال كان لهوى النفس ضلع في ذلك"[5].

وقال تعالى:﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(سورة النجم /135) وقال تعالى :﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾(سورة النازعات /40) أي " نهى النفس الأمارة بالسوء عن الهوى وهو إتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على إيثار الخير"[6].

([1]) مفردات غريب القرآن : الراغب 548.
([2]) لسان العرب: ابن منظور 15/ 373.
([3]) مجمع البيان: الطبرسي 8/ 355.
([4]) مجمع البيان: الطبرسي 355/8.
([5]) الأمثل : الشيرازي 11/ 389.
([6]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، دار احياء التراث العربي، ط1، 1421هـ - 2001م، 4/ 698.

والفرق بين الهوى والشهوة " الهوى لطف محل الشيء من النفس مع الميل إليه بما لا ينبغي، ولذلك غلب على الهوى صفة الذم، وقد يشتهي الإنسان الطعام ولا يهوى الطعام "[1].

وبذلك يكون الهوى حالة من حالات الشهوة ومسبباً لوجودها، ذلك الجانب النفسي الخطر، الذي يتعارض دائما مع التوحيد الخالص لله تعالى .

ثالثا / الصبوة :

الصبوة في اللغة : " صبا فلان يصبو صبوا، وصبوة إذا نزع واشتاق وفعل فعل الصبيان"[2].

وقال ابن منظور:" الصبوة جهلة الفتوة، واللهو من الغزل، ومنه التصابي والصبا ورأينه في صباه أي في صغره"[3]

والصبو "يدل على تمايل لطيف مع اشتهاء وعطوفة"[4].

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾(سورة يوسف /33)أي "أَمل إليهن أو الى قولهن بهواي والصبوة لطافة الهوى "[5].

ومما يبدو أن الصبوة سلبية في كل الأحوال، لذلك جعلها يوسف (عليه السلام)وصف للمعصية بقوله:(أصبُ إليهن) ونسب من يتصف بها الى الجهل (أكن من الجاهلين) لأن ميل الإنسان نحو الموبقات والغرائز والشهوات هو عين الجهل.

رابعا /الخلة:

([1]) الفروق اللغوية : أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن يحيى بن مهران العسكري(ت395هـ)، تحقيق: محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة – مصر، بلا طبعة، 117.

([2]) مفردات ألفاظ القرآن : الراغب 274.

([3]) لسان العرب: ابن منظور 14/ 446.

([4]) التحقيق في كلمات القرآن: حسن المصطفوي 6/ 320.

([5]) مجمع البيان : الطبرسي 5/ 398.

قال الراغب : " الخلة المودة، وخاللته مخالة فهو خليل"[1].

وقال ابن منظور:" الخلة الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله، و الخليل الصديق فعيل بمعنى مفاعل وقد يكون بمعنى مفعول، وذلك لأن خلته كانت مقصورة على حب الله (ﷻ) فليس فيها لغيره متسع ولا شركة من محابّ الدنيا والآخرة وهذه حالة شريفة لا ينالها أحد بكسب ولا اجتهاد فإنّ الطباع غالبة، وإنما يخص الله بها من يشاء من عباده مثل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين "[2].

قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إبراهيم خَلِيلًا ﴾(سورة النساء/ 125)أي "محبا لا خلل في مودته لكمال خلته"[3].

وقال تعالى:﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾(سورة الزخرف /67)والمعنى " إن صلة الحب والصداقة التي كانت في الدنيا قائمة بين الناس تنقطع يوم القيامة وتزول، إلا إذا كان مصدرها الأخوة في الله والتعاون على طاعته"[4].

والخليل" بمعنى الصديق في الأصل في كونه الشخص ذا انفراج وهذا كناية عن كونه صاحب أسرار ورموز يلقي اليه ما يسر عن غيره ومن لوازم هذا المعنى المصادقة والمؤاخاة والاختصاص والمودة واتخذ الله إبراهيم خليلا، أي مودع أسراره و مواضع حقائقه، ويفهم منه كمال الاختصاص والإصطفاء "[5].

وعليه فالخلة صفة فريدة اختص بها إبراهيم الخليل، والنبي محمد (صلى الله عليه وآله)، لذا نجد أنّ الله (ﷻ)امتحن إبراهيم في مسألة الذبح لولده، ليختصه بهذه الصفة

(1) مفردات ألفاظ القرآن: الراغب 153 .
(2) لسان العرب : ابن منظور 217/11.
(3) مجمع البيان: الطبرسي 3/ 200.
(4) تفسير الكاشف : مغنية 6/ 559.
(5) التحقيق في كلمات القرآن : حسن مصطفوي 13/ 254.

فامتحان إبراهيم كان عظيما ومتناسبا مع مكانته عند الله (ﷻ)، وهي أعلى مراتب الحب.

خامسا / الشغف:

قال ابن منظور: " الشغاف غلاف القلب وهو جلدة دونه كالحجاب، وشغفه الحب يشغفه شغفا، وشغفا وصل الى شغاف قلبه، وقرا ابن عباس قد شغفها حبا قال: دخل حبه تحت الشغاف"[1].

والشغف " معناه أعلى القلب أي الغشاء الرقيق المحيط بالقلب، وشغفها حبا معناه أنها تعلقت به الى درجة بحيث نفذ حبه الى قلبها واستقر في أعماقه، وهذا التعبير اشارة الى العشق الشديد الملتهب"[2].

وقال الآلوسي :"الشغف هو المرحلة التي ينفذ العشق فيها الى جميع زوايا القلب"[3].

قال تعالى:﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (سورة يوسف/ 30)"أي أحبته حبا دخل شغاف قلبها "[4].

يبدو أن الحب إذا وصل الى أعماق القلب وسيطر عليه من الداخل والخارج تتحقق هذه المرحلة وهي الشغف، وهذا ما حصل مع امرأة العزيز.

سادسا / الود :

قال الراغب : " الود محبة الشيء وتمني كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين، على أن التمني يتضمن معنى الود، لأن التمني هو تشهي حصول ما توده"[5].وجاء في معنى الود

([1]) لسان العرب: ابن منظور 179/9.
([2])الأمثل : الشيرازي 6/ 208.
([3]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود البغدادي الآلوسي (1270هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، بلا طبعة، 12/ 203.
([4]) مجمع البيان : الطبرسي 5/ 395.
([5]) المفردات في غريب القرآن : الراغب 517.

بأنها " كلمة تدل على محبة، وودته أحببته، وودت أنّ ذاك كان إذا تمنيته، وفي المحبة الود، وفي التمني الوداد، وهو وديد فلان"[1].

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾(سورة مريم/ 96) قال الطباطبائي : " الود والمودة المحبة، وفي الآية وعد جميل منه تعالى أنه سيجعل للذين آمنوا وعملوا الصالحات مودة في القلوب"[2].

والفرق بين الحب والود" أنّ الحب يكون فيما يوحيه ميل الطباع والحكمة جميعا والوداد من جهة ميل الطباع فقط، ألا ترى أنك تقول أحب فلان وأوده، وتقول أحب الصلاة ولا تقول أود الصلاة "[3].

ولفظ الحب والود بينهما تقارب دلالي؛ إذ يشتركان في بعض الملامح الدلالية وهي الميل وتعلق القلب، ويختص الود بالشعور الخالص بالحب والإقبال ، كما يختص الود بدلالته على التمني ويظهر بالسلوك، ويختص الحب بالدوام والثبات واستعماله في معان لا يستعمل فيها الود كالتعظيم والخضوع، أي أنه مستقر في القلب[4]

والود صفة العبد الصالح ومتحققة في نفسه، فهو يوادد خلق الله، ويحب الخير لهم والإحسان؛ لأنه طاهر القلب والروح.

([1]) التحقيق في كلمات القرآن : حسن المصطفوي 13/ 68.
([2]) الميزان : الطباطبائي 14/ 93.
([3]) التحقيق في كلمات القرآن : حسن مصطفوي 13/ 71.
([4]) ينظر : معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم: محمد محمد داوود 196.

الفصل لثاني

العاطفة المقدسة في القرآن الكريم

المبحث الأول: محبة الله تعالى للعبد

المبحث الثاني: محبة العبد لله تعالى

المبحث الثالث: محبة الرسول الأكرم وأهل بيته(عليهم السلام)

الفصل الثاني

العاطفة المقدسة في القرآن الكريم

تعد العاطفة المقدسة المحور الرئيس الذي تعتمد عليه سائر العواطف النبيلة والمشاعر الطيبة، والصفات الحميدة، كما تحدد هذه العاطفة علاقة الإنسان بالله تعالى وعلاقته بنفسه وبالآخرين، فكلما كانت محبته لخالقه محبة صادقة ومخلصة أحبه الله(ﷻ) وكان نافعا للعباد والبلاد، إذ إن للعواطف دور مهم في بناء العقيدة، كونها المحور والمحرك في الحياة، وفي هذا الفصل سنسلط الضوء على العاطفة المقدسة في القرآن الكريم كما في المباحث الآتية :

المبحث الأول : محبة الله(ﷻ) للعبد

ينتظم هذا المبحث في عدة مطالب:

المطلب الأول /الحب لغة واصطلاحاً :

الحب في اللغة له عدة معان منها : تحبب إليه تودد، و امرأة محبة لزوجها ومحب لزوجه [1].

وإظهار الحب للناس، يقال: تحبب فلان إذا أظهره، أي الحب وهو يتحبب الى الناس ومحبب إليهم أي متحبب "[2] .

وجاء في القاموس المحيط " الحب الوداد، والمحبة بالضم أحبه وهو محبوب

---

[1] ينظر : لسان العرب : ابن منظور 245/1.

[2] تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، مطبعة الكويت ، الكويت ، ط2، 2008، 197/3 .

وحبب إليه صرت حبيب إليه، وحببه الي جعلني أحبه وتحابوا أحب بعضهم بعضا"[1].

أما الحب في الاصطلاح هو" عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملذ، فإنّ تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقاً، والمحبة عبارة عن ميل النفس الى مواقف ملائمة، و محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه، وأما محبة العبد لله تعالى فهو ميله الى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له "[2].

وعرف الراغب الحب بأنه " انجذاب النفس الى الشيء الذي ترغب فيه "[3]

أما المحبة فهي" إرادة ما تراه وتظنه خيرا"[4] .

وعرف ابن عاشور المحبة بقوله " انفعال نفساني ينشأ عن الشعور بحسن شيء من صفات ذاتية أو إحسان أو اعتقاد إنه يحب المستحسن ويجر إليه الخير، فإذا حصل ذلك الانفعال عقبه ميل وانجذاب الى الشيء المشعور بمحاسنه محبوباً، وتعد الصفات التي أوجبت هذا الانفعال جمال عند المحب، فإذا قوي هذا الانفعال صار نهجا نفسانياً سمي عشقاً للذات "[5].

والحب يعني أيضا "انفعال يشعرنا بالارتياح نحو شخص أو شيء أو فكرة، فإذا أشبع هذا الانفعال مرات كافية تكون عاطفة الحب"[6] .

---

[1] القاموس المحيط : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط8، 1426هـ - 2005م، 10 / 144 .

[2] إحياء علوم الدين : الغزالي 4/ 378 .

[3] مفردات غريب القرآن : الراغب 136 .

[4] المصدر نفسه 215 .

[5] التحرير والتنوير : محمد ابن عاشور(ت1393هـ)، مؤسسة التاريخ، بيروت – لبنان ، ط1، 1420هـ، - 2000م، 3/ 2235.

[6] مجلة الاستاذ : المجلد الرابع عشر، العدد الأول، العواطف تكوينها وخصائصها النفسية، أحمد حسن الرحيم، 198.

وعرف الفلاسفة الحب فقالوا " هو الميل الى الشيء السار، والغرض منه إرضاء الحاجات المادية، وهو مرتب على تخيل كمال في الشيء السار أو النافع يفضي الى انجذاب الإرادة إليه كمحبة الوالد لولده والصديق لصديقه والعاشق لمعشوقه والمواطن لوطنه والعامل لمهنته "[1].

وتعد عاطفة الحب من أسمى العواطف الإنسانية وأجملها، فهي أساس كل خير ومصدر إلهام للبشرية، والحب يعطي الإنسان روح الإنسانية، وبدونها يصبح كالحجارة، وعادة تكون العواطف ايجابية من حيث المبدأ؛ ولكن يجب التوجيه الصحيح لها، الذي من خلاله يسمو الإنسان ويرتفع شأنه، والحب كما هو محور الحياة هو عامل أساس في ترسيخ العقيدة الصحيحة، فعقيده الإنسان يجب أن تبنى على المحبة لا الكراهية، والحب قد يكون تجاه ذات حية كالأم والأب والصديق والزوج وقد يدور حول أمور مجردة كالجمال والسلام والعدل.

ومما لا ريب فيه هو أن الله (ﷻ) هو مصدر الحب، لذا قال تعالى : ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾(سورة هود/ 90) و قال تعالى : ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾(سورة البروج/ 14) وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام " يا حبيب قلوب الصادقين"[2].

و صرح القرآن الكريم بأنه (ﷻ) كتب على نفسه الرحمة قال تعالى:﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة الأنعام/ 54).

وبين الله (ﷻ)أنه قريب من العبد ويستجيب دعوة الداعي قال تعالى: ﴿وإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ

---

[1] المعجم الفلسفي: جميل صديقه، دار الكتاب اللبناني، القاهرة،1982، 1/ 431.

[2] التوحيد : أبي جعفر بن علي بن بابويه القمي الصدوق(ت 381هـ)، تحقيق: هاشم الحسيني الطهراني، جماعة المدرسين، قم – ايران، بلا طبعة، 220 .

يَرْشُدُونَ﴾ (سورة البقرة/ 186) وغيرها من الآيات الكريمة التي تدل على لطف الله ومحبته للعباد.

وبالتالي يمكن تقسيم الحب إلى ثلاثة أنواع الحب من الله للعباد قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (سورة البقرة /222) أو بالعكس من العباد إلى الله قال تعالى : ﴿يَا ايهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(سورة المائدة /54) أو يكون من العبد للعبد قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (سورة يوسف /30) .

المطلب الثاني/ المحبة في اصطلاح المفسرّين:

من خلال مراجعة تفسير الآيات التي وردت فيها المحبة نجد أن بعضهم عرفها وبعضهم أوكل علمها الى الله (ﷻ) وأعرض عن الخوض فيها، بينما ذهب بعضهم الآخر الى التأويل.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(سورة آل عمران/31).

وممن عرف المحبة الطوسي قال : " المحبة الإرادة إلاَّ إنها تضاف الى المراد تارة والى متعلق المراد أخرى، ومحبة الله للعبد هي إرادته لثوابه، ومحبة العبد لله هي إرادته لطاعته "[1].

وقد أورد السبزواري اعتراضاً على هذا التعريف فقال : تفسير المحبة بالإرادة خلاف الاستعمال المتعارف؛ لأنه يصح أن يقال اللهم ومن أرادني بسوء فأرده ولا

[1] التبيان في تفسير القرآن : أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت460هـ)، تحقيق: أحمد حبيب العاملي، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، 3/ 438 .

يصح أن يقال اللهم من أحبني بسوء، ولكنه جعل الإرادة والشوق من مبادئ المحبة"[1].

ووصف الحب بأنه " الترابط الوثيق الذي يربط بين الموجودات بعضها مع بعض والجميع مع الخالق، والقول إن الحب يختص بغيره؛ لأنه نوع من الإرادة وهي لا تتعلق إلاَّ بالمعاني والمنافع، فيستحيل تعلقها بذاته وصفاته غير صحيح؛ لأنه إخراج للحب عن معناه الحقيقي مع أنه أطلق عليه في آيات كثيرة في كتابه "[2] وبذلك يريد إثبات محبة الله تعالى للعباد.

وقيل في تعريف المحبة:" إرادة يقترن بها إقبال من النفس وميل بالمعتقد، ومحبة الله للعبد أمارتها أن يرى العبد مهديا مسددا ذا قبول في الأرض"[3]

وجاء في البحر المحيط أن الحب إذا استعمل في الله " أصاب حبة قلب عبده، فجعلها مصونة عن الهوى والشيطان، وسائر أعداء الله "[4].

ومن الذين اعرضوا عن الخوض في محبة الله (ﷻ) للعبد الآلوسي فقال" هي محبة تكيف بشأنه تعالى على المعنى الذي أراده" [5].

أما المراغي قال : وحبه تعالى وبغضه شأن من شؤونه، لا نبحث عن كنهه ولا عن كيفيته"[6].

---

[1] مواهب الرحمن : السبزواري 2/ 314 .

[2] مواهب الرحمن : السبزواري 5/ 251 .

[3] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت546هـ)، تحقيق وتعليق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم ومحمد الشافعي ، ط1، 1402هـ - 1982م، 3/ 80.

[4] البحر المحيط في التفسير: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي (ت754هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، طبعة جديدة، 1431هـ - 2010م، 2/ 91.

[5] روح المعاني : الآلوسي 3/ 329 .

[6] تفسير المراغي : المراغي6/ 142 .

ومن الذين أَولوا المحبة الزمخشري قال: " محبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويغبطهم ويثني عليهم و يرضى عنهم"[1].

وكذلك ابن عاشور أول المحبة أيضاً إذ قال: " واطلاق المحبة وصفاً لله تعالى اطلاق مجازي مراد بها لازم المحبة، بناء على أن حقيقة المحبة انفعال نفساني وعندي فيه احتمال فقالوا أريد لازم المحبة أي في المحبوب والمحبة فيلزمهما اتصاف المحبوب بما يرضي المحب، لتنشأ المحبة التي أصلها الاستحسان ويلزمها رضى المحب عن محبوبه وإيصال النفع له وهذان اللازمان متلازمان في أنفسهما فاطلاق المحبة وصفا لله مجاز بهذا اللازم المركب "[2].

وقال أيضاً:" محبة الله لعبده رضاه عنه وتيسير الخير له "[3] .

وبذلك يرى ابن عاشور أن محبة الله (ﷻ)للعباد مجازية، في حين إن الآية الكريمة لا تقبل التأويل قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ على الكافرين﴾ (سورة المائدة /54).

وحقيقة المحبة لديه هي انفعال نفساني، والانفعال يكون في المحبة بين إنسان وإنسان نتيجة علاقة بينهما، إما الذات الإلهية فلا يعرض عليها الانفعال، فهو سبحانه منزه ولا ينفعل، بل هو الفاعل والمؤثر والمتفضل بالوجود على كل الموجودات .

ومن مظاهر الحب الإنجذاب، وأن من يحب شيء ينجذب إليه انجذاب يتأثر يضعف ويقوى هذا وأن كان جائزاً عند العبد، فهو محال على الله(ﷻ)، فهو سبحانه لا ينجذب ولا يتأثر بالأشياء، وقد عرض اليزدي آراء عدة في المسألة فمنهم من قال :" نحن لا نفقه شيء في هذا المجال، وعلينا التزام الصمت وقد أراح أصحاب هذا الرأي أنفسهم

---

[1] الكشاف : الزمخشري 633/1.
[2] التحرير والتنوير : ابن عاشور 8/ 172 .
[3] المصدر نفسه 6/ 236 .

من عناء البحث، أما أصحاب الطريق الثاني فيقولون هذه التعابير مجازية، فهؤلاء لا يقبلون بشكل من الأشكال التجوز في هذا الباب، ويلجأون الى نمط من الفنون الأدبية لحل مشكلة الألفاظ، أما أهل الدقة والتمعن في هذا الوادي فقد توسعوا في بحث هذه المفاهيم، وقالوا ليس لنفس الانجذاب موضوعية بل المطلوب هنا هو الاتصال وحتى الاتصال لا يحصل الا عندما يكون ثمة اثنينة، أما عند غياب الإثنينية فيحل الوحدة محلها والله وجود واحد يتسم بالكمال وهو بذاته يحب ذاته"[1] .

وقال اليزدي أيضاً أن "صفات الله (ﷻ)هي عين ذاته، فعلم الله وقدرته ومحبته شيء واحد وليست متعددة، وفهمنا للتعدد في هذا المجال يعود لعقولنا القاصرة، إذن فالمحبة هي انجذاب واتصال بموجود ما "[2].

ومن قمة السعادة و التوفيق الإلهي أن الله (ﷻ) يحب العبد وأنه كنز لذو حظ عظيم، ومن يصل الى هذه المنزلة هم من باعوا انفسهم لله تعالى، الذين اصطفاهم لينالوا هذا القرب الإلهي.

قال المدرسي في تفسير الآية " إنّ الله يحبهم ولا يحب الله تعالى الشخص لذاته بل لتكامل الصفات الحسنة فيه من الإيمان والعمل الصالح، وحين يحب سبحانه أحد تحبه ملائكته وأولياؤه ويسخر له ما في السماء والارض؛ لأنها مطيعة لله، وهم يحبون الله ويشعرون بأنه متفضل عليهم، وأن عليهم شكر ربهم بالعطاء والصلاة والزكاة والجهاد، وأنّ اعطائهم هذا ليس جبراً عليهم وإكراها بل طوعاً واختيارا؛ لأنه نابع من حبهم لله تعالى؛ ولأن علاقتهم بالله هي علاقة حب وهي أرفع درجات الانسجام والتوافق فإنهم يحبون بعضهم و يتساهلون في علاقاتهم"[3].

---

[1] محبة الله : محمد تقي مصباح اليزدي، بلا طبعة، بلا تاريخ 13 .

[2] المصدر نفسه والصفحة نفسها .

[3] من هُدى القرآن : المدرسي 8/ 223 .

وبذلك أشار الى الحب المتبادل بين الله (ﷻ) وبين العباد الذين يتصفون بالصفات الحسنة والأخلاق الفاضلة.

ووافقه على هذا المعنى محمد حسين فضل الله بقوله : " سوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، يمثلون الصدق في العقيدة، والثبات في الموقف، والاستقامة في الطريق فهم قد حازوا محبة الله لهم؛ لأنهم أطاعوه حق طاعته وعبدوه حق عبادته وهم يحبون الله حباً ملك عليهم فكرهم وشعورهم؛ لأنهم عرفوه في آفاق عظمته ومواقع نعمته"[1].

ومال الى هذا الرأي أيضاً محسن قراءتي " فضل الله لا ينحصر بالثروة والجاه، بل إن محبة الله والجهاد في سبيله أيضاً من مظاهر اللطف والفضل الإلهي والمحبة المتبادلة بين الله وعبده هي من كمال الإنسان، والقلب الذي يخلو من حب الله قلب اسير ، والقلب المحب لله فلا يمكن أسره أبداً"[2] .

وبين الطباطبائي بأن محبة العبد لله ملازمة لاتباعه في كل شيء، وعدم موالاة اعدائه ، وموالاة أولياء الله بولاية الله تعالى، أما حبه تعالى للعبد يلازمه براءته من كل ظلم، وطهارته من كل قذارة معنوية من الكفر والفسق، وذلك إن جميل المظالم والمعاصي غير محبوبة كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾(سورة آل عمران/ 32)﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾(سورة آل عمران/57) [3].

وقال محمد جواد مغنية : " حب الله لعبده أن يرفع من شأنه غداً، ويتمم عليه بالجنان والرضوان، أما حب العبد لله فأنه لا ينفك أبداً عن حبه لعباد الله تماماً، كما لا ينفك حب الحق عن حب العاملين به وكراهية الباطل عن كراهية أهله "[4] .

---

[1] تفسير من وحي القرآن : فضل الله 8/ 223 .
[2] تفسير النور : قراءتي 2/ 296 .
[3] ينظر: الميزان : الطباطبائي 329/1 .
[4] التفسير الكاشف : مغنية 3/ 79 .

ولكن ينبغي الإشارة الى نقطة مهمة، هل يجوز أن نقول إن الله(ﷻ) يحب والحب عاطفة نسبية تقوى وتضعف وتتأثر بالحوادث، وهذا لا يناسب الذات الإلهية

عند التأمل في الآيات الكريمة التي تناولت المحبة، نجد بأن الكتاب المجيد لم يبين كيفية هذه المحبة ولم يكشف عنها؛ ولكنه قد صرح بها وأثبتها لله(ﷻ) وما دامها ثابتة لله سبحانه، فهي تختلف عن محبة الإنسان لله الذي ليس كمثله شيء، ولا يشبهه أحد في صفاته ، والتي هي جزء من ذاته وليست صفة خارجية عنه، فالله (ﷻ)هو عين الكمال ومصدره ويحب ذاته، وبذلك يحب كل من فيه صفة كمال، وكون المقصود من محبة الله(ﷻ) رضاه وهي بمثابة الجزاء والأجر على الطاعة لله تعالى والعمل الصالح .

وحب الله (ﷻ) لا يوصف فهو أعلى وأكبر من حب الأم والأب لأبنائهم، حب لا يقارن بشيء ولا شائبة فيه ولا نقص، منزه عن الحاجة فهو سبحانه غني عن العالمين، فلا يتبع حبه بالمنة، حب بدون مقابل ولا يقطعه عن العباد تحت أي ظرف أو حال حتى مع معصيتهم له (ﷻ)يمن عليهم بالنعم واللطف قال تعالى : ﴿فَإِن تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(سورة البقرة/ 222) .

أي أن الباري (ﷻ) " يحب جميع أنواع التوبة سواء كانت بالاستغفار وبامتثال كل أمر ونهي من تكاليفه، أو باتخاذ كل اعتقاد من الاعتقادات الحقة، ويحب جميع أنواع التطهر، سواء كان بالاغتسال والوضوء والغسل، أو التطهر بالأعمال الصالحة أو العلوم الحقة، ويحب تكرار التوبة وتكرار التطهر"[1] .

وقد أشار الى ذلك المعنى الإمام السجاد (عليه السلام) وهو يناجي ربه قائلاً : " تتحبب إلينا بالنعم ونعارضك بالذنوب خيرك الينا نازل وشرنا إليك صاعد ولم يزلْ ولا

[1] الميزان : الطباطبائي 2/ 180 .

يزال ملك كريم يأتيك عنا بعمل قبيح فلا يمنعك ذلك من أن تحوطنا بنعمك و تتفضل علينا بآلائك سبحانك ما أحلمك وأعظمك وأكرمك مبداً ومعيداً تقدست اسماؤك وجل ثناؤك وكرم صنعائك وأفعالك أنت إلهي أوسع فضلاً وأعظم حلماً من أنّ تقايسني بفعلي وخطيئتي" [1] .

ومعنى تحبب" تحبب إليه أظهر له المودة والمحبة' فالله سبحانه يعطينا النعم كي نحبه؛ لأن النفس مجبولة بحب من أحسن إليها، فتوالى نعمه تعالى تحبب منه الى عباده"[2].

وبالرغم من أن محبته تعالى صفة تليق بذاته سبحانه وتعالى ولها لوازم منها التوفيق والهداية، إلا أنه عندما يقول (يحبهم ويحبونه)أراد أن يقرب لنا الصورة بهذا المعنى .

المطلب الثالث/ مظاهر حب الله (ﷻ) للعبد:

حب الله (ﷻ) لنا حب لا يقارن ولا يوصف حب الخالق للمخلوق، حب شامل وعام لا يتجزأ، حب كعلمه وقدرته وسائر صفاته الجلالية والجمالية[3] ووظيفة العبد أن يسعى ويجتهد، ليرتقي من الحب العام الذي يستفيد منه المتقي والعاصي الى الحب

---

[1] مصباح المتهجد : أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت 460هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان، ط1، 1411هـ - 1991م، 586 .

[2] شرح دعاء أبي حمزة الثمالي :علي الأحمدي الميانجي، تحقيق: مهدي هوشمند، دار الحديث، ط1 1388هـ، 1/ 122.

[3] المقصود من الصفات الجمالية هي الصفات التي تدل على كمال الله تعالى في وجوده، كالعلم والقدرة والحياة والإرادة والاختيار وما شابه ذلك، وتسمى بالصفات الثبوتية، والمقصود من الصفات الجلالية هي الصفات التي يجلّ الله تعالى عن وصفه بها؛ لأن هذه الصفات تدل على نقص الموصوف بها وعجزه، والله تعالى غني غني مطلقاً ومنزه عن كل نفص وعيب، كالجسمانية والاحتياج الى المكان والزمان والتركيب وأمثاله، وتسمى بالصفات السلبية في مقابل الصفات الثبوتية، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام: جعفر السبحاني، بقلم : جعفر الهادي، مؤسسة الصادق عليه السلام، قم، ط1، 1416هـ -1998، 65.

الخاص، الذي يعرف معناه من تذوق حلاوته عن الإمام السجاد (عليه السلام) قال في مناجاة المحبين:" من ذا الذي ذاق حلاوة حبك فرام منك بدلا"[1].

ومن وصل الى هذه المرحلة في حب الله تعالى فإنّه يعيش حياة خاصة، فهو الحب الخاص الذي يناله القليل، والله(عزّ وجلّ) عادل ولطيف بعباده لا يحرم أحداً من محبته لكن العبد بابتعاده عن طاعة الله ومناجاته يحرم نفسه منه، فاذا سعى العبد في طريق القرب الإلهي يفتح الله(عزّ وجلّ) له آفاق الحب، ومن أبرز مظاهر الحب الإلهي للعبد :

المظهر الأول/ نِعَم الله(عزّ وجلّ) على العباد

يمكن للإنسان أن يلتمس حب الله تعالى في نفسه وفي هذا الكون، وما سخر له من حوله في السماء والأرض، فكل ما في هذه الآفاق مما يراه الإنسان ما هو إلاّ من حب الله (عزّ وجلّ) للعباد، وكل هذه النعم والآلاء والعطاء ما هو إلاّ تجلي حبه لنا ولطفه قال تعالى : ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(سورة النحل/ 18) .

بمعنى أن " لا تضبطوا عددها، فضلا أن تطيقوا القيام بشكرها، وأن الله لغفور يتجاوز عن تقصيركم في إداء شكرها، فلا يقطعكم لتفريطكم فيه، ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها"[2].

وعطاؤه سبحانه عام يشمل الجميع فلا يختص به أحداً، وهو يشمل المؤمن وغيره وكذلك من مزاياه مسخر للجميع لا يمنعها عن أحد، بل يمنعه الإنسان عن نفسه بما كسبت يده، فيحرمها من نِعم الله تعالى، فلو ساروا على الطريق الصحيح لاستمر عليهم الفيض الإلهي.

---

[1] الصحيفة السجادية : الإمام علي بن الحسين عليه السلام ، تقديم : محمد باقر الصدر، المحبين للطباعة، ط1، 1427هـ - 2006م، 320.

[2] تفسير الأصفى : الكاشاني 1/ 644.

ومن محبة الله لعباده ونعمه عليهم إلهامهم الطاعة وذكر الله تعالى "فقد دعا رسول (صلى الله عليه وآله): يا رب وددت أني أعلم من تحب من عبادك فأحبه قال : إذا رأيت عبدي يكثر ذكري فأنا أذنت له في ذلك وأنا أحبه "[1]

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): "إذا أحب الله عبدا ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقهه في الدين وقواه باليقين، فاكتفى بالكفاف، واكتسى بالعفاف"[2].

المظهر الثاني / إرسال الرسل (عليهم السلام) :

ومن مظاهر حب الله (عز وجل) لعباده إرسال الرسل لهم، وإنزال الكتب السماوية بالأحكام الشرعية والأوامر الإلهية، فقد بعث لهم الرسل والأنبياء لإنقاذهم من الشرك والظلم والجهل، ليحركوا عقولهم وفطرتهم المنحرفة ، وحثهم على القسط والعدل ونبذ العداوة والكراهية فيما بينهم وترك ضغائن نفوسهم قال تعالى : ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾(سورة الكهف /56).

أي من لطفه سبحانه بعباده جعل مهمة الرسل والأنبياء تبشير المطيعين بالجنة وإنذار العاصين بالنار وجحيمها وعملهم " لا يقوم على الإجبار والإكراه، بل إن مسؤوليتهم التبشير والإنذار، والقرار النهائي مرتبط بنفس الناس كي يفكروا بعواقب الكفر والإيمان معاً"[3].

المظهر الثالث / خلق الجنة ونعيمها :

ومن فيض حبه تعالى أنه أعد للمتقين والصالحين جنة يعيشون في ظلالها خالدين فيها الى الأبد، ويتنعمون فيها الى جوار ربهم، وفيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت

([1]) سلوة الحزين المعروف بالدعوات : قطب الدين الراوندي (ت 573)، مدرسة الإمام المهدي(عليه السلام)، قم، إيران،بلا طبعة، بلا تاريخ 20

([2]) ميزان الحكمة : الريشهري 1/ 508.

([3]) الأمثل : الشيرازي 7/ 536.

ولا خطر على قلب بشر، فكان حب الله سبحانه لهم وحبهم لله تعالى سبب في مصاحبة الأنبياء والأوصياء، وتظلهم رحمة الله (ﷻ) التي وسعت كل شيء وستكون الجنة ملتقى لمن أحبه الله (ﷻ) وأحبوه والمتحابين فيه قال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(سورة التوبة/ 72) أي "وعدهم بجنات وارفة الظلال، تجري من تحت أشجارها الأنهار لابثين فيها أبداً، لا يزول نعيمها ولا يبيد ومنازل يطيب فيها العيش في جنات الخلد، وذلك هو الظفر العظيم الذي لا سعادة بعده"[1].

والله (ﷻ) أرحم وأكرم من أن يُعرض عمن أحبه، فكلما أقبل العبد على الله تعالى أحبه الله (ﷻ) والى ذلك أشار في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾(سورة مريم/ 96) " الود والمودة المحبة، وفي الآية وعدٌ جميل منه تعالى أنه سيجعل للذين آمنوا وعملوا الصالحات مودة في القلوب، ولم يقيده فيما بينهم أنفسهم ولا غيرهم، ولا بدنيا ولا بآخرة أو جنة، وقد ورد من طرق الشيعة والسنة إنها نزلت في علي (عليه السلام)"[2].

المظهر الرابع/ خلق النار:

وخلق النار أيضاً هي من محبته لعباده فلم يخلقها للانتقام منهم، فسبحانه غني عن ذلك بل خلقها للتخويف والردع عن المعصية والإثم والبغي، ليسلكوا طريق الخير والهداية فيصلوا الى الكمال، وهذا منتهى اللطف والحب قال تعالى : ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾(سورة الزمر/ 16).

---

[1] صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1417هـ - 1997، 1/ 548 .

[2] الميزان : الطباطبائي 14/ 93.

تبين الآية الكريمة شدة العذاب في الآخرة " فذلك وصف من العذاب يخوف الله به عباده ورحمة لهم ليتقوا عذابه بامتثال أوامره"[1].

ويسيروا في طريق الطاعة والإخلاص رحمة منه تعالى .

ودخول النار يكون باختيار الإنسان وسلوكه طريق العدوان والعصيان، فهو أثر طبيعي لعمله، فسبحان الله الذي يتجلى حبه لنا في النعم والعطاء والجنة والنار والثواب والعقاب.

المظهر الخامس/ فتح باب التوبة:

وفتح باب التوبة هو أيضاً من مظاهر محبة الله (ﷻ) للعباد، وهو لا يعجل العذاب من العاصي بالانتقام؛ بل سبحانه يمهل وبابه مفتوح للعودة حتى آخر العمر، فمن محبة الله (ﷻ)أن يعفو ويغفر أكثر مما يعاقب قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(سورة البقرة/ 160).

تدل الآية الكريمة على أن" التوبة لا تحصل إلا بترك كل ما لا ينبغي، ويفعل كل ما ينبغي وأتوب عليهم أقبل توبتهم، فإن التوبة إذا أسندت الى الله بأن قيل تاب الله أو يتوب تكون بمعنى القبول "[2].

وعن الإمام السجاد (عليه السلام) في إحدى مناجاته : " لأن عفوك عني أحب إليك من عقوبتي "[3] .

وتستمر مظاهر الحب الإلهي لنا وتتجلى رحمته(ﷻ) في منح الثواب على مجرد الحب، فمن أحب البر وأقبل على عمل الخير ولم يتمكن منه، فإنّه سوف يثيبه ويجزيه على نواياه الطيبة، فما أجمل محبة الله(ﷻ) وما أعظمها.

---

(1) مجمع البيان : الطبرسي 8/ 391.
(2) تفسير مقتنيات الدرر: الحائري 1/ 374.
(3) الصحيفة السجادية : الإمام زين العابدين (عليه السلام) 190.

المطلب الرابع/ الأعمال المحبوبة و المبغوضة عند الله (ﷻ):

أولا: الأعمال التي يحبها الله (ﷻ).

الحب منهج جعل له الإسلام حدوداً معينة، ومعالم واضحة وقيود تربوية، تسمو بالعواطف والأخلاق الإسلامية، وأوضح وأهم الأعمال التي تجعل العبد محبوباً عند ربه (ﷻ) ومنها :

أولاً : التوكل على الله ﷻ قال تعالى : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(سورة آل عمران /159) قال السبزواري : " التوكل على الله هو تفويض الأمر إليه (ﷻ) فإنه الأعلم بمصالح العباد، والمتوكلين المنقطعين إليه الواثقين به، وإذا أحبَ الله تعالى أحداً كان ولياً وناصراً له ولم يخذله بحال ومحبة الله تعالى هي أعظم الكمالات التي يسعى الإنسان إليها هي الخير بجميع معنى الكلمة"[1].

فعندما يتوكل على الله تعالى في جميع أموره يحس بالرضا والاطمئنان ويكون مصداقاً لمحبة الله(ﷻ) .

ثانياً: الإحسان فان الله تعالى يحب المحسنين والمحسن من يتقن العمل لله (ﷻ ويراقب ربه في كل صغيرة وكبيرة قال تعالى : ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِايدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة البقرة/ 195) قال الطباطبائي في معنى الإحسان " هو الإتيان بالفعل على وجه حسن، ومحبة الله (ﷻ) هو الغرض الأقصى من الدين، وهو الواجب على كل متدين بالدين أن يجلبها من ربه بالإتباع "[2].

---

[1] مواهب الرحمن : السبزواري 7/ 10.

[2] الميزان : الطباطبائي 2/ 54 .

وقال تعالى:﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة آل عمران /134) وقال تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآَمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة المائدة /93) قال السبزواري :" الإحسان صفة كريمة تتصف بها النفس، ويكشف بها كظم الغيظ والعفو عن الناس، والإحسان هو جعل الأشياء في موضعها، واتيان الأعمال على الوجه اللائق بها، ويكفي في منزلة هذا الوصف إن الله يحب المحسنين"[1].

وقال الجزائري: " المحسنون هم الذين يبرون ولا يسيئون في قول أو عمل "[2]

وعليه يعد الإحسان مرتبة عالية من مراتب الإيمان والكمال، وبذلك استحق به محبة الخالق وبه يزداد قربا منه تعالى.

ثالثاً: الصبر خلق رفيع يتحلى به من يحب الله سبحانه ورسوله لمعرفته الحقيقية بهم فهو مطمئن القلب، والصبر صفة المحبين لله (ﷻ)، وبهذه السمة الجليلة رفع يوسف(عليه السلام) مقاماً عليا قال تعالى : ﴿وَكَاينْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة آل عمران 146)" أي أن الربيين مع توارد أنواع الشدائد عليهم صبروا، وكفاهم فخراً أن الله يحب الصابرين، فيوفيهم أجرهم بأحسن وجه ويعظم قدرهم ومنزلتهم " [3].

رابعاً: التقوى قال تعالى : ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾(سورة التوبة /٧)، أفضل ما يتصف به العبد التقوى فهي نابعة من حبه لله (ﷻ) فإنّ التقي لا يحب إلاَّ في الله ولا يبغض إلاّ في الله.

([1]) مواهب الرحمن : السبزواري 6/ 345.

([2]) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير : أبي بكر جابر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، السعودية،ط1، 1423هـ- 2002م، 206.

[3] مواهب الرحمن : السبزواري 6/ 383 .

والوقاية " ما يقي الشيء واتقي الله توقه، أي اجعل بينك وبينه كالوقاية"[1]. و"رجل تقي ويجمع اتقياء معناه أنّه موقي نفسه من العذاب والمعاصي بالعمل الصالح" [2].

والتقوى اصطلاحا :" هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك "[3].

قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾(سورة ال عمران /76) قال الرازي: " بينت الآية الكريمة انقسام الناس الى قسمين بعضهم أهل أمانة وبعضهم أهل خيانة، من يرد الأمانة على الرغم من قلتها أعقبها الله تعالى أن أهل الوفاء بالعهد والتقى هم الذين يحبهم الله لا غيره"[4].

وقال ابن عاشور" و جملة أنّ الله يحب المتقين تذييل في معنى التعليل للأمر بإتمام العهد الى الأجل بأن ذلك من التقوى، أي من امتثال الشرع الذي أمر الله به؛ لأن الاخبار بمحبة الله المتقين عقب الأمر كناية عن كون المأمور به من التقوى"[5].

وقد يكون سبب محبة الله (ﷻ) للمتقي ورضاه بسبب تجاوز نفسه عن المعاصي متوجهاً في قلبه وعمله فيجازيه الله (ﷻ) بالمحبة والهداية بالقرآن قال تعالى :﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾(سورة البقرة/ 2).

والمتقي ينال رعاية الله (ﷻ) التي هي غاية آمال كل المؤمنين الصادقين، وهي من مصاديق المحبة الإلهية والرعاية للمتقي صرف الخوف والحزن عنه قال تعالى : ﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (سورة الاعراف/ 35) أي " لا خوف عليهم بسبب أعمالهم الصالحة، فهم لا يخشون بلوغ الأجل ونهاية الفرصة، كما

---

(1) معجم مقاييس اللغة : ابن فارس 6/ 131 .
(2) لسان العرب : ابن منظور15 : 401 .
(3) التعريفات : الجرجاني 65 .
(4) التفسير الكبير : الرازي 8/ 264 .
(5) تفسير التحرير والتنوير : ابن عاشور 10 / 133 .

الطالب لا يخشى الامتحان وكما البريء لا يخشى المحاكمة، والتقوى هي الجانب النفسي، والإصلاح هو الجانب العملي "[1].

كذلك من آثار محبة الله (ﷻ) لهم يحفظهم من وساوس الشيطان قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (سورة الأعراف/ 201) .

تصور الآية الكريمة حال المتقي إذا حاول الشيطان المساس به، ودور التقوى في نجاته أي "كأنها طافت بهم ودارت حولهم، فلم تقدر أن تؤثر فيهم، وبسبب تذكر مواقع الخطأ ومكائد الشيطان، فيحترزون عنها ولا يتبعونه فيها"[2].

ويرزقهم بركات السماء والأرض قال تعالى :﴿ وَلَوْ أَنَّ أهل الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (سورة الاعراف/ 96).

يقول سيد قطب: "إن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى، بركات في الأشياء وبركات في النفوس، وبركات في المشاعر، وبركات في طيبات الحياة، بركات تنمي الحياة وترفعها في آن وليست مجرد وفرة مع الشقوة والتردي والانحلال، فالبركة قد تكون مع القليل إذا أحسن الانتفاع به، وكان معه الصلاح والأمن والرضا "[3].

وكم من أمة تتمتع بالغنى؛ لكنها تعيش في شقاء وعدم ارتياح وفقدان الأمن بسبب عدم تقواها فتخسر محبة الله(ﷻ) ورضاه.

ومن آثار التقوى يخرجهم من المحن وييسر له أمرهم قال تعالى:﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (سورة الطلاق/ ٢-٣).

([1]) من هُدى القرآن : المدرسي 3/ 34.
([2]) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: المشهدي 5/ 260 .
([3]) في ظلال القرآن : سيد قطب 2/ 1631.

الآية الكريمة تحث على التقوى وترغِّب فيها؛ لأن الله ﷻ يخرج المتقين من الحرام الى الحلال، ومن المعصية الى الطاعة ويغنيهم من فضله ويرزقهم، ومن يتوكل على الله يكفيه من كل شيء وينجيه من مشكلات الحياة، فإن شريعة الحياة فطرية يهدي بها الله تعالى الإنسان ما يضمن سعادته في الدنيا والآخرة[1].

وتكون له حسن العاقبة والنجاة من النار والفوز بالجنة قال تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (سورة النور/ 52) وقال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ (سورة القمر/ 54) وكلما زادت محبة العبد لربه اشتدت رغبته في التقرب إليه، وخاصة أن المحبة هي قيمة جليلة سامية لا تنال بسهولة وتحتاج الى الجهد والسعي فهي من النعم العظيمة .

خامساً: العدل قال تعالى : ﴿فإن جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (سورة المائدة /42) وقال تعالى : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (سورة الحجرات/9).

جاء في تفسير إن الله يحب المقسطين " تعليل يفيد تأكيد على تأكيد كأنه قيل: أصلحوا بينهما بالعدل وأعدلوا دائما وفي جميع الأمور؛ لأن الله يحب العادلين"[2].

وقال تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(سورة الممتحنة/٨) القاسطون العادلون، والعدل صفة جليلة يدعو لها القرآن الكريم حتى مع غير المسلمين المسالمين من غير قيد محدد على المؤمنين[3]

([1]) ينظر: الميزان : الطباطبائي 19/ 277 ، التفسير الكاشف : مغنية 7/ 379.
([2]) الميزان : الطباطبائي 18/ 257.
([3]) من هُدى القرآن: المدرسي 10/ 424.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَايتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(سورة النحل/ 90) وعلى ما تقدم يعد العدل مبدأ مهماً من المبادئ الإسلامية، هو المنهج الذي يدعو له الرسول الكريم، وصفة جليلة لنيل محبة الله (ﷻ).

سادساً: التطهر قال تعالى : ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (سورة التوبة/ 108) من لطف الله(ﷻ) ورحمته بعباده يريد بالإنسان" أن يقف بين يديه في صلاته من موقع الإخلاص والطهارة التي يحبها، ويحب من يتحرك في مواقعها ويسبح في أمواجها، ويحب المطهرين الذين يعملون للطهارة الروحية على مستوى الفرد والمجتمع والحياة كلها في الطريق الى الله في رحابه الفسيحة"[1].

وقال تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(سورة البقرة/ 222) والله يحب المتطهرين الذين يلتزمون بحدوده كاملة؛ لأنّ في إطارها تنمو قيم النظافة الروحية والجسدية، الروحية بالتقوى ،والجسدية بالاغتسال[2].

سابعاً: الجهاد في سبيله قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾(سورة الصف /4) يحبهم الله (ﷻ)؛ لأنهم مصطفين من أجل اعلاء كلمة الحق وسبيل رضوانه، كانوا صفا بلا تبعثر أو تفرق، وكأنهم في شدة ثباتهم واتحادهم البناء المحكم الذي قد رصّ[3].

([1]) تفسير من وحي القرآن : فضل الله 11/ 212.
([2]) من هُدى القرآن : المدرسي 1/ 309.
([3]) ينظر : تقريب القرآن الى الاذهان : الشيرازي 5/ 403 .

وعلى ما تقدم نخلص الى أن كل صفة كمال يحبها سبحانه، فهو مصدر الكمالات وكل عمل يقوم به الإنسان خالصاً لله تعالى، وقاصداً به القربى يكون مدعاة لمحبة الله (ﷻ) ونيل رضاه، وكذلك فإن كل ما ذكر من صفات هذه إنما هي لمصلحة الإنسان فهو وحده المستفيد من نتائجها فلو أخذنا مثلا الصفة السادسة التطهر نجد أنه تعالى نجد أنه عندما يمنع الرجل ممارسة الجنس اثناء فترة الحيض فهو إنما أراد أن يدرأ مضار عدة منها الأمراض المختلفة والفوضى والإتساخ، والاحراج والاشمئزاز ومخاطر اخرى .

ثانيا/ الأعمال التي يبغضها الله (ﷻ):

صرحت الآيات الكريمة بأعمال لا يحبها الله (ﷻ) بل يبغضها ومنها:

أولاً: الإشراك والكفر﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمً ﴾(سورة النساء/48) وقال تعالى : ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِين﴾(سورة ال عمران/ 32).

ومعنى عدم محبة الله للكافرين " إنه يبغضهم، ولا يريد ثوابهم فدل بالنفي على الإثبات وذلك أبلغ؛ لأنه لو قال يبغضهم لجاز أن يتوهم أنه يبغضهم من وجه ويحبهم من وجه آخر، كما يجوز أن يعلم الشيء من وجه ويجهل من وجه"[1].

ثانياً: الاعتداء قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾(سورة البقرة /190) وقال تعالى :﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(سورة الاعراف /55).

من الأعمال التي يبغضها الله (ﷻ) وتقطع حبل المودة الإلهية الظلم وإلحاق الضرر بالعباد والوقوف بوجه دين الله، وليس الحضور في الجبهات وحده يقرب الإنسان منه تعالى، بل إن القرب الإلهي هو في مراعاة أصول العدل والحقوق في ظل

(1) مجمع البيان : الطبرسي 2/ 272.

قعقعة السلاح؛ لأن هدف الحروب الإسلامية ليس الاستيلاء على الأراضي أو استعمار البلدان، بل الهدف منه الدفاع عن الحق عبر استئصال العناصر الفاسدة وتحرير الأفكار وانقاذ البشر من الخرافات[1].

ثالثاً: الفساد قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾(سورة البقرة/ 205) قال تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ ايدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(سورة المائدة/ 64) قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾(سورة القصص/ 77).

لهذا فإن الفساد يشمل جميع الظواهر السلبية والانحرافات في المجتمع وسبب لبغض الله تعالى، ومنع الإنسان ما يجب عليه من الحقوق وإنفاق الأموال في المعاصي هو من طلب الفساد، والله لا يحب المفسدين أي لا يريد منافع من يفسد في الأرض، ولا يريد أن يفعل بهم ثواب الجنة[2].

رابعاً: التكبر قال تعالى : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(سورة لقمان/ 18).

ينهى الله (ﷻ)عن التكبر والإعراض عن حوائج الناس، ونهى أيضا عن المشي المرح وهو مشي الكبر والخيلاء " ومعنى لا يحب يكره، لما سبق من التلازم بين عدم حب الله لشيء وكراهته له، ولعل التعبير بلا يحب لإفادة أن مجرد عدم محبة الله كاف في ترك الإنسان لشيء، فكيف إذا كرهه"[3].

([1]) ينظر : تفسير النور : قراءتي 1/ 292.
([2]) التبيان : الطوسي 8/ 178 .
([3]) تقريب القرآن الى الأذهان : الشيرازي 4/ 272.

خامساً: الظلم قال تعالى : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾(سورة الشورى/40) وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة آل عمران/ 57).

الله (ﷻ)لا يحب الظالمين ولا يرحمهم ولعل الآية ناظرة الى " جميع معاني الكفر والأعمال السيئة داخلة في مفهوم الظلم بمعناه الواسع، ومن الواضح أن الله لا يحب الظالمين ولا يقدم على ظلم عباده بل يوفيهم أجورهم بالكامل"[1].

سادساً: الخيانة قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (سورة النساء/107).

وقال تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (سورة الأنفال/58) الدين الإسلامي يرفض الخيانة بكل أشكالها، وفي أي مجال من مجالات الحياة، ويرفض كل قيمة سلبية في حياة الفرد والمجتمع، ولا يقبل بأي عاطفة تجاه الخائنين سواء بالمشاعر أو العمل وعدم الدفاع عنهم وينبغي مواجهتهم " فكيف يمكن للإنسان المسلم أن يحب من لا يحبه الله، مع أن علامة إيمان المؤمن هي أن يحب من يحبه الله، ويبغض من يبغضه الله؛ بحيث من يكون شعوره السلبي والإيجابي تبعاً لإيمانه في ما يوحيه من مشاعر وعواطف "[2].

سابعاً: الإسراف قال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(سورة الأنعام/141).

الله سبحانه وتعالى هو المنعم على الإنسان بألوان النعم، ومنها البساتين والثمار وغيرها، وسخر له الانتفاع بها بيد أن الانتفاع بالطيبات يجب أن يكون في حدود

([1]) الأمثل : الشيرازي 2/ 297.
([2]) تفسير من وحي القرآن : فضل الله 449/7.

الحاجة دون الإسراف، وهذا ما بينه القرآن الكريم، ولأنه لا يحب المسرفين فسوف لا ينصرهم ولا يزيدهم من نعمه[1].

ثامناً: القول الفاحش : ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (سورة النساء/ 148).

ومعنى السوء من القول " كل كلام يسوء من قيل فيه كالدعاء عليه، وشتمه بما فيه من المساوئ والعيوب فكل ذلك لا يحب الله الجهر به وإظهاره، ومن المعلوم أنه تعالى منزه من الحب والبغض على حد ما يوجد فينا معشر الإنسان وما يجانسنا من الحيوان، إلا أنه لما كان الأمر والنهي عندنا بحسب الطبع صادرين عن حب وبغض كني بهما عن الإرادة والكراهة وعن الأمر والنهي"[2].

وعليه فأن الله (ﷻ) لا يحب كل من يجهر بحديث سيء وسلبي، كالغيبة واتهام الناس والتنابز بالألقاب، وإنه سبحانه عندما يبغض شيء فمن المؤكد فيه ضرر للعباد وسوف يعاقب فاعله، وغيرها من الأعمال التي يبغضها الله(ﷻ) وإن محبة الله من أعظم المقامات السامية فهي سبيل السير إليه وتسوق العبد للقرب منه تعالى.

وعليه فان كل ما كرهه الله من العباد انما كان لمصلحتهم ومن ذلك:

1- لكي يعيش المجتمع المسلم حالة هدوء وطمئنينة وسكينة
2- لكي يعيش الإنسان مطمئن الضمير فكل من ارتكب اثما بحق غيره يصبح معذب الضمير وهذه سجية منحها الله لعباده، لكي لا يخطئوا بحق الأخرين

المبحث الثاني : محبة العبد لله تعالى

حب العبد لله (ﷻ) عقيدة راسخة في قلوب المؤمنين، لأنه سبحانه مستحق للحب فهو المالك لجميع الصفات الحسنى .

([1]) ينظر : من هُدى القرآن : المدرسي 2/ 435.
([2]) الميزان : الطباطبائي 5/ 107.

المطلب الأول/ مفهوم حب العبد لله تعالى:

من أسمى العواطف التي يتحدد بها مسير الفرد في الدنيا و مصيره في الآخرة العاطفة تجاه الله(ﷻ) ورسوله وآله (عليهم السلام)، وهو من أكثر العواطف تأثيراً على الإنسان وتحديداً لمساره في مختلف الجوانب والأبعاد بل نجد الروايات تشير الى الحب "وهل الدين إلاّ الحب "[1].

إذ يبين الحديث الشريف إن الإيمان بالله وحبه هي روح الدين وحقيقته، ويتجلى هذا الحب في اتباع أوامر الله (ﷻ)وطاعة رسوله واجتناب نواهيه، ويُسمي حب العبد لله تعالى بالحب العقلي[2] لأنه يحدث عند الإنسان بعد معرفة الله تعالى وإدراك عظمته وقدرته.

وكما ذكرنا سابقاً أن الله (ﷻ)هو مصدر الحب والكمال المطلق والمالك لجميع الكمالات بالأصالة، والجلال والمنعم بلا حدود، فمن الطبيعي أن تنجذب إليه القلوب المحبة، وتعشقه النفوس والأرواح الطاهرة فكل من يعرف الله (ﷻ) حق معرفته من تجلياته سبحانه في قدرته ورحمته ونعمه وعطائه ومختلف دلائل لطفه وحكمته فلا بد أن يحبه ويعشقه وهذا ما تدركه العقول السليمة قال تعالى : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (سورة الرحمن/6) وكلما تنامت معرفه العبد بربه ازداد حبا الله وايماننا وتوجهاً إليه قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أشد حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (سورة البقرة /165).

---

[1] مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: أبي الفضل علي بن الحسن الطبرسي، تحقيق: مهدي هوشمند، دار الحديث، ط1، 1418هـ، 620 .

[2] ينظر: المعجم الفلسفي : جميل صيليبيا 148.

قال الطوسي في معنى الآية " المحبة الإرادة، وإذا أحب الله تعالى عبدا فمعناه إنّه يريد ثوابه وتعظيمه، وإذا قال أحب الله معناه أريد طاعته واتباعه أوامره، والذين آمنوا أشد حبا لله ففي معناه قولان.

أحدهما أشد حبا لله للإخلاص له من الإشراك به، والثاني لأنهم عبدوا من يملك الضر والنفع والثواب والعقاب فهم أشد حبا لله ممن عبد الأوثان "[1].

وقال الطبرسي " يعني حب المؤمنين فوق حب هؤلاء، وحبهم أشد من وجوه

أحدهما: إخلاصهم العبادة والتعظيم له والثناء عليه من الإشراك، ثانيهما : إنّهم يحبونه عن علم بأنّه المنعم ابتداء وأنه يفعل بهم في جميع أحوالهم ما هو الأصلح لهم في التدبير وقد أنعم عليهم بالكثير فيعبدونه عبادة الشاكرين ويرجون رحمته على يقين ولا بد أن يكون حبهم له أشد.

ثالثهما : إنّهم يعلمون أنّه له الصفات العلا و الأسماء الحسنى وأنه الحكيم الخبير الذي لا مثيل له ولا نظير يملك النفع والضر والثواب والعقاب وإليه المرجع والمآب فهم أشد حبا لله من عبدة الأوثان" [2] .

أما صاحب الميزان فقد عد الآية الكريمة دليل الحب الحقيقي لله تعالى بقوله " في الآية دليل على أنّ الحب يتعلق بالله تعالى حقيقة خلافاً لمن قال: إن الحب هو وصف شهواني يتعلق بالأجسام والجسمانيات ولا يتعلق به سبحانه حقيقة، وإن معنى ما ورده من الحب له الإطاعة بالائتمار بالأمر والانتهاء عن النهي تجوزا كقوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله اتبعوني يحببكم الله﴾ (سورة آل عمران 31) والآية

---

[1] التبيان : الطوسي 4 / 193.
[2] مجمع البيان : الطبرسي 1/ 347.

حجة عليهم فإنّ قوله تعالي أشد حبا لله يدل على أنّ حبه تعالى يقبل الاشتداد وهو من المؤمنين أشد منه في المتخذين لله أندادا"[1] .

ونظيره قول السبزواري بأن ذلك الحب حقيقي والذين آمنوا أشد حبا لله " لاعتقادهم بأنه جامع لجميع الصفات الحسنى، فإنه مرجع الكل ومنتهاه وإنه أرحم الراحمين وله القدرة والسلطان، وإنّ عنده مفاتح الغيب وأنّ عنده الثواب والعقاب فكان عرفانهم له أتم، وحبهم أشد وحب الذين آمنوا بالله تعالى ليس كالحب الحاصل من الشهوات النفسانية، بل له واقع غيرها فكان هذا الحب هو الحب الحقيقي الذي يربط بين الخالق والمخلوق "[2] .

وبذلك يثبت الحب الحقيقي ولا يتوافق مع من قال بالمجاز " ولو كان المراد بالحب هو الإطاعة مجازاً، كان المعنى والذين امنوا اطوع لله ولم يستقم معنى التفضيل؛ لأن طاعه غيرهم ليست بطاعته عند الله سبحانه فالمراد بالحب معناه الحقيقي.

واستدل بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (سورة التوبة/ 25) فإنها ظاهرة في إن الحب المتعلق بالله والحب المتعلق برسوله والحب المتعلق بالآباء والأبناء والأموال وغيرها جميعا من سنخ واحد لمكان قولها حب إليكم وأفعل التفضيل تقتضي اشتراك المفضل والمفضل عليه في أصل المعنى" [3].

---

[1] الميزان : الطباطبائي 1/ 406 .

[2] مواهب الرحمن : السبزواري 2/ 315 .

[3] الجوهر الثمين في تفسير القرآن الكريم : عبد الله شبر، مراجعة وتعليق: اسامة الساعدي، ذوي القربى، قم إيران، ط1، 1431هـ،406/1.

و ممن رفض القول بالمجاز في محبة العبد لله ابن عاشور بقوله " زعم هؤلاء أنّ تعلق المحبة بالله مجاز مرسل في الطاعة والتعظيم، بعلاقة اللزوم لأنه طاعة المحب للمحبوب لازم عرفي لها أو مجاز بالحذف والتقدير: يحبون ثواب الله أو نعمته لأن المحبة لا تتعلق بذات الله، إما لأنها من أنواع الإرادة، والإرادة لا تتعلق إلاّ بالجائزات، وأما لأنها طلب الملائم واللذة لا تحصل بغير المحسوسات وكلا الدليلين ظاهر الوهن"[1].

ولما كان الله سبحانه مستحق الحب، فعلى المحب أنّ يركز انتباهه على المحبوب ويذكره كثيرا، فكلما اهتم به وذكره زاد حبه، فهي علاقة متبادلة بين الذكر والمحبة واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون، فالمحبة دافع للذكر، والإنسان إذا زاد ذكره تزداد محبته وبالعكس عندما يترك الإنسان ذكر محبوبه سوف ينساه تدريجيا، ويصبح بعيداً عن قلبه، وكلما يستمر العبد في ذكر الله تعالى ويداوم على ذلك تدوم محبته كذلك وكلما زاد المحبوب كمالاً اشتدت المحبة .

وبذلك تكون محبة العبد لله قرين الإيمان به نقرأ في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) " وفرغ قلبي لمحبتك واشغله بذكرك"[2] ونقرأ أيضاً في دعاء كميل واجعل لساني بذكرك لهجا وقلبي بحبك متيما[3]وبذلك نجد التلازم بين الحب وذكر الله (عز وجل)، أما القلب المقبل على الدنيا والذي تسكنه آمالها، فهو بعيد عن حب الله (عز وجل).

وقال السمرقندي في المحبة المتبادلة بين الله تعالى وبين العبد :" تحبون الله أي تقصدون طاعته، فافعلوا ما أمركم به الله (عز وجل)؛ لأن محبة الإنسان لله وللرسول طاعته

---

(1) التحرير والتنوير : ابن عاشور 2/ 90 .

(2) الصحيفة السجادية : من أدعية الإمام زين العابدين 115.

(3) ينظر: مفاتيح الجنان : عباس القمي، تحقيق: علي آل كوثر، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم 101.

له ورضاه بما أمر، والمحبة من الله عفوه عنهم وانعامه عليهم ورحمته، ويقال: الحب من الله عصمته وتوفيقه والحب من العباد طاعة"[1].

وكلما ازداد حب العبد لله تعالى تفكر في قدرته وعظيم صنعه وفضله الدائم واشتغل بالتقرب اليه ورغب في ذكره وطاعته، واتبع رسوله الكريم والمعصومين (عليهم السلام)، وهنا يتأكد حبه ليزداد اطمئنانا فحب الله (ﷻ)يزيد الإنسان عزة ورفعة ويصبح همه رضا الله (ﷻ) وبذلك يشعر بقيمة الحياة، ونحن مرتبطين بالله (ﷻ) الذي ينور عقولنا وقلوبنا.

فمن الطبيعي للإنسان أن يحب الله (ﷻ) لرحمته به ولفضله سبحانه وكرمه وما رزقه من النعم وما سخر له من المخلوقات قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (سورة لقمان / 20).

وكذلك لطف الله (ﷻ) قال تعالى : ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (سورة الشورى/ 19). وقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (سورة هود/ 90) وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ (سورة البروج/ 14)وقال تعالى:﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(سورة الحجر/ 49).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (سورة ق/ 16)" هو تعبير كنائي عن القرب الإلهي من الإنسان بالمستوى الذي لا يدنو فيه إليه أقرب أعضائه الممتزج بمجاري دمه "[2]وحبل الوريد هو" عرق يتفرق في البدن يخالط الإنسان في جميع أعضائه، وقيل: هو عرق في

([1]) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم : أبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي (375هـ) تحقيق وتعليق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1، 2006-1427م، 1/ 234.

[2] من وحي القرآن : فضل الله 21 / 179 .

الحلق، وقيل في القلب يعني نحن أقرب إليه من قلبه"[1] والكثير من الآيات الأخرى التي تدل على لطف الله تعالى ورحمته.

فحب العبد لله (ﷻ)هو أدنى مراتب شكره على نعمه وفضله، بل يعد ذلك من ثوابت العقيدة ولا يكمل إيمان الإنسان إلا بحب الله (ﷻ)وتفضيله على حب غيره، عن الإمام الصادق (عليه السلام):" لا يمحض رجل الإيمان بالله حتى يكون الله أحب إليه من نفسه وابنه وأمه وأهله وماله ومن الناس كلهم"[2].

ويكون حب الله (ﷻ) أساس علاقة الإنسان بنفسه وبالآخرين، وكلما ازداد حب الإنسان لله(ﷻ) ازداد حبه لخلقه، وحب الله سبحانه ليس فقط عاطفة، بل هو عقيدة فذة تترسخ كلما فكر الإنسان وتدبر في قدرته وفضله، ويتجلى الحب للخالق أيضاً باتباع الرسول وأهل البيت الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، وطاعتهم والسير على نهجهم والوصول للتكامل الروحي والفكري بالرجوع الى القرآن الكريم وأهل البيت (عليهم السلام) يدخل الإنسان في المحسنين والمتطهرين والتوابين والمتقين الذين شهد الله (ﷻ) بحبهم.

فالعبد المخلص لله بالحب لابد أن يحبه الله تعالى كما أنّه يحب الله(ﷻ) " غير أنّ الله سبحانه لا يعد في كلامه كل حب له حباً، والحب في الحقيقة هو العلقة الرابطة التي تربط أحد الشيئين بالآخر على ما يقضي به ناموس الحب الحاكم في الوجود فإن حب الشيء يقتضي حب جميع ما يتعلق به ولوجب الخضوع والتسليم لكل ما هو في جانبه، والله سبحانه هو الله الواحد الذي يبتغي إليه الوسيلة فمن الواجب أن يكون حبه

---

(1) مجمع البيان: الطبرسي 9/ 216.
(2) فلاح السائل : علي بن موسى ابن طاووس(ت1193هـ)، المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف، 1965هـ، 101 .

والاخلاص له بالتدين له بدين التوحيد، وطريق الإسلام على قدر ما يطيقه ادراك الإنسان وشعوره"[1].

فمن اتبع هذه الشريعة المبنية على الحب أحبه الله تعالى وذلك أفضل جزاء المحبين.

فالحب عاطفة تترجم الى ممارسات سلوكية لفظية أو حركية في طريق الحب الإلهي فعن الإمام السجاد (عليه السلام): " أسالك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يوصلني الى قربك يجعلك أحب إليَّ مما سواك"[2].

فعندما يرتقي الإنسان بحب الله (عز وجل) فإنه سوف يسير في طريق رضوانه.

يقول فضل الله " إن الحب في المفهوم القرآني لا يتمثل في العاطفة المجردة، بل يتمثل في العاطفة التي تتحول الى مواقف عملية في اتجاه خط الحب، وقد يتطور المفهوم في اعتبار المواقف العملية المضادة دليل على ضعف الحب أو عدم جدية العاطفة و صدقها "[3].

المطلب الثاني /تجليات محبة العبد لله عز وجل :

تتجلى محبة العبد لله بأن يكون الله (عز وجل)ورسوله أحب إليه من كل شيء ولا يحب إلا الله سبحانه والمحرك لمحبة الله(عز وجل) الذكر الدائم والاعتراف بنعمه قال تعالى : ﴿ يَا ايهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾(سورة الاحزاب41 – 42)وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ (سورة النحل/ 53)عندما يتأمل العبد في نعم الله وآلائه، وما سخر له في الحياة فلا بد من أن يحب الله، وبالتالي توحيد الله (عز وجل) ليس فقط في العبودية والربوبية والطاعة بل توحيده في المحبة أيضاً قال تعالى : ﴿ومن النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ

---

[1] الميزان : الطباطبائي 3/ 140 .

[2] الصحيفة السجادية: من ادعية الإمام زين العابدين عليه السلام 320.

[3] من وحي القرآن : فضل الله 3/ 163 .

كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أشد حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾(سورة البقرة/ 165).

يقول الشيرازي في تفسير الآية " والذين آمنوا أشد حباً لله؛ لأنهم أصحاب عقل وإدراك يفهمون أن الله سبحانه مصدر كل الكمالات، وهو وحده اللائق بالحب ولا يحبون شيئا آخر إلاّ من أجله، وقد غمر الحب الإلهي قلوبهم، الحب الحقيقي يتجه دائماً نحو نوع من الكمال فالإنسان، لا يحب العدم والنقص بل يسعى دوما وراء الوجود والكمال، لذلك كان الأكمل في الوجود والكمال أحق بالحب، الآية أعلاه تؤكد إن حب المؤمنين لله أشد من حب الكافرين لمعبودهم، فلا يستوي من يحب عن عقل وبصيره، ومن يحب عن جهل وخرافة وتخيل"[1] .

ويحب الله(ﷻ) من يعرفه معرفة حقيقة ويعرف عظمته لذا فإن " شدة المحبة مرهونة بعظمة المحبوب من جهة ولعمق معرفة المحب من جهة أخرى، وكل ذلك يؤدي الى أن يكون حب الإنسان العاقل القائم على أساس الرؤية الكونية الإلهية بأن الأمور كلها بيد الله أشد وأقوى والذين آمنوا أشد حباً وهذا يعني إن إتِباعهم الله المحبوب هو الأكمل والاكثر صفاء وخلوصاً "[2].

وكذلك الدين الإسلامي يدعو الى المحبة محبة الله (ﷻ) ومحبة الدين ومحبة الرسول وآله، والمحبة من أجمل صفات الحياة الروحية والعاطفية لها مكانتها في المجتمع الإسلامي والعقدي .

فيكون دين الإسلام دين يعتمد على المحبة ويؤكد عليها، ويدعو الإنسان الى حب الخير للآخرين، ومن محبة الله تعالى تنبع محبة رسوله وشريعته وكتابه، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

---

(1) الأمثل : الشيرازي 1/ 389 .

(2) تفسير تسنيم : عبد الله الجوادي الآملي الطبري، تحقيق: عبد المنعم الخاقاني، دار الاسراء للنشر، ط2، 2011م، 8 / 273 .

(سورة آل عمران/ 31) " خط الرسالة التي جاء بها الرسول ليخرج الله بها الناس من الظلمات الى النور، يتجسد فيه رضا الله ومحبته التي يبادل بها عباده محبة بمحبة ومن الطبيعي إن محبة الله لنا ليست عاطفة وانفعالا، ولكنها الرحمة والرضا والمغفرة كما ان محبة الناس لله في ما تريد أن تثيره الآية، لابد من أن يكون إيماناً وعملاً مع خط الرسالة والرسول "[1] .

كذلك فإنّ الله(ﷻ) يحب من أحب كتابه ورسوله واتبع أوامره، ويحب كل من اخلص اليه ولاذ به وان الله(ﷻ) محبوب الاتقياء و المؤمنين الذين ولهت قلوبهم بذكره.

وإنّ حب العبد لله سبحانه لا ينافي حبه لأبنائه أو والديه أو زوجه أو أي أحد من أرحامه فهذا حب فطري؛ لكن ينبغي أن لا يتقدم حب أحد على حب الله (ﷻ) قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾(سورة التوبة /24) وبالتالي يحذرنا القرآن الكريم من الانشغال عن محبته ومحبة رسوله بمحبة غيره لأن الله (ﷻ) هو المعبود والمستحق للعبودية فله الحب أيضاً، وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة؛ لأن" الله هو النور هو الحق والعدل والخير والسلام فمن أحب النور والحق والعدل والخير والسلام فقد أحب الله؛ لأن الله هو الحب"[2].

وحبنا لله (ﷻ) لا يعني أن لا نحب أحداً غيره بل يعني أنّ لا يتقدم حب الناس على حبه (ﷻ) عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال :" القلب حرم الله فلا تسكن في حرم الله غير الله"[3].

---

[1] من وحي القرآن : فضل الله 5/ 335 .
[2] الحب في القرآن الكريم : محمود بن الشريف، دار ومكتبة الهلال، 1983م، 21 .
[3] بحار الأنوار : المجلسي 67 / 26 .

ويمكن أن نستكشف حب الله تعالى لنا و نعبر عن حبنا لله (ﷻ) إذ " إن طبيعة الحب من ناحية الرسالة نستطيع أن نفهمه، من خلال الاطلاع على تخطيط الله لنا اسلوب التعامل معه في الوقوف بين يديه، وفي ممارستنا للمسؤولية أمامه، وفي الانضباط في الخط المستقيم العملي لديه وفي كيفية العمل من خلال رسالاته في الحياة مما يعني أن يكون التعبير عن الحب العمل الصالح الذي يحبه ويرضاه" [1] .

وجاء في القرآن الكريم نصوص تمدح العبد الذي يخاف الله سبحانه، ومخافة الله تعالى هنا تعني العلاقة التي تقوم على الحب لا الخوف؛ لأنه سبحانه ليس مصدر للخوف، بل هو الحب المطلق ورحمته وسعت كل شيء ومصدر للحب والجمال والجلال.

والخوف ينبغي أن يكون من عاقبة ذنوبنا ومن خطايانا قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (سورة الرعد /21) ومخافة الله (ﷻ) يجب أن تكون حاضرة في كل فكرة وشعور وكل فعل، فخوف العبد من الله(ﷻ) فيه مصلحته في الدنيا والآخرة ليسير في طريق محبة الله تعالى ورضوانه

وبسبب ذلك الحب يتوجه الى طاعة محبوبه لا الى معصيته، فالخوف لا يصنع الحب في حين إن الحب يدفع العبد الى مخافة الله (ﷻ)لأن صاحب المحبة الحقيقية لله (ﷻ) لا ينظر كثيراً الى الجنة وملذاتها، وإنما يسعى الي ما هو أنبل و أرقى، وهو رضوان الله ﷻ وحبه وبلوغ معدن العظمة فهذا امتثال، فكل نعيم الجنة لا قيمة له في مقابل ما يشعر به من أحب لله (ﷻ).

والوصول الى هذه المرحلة ليس بالأمر الهين ولكنه ليس متعذر، فمن أولى الخطوات للوصول الى محبة الله تعالى، هو الالتزام بما أنزل سبحانه على رسله من

[1] من وحي القرآن : فضل الله 3/ 35 .

أوامر ونواهي، فالمحبة لا ينالها العبد بمجرد القول والادعاء، كما جرى مع بعض الأقوام قالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه وقد ردهم القرآن الكريم وفنّد ادعاءهم قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾(سورة المائدة /18) إنما محبة الله (ﷻ) تنال بالتزام خط الطاعة واتباع الرسل والسير بنهجهم.

وكذلك التأمل والتفكر في آلاء الله (ﷻ) وآياته وكماله وحكمته وقدرته فذلك من دواعي محبة الله (ﷻ) وذلك بدوره أيضاً يرسخ الإيمان في قلب العبد.

فعلى الإنسان أن يسعى للمحافظة على ارتباطه الروحي بخالقه ومحبته وعشقه له حتى لا يترك مجالا للأهواء لتحركها ويطلب من الله (ﷻ) أن يوفقه ليصل الى درجة المحبين .

وقدم القرآن الكريم السبيل لضمان محبة الله قال تعالى " ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(سورة آل عمران /31)فمن يسير على نهج محمد وآله يضمن له القرآن الكريم أنّه ممن يحبهم الله (ﷻ)، وحبه تعالى مرتبط بالعمل لا ينفك عنه؛ لأن " محبة الله تعالى للعبد هي غاية ما يسعى إليه أولو العلم في الحياة، وطريق الحصول على محبة الله تعالى للعبد هو اتباع النبي محمد (صلى الله عليه وآله) والإيمان بما جاء به، واتباع شرعه وطاعته، وأن دعوى محبة الله ورسوله مع مخالفة أمرهما ونهيهما دعوى باطلة"[1].

الذين يحبهم الله (ﷻ)وصفهم بانهم أعزة على الكافرين أذلة على المؤمنين مجاهدين في سبيله، والله (ﷻ) من لطفه بعباده ومحبته لهم هيأ لهم كل ما يجذبهم نحو الكمال ويوصلهم الى درجة المقربين قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾

(1) أيسر التفاسير : الجزائري 170.

(سورة الواقعة/ 10 _11) ولقد وضح لنا الخط الرسالي والفطرة وجعل في رسوله إسوة حسنة وحبب الإيمان الى نفوسنا وزينه في قلوبنا وكره لنا الكفر و المعصية قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمان وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّأشدونَ﴾ (سورة الحجرات/ 7).

جاء في تفسير الآية" حبب اليكم الإيمان في ذكر ثوابه ومدح فاعليه على فعله وكره الكفر بذكر عقابه وذمه فاعليه على فعله"[1].

أي أنّه سبحانه يحبب الإيمان ويزينه في القلوب " بما أودع فيها من محبة الحق وإيثاره، وبما نصب على الحق من الشواهد والأدلة الدالة على صحته وقبول القلوب والفطر له، وبما يفعله تعالى بكم من توفيقه للإنابة إليه ويكره إليكم الكفر والفسوق أي الذنوب الصغار بما أودع في قلوبكم من كراهة الشر وعدم إرادته"[2].

يبدو أنّ التزيين في الآية الكريمة هي تهيئة قلوبهم وإعداد نفوسهم بما يجعلها متعلقة بحب الله (ﷻ) تعلق يناسب الفطرة الصافية التي ولدوا عليها.

وعلى ما تقدم نخلص الى أن الإنسان يحب الله (ﷻ)؛ لأنه هو الكمال المطلق وأسبغ نعمه عليه من الرحمة والمغفرة والقرب وإجابة الدعوات والفضل، و نعمه على العباد لا تعد ولا تحصى فكيف بالإنسان لا يحب الله سبحانه، وجميع الصفات لله (ﷻ) تجعل الإنسان يزداد حباً لله حبا يختلف عن حبنا للناس؛ لأن صفاته (ﷻ) هي عين ذاته إذا التفكر والتأمل بصفات الله تعالى يجعل الإنسان يزداد حباً لله.

وبين محسن قراءتي سبب محبة المؤمن لله تعالى " إن جذور المحبة تعود الى خصلة حب الكمال والجمال، فإنّ المؤمن يرى في الله تعالى مصدر الكمالات والجمال

---

[1] مجمع البيان : الطبرسي 4/ 123 .

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت1376هـ)، قدم له : عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ- 1999م، 744.

لذلك فهو يشغف به حبا إنّ عشق المؤمن ومحبته تقوم على أساس جدارة الحبيب واستحقاقه؛ لأنه وحده اللائق لهذا الحب ولا يذوي بريق هذا الحب ولا تنطفي شعلته في قلبه" [1] .

والحب في طبيعة البشر حاجة فطرية فكل إنسان يريد أن يحب ويكون محبوباً ويدفعه ذلك الى معرفة الله (ﷻ)، والبحث عن صفات الكمال فيه فتكون عبادته عن محبة وعليه يكون الله (ﷻ)هو المحبوب الحقيقي، والسبيل الطبيعي ليرتبط الإنسان عاطفيا بغيره هو أن يعمل على رضاهم وجلب مودتهم، وهذا الأمر فطري أيضاً وترك كل ما يؤذي المحبوب لإقامة روابط عاطفية معه، إذا أراد الإنسان من إقامة مثل تلك العلاقات والصلة مع الله(ﷻ) فعليه أن يرضى، ويفعل ما أمر به وينهى عما نهى عنه وعند ذلك يكون مثل هذا العبد محبوباً عند الله (ﷻ)[2].

وعرض القرآن الكريم نماذج كثيرة مثال ذلك داوود (عليه السلام) لذا نجد أنّ الله ﷻ تفضل عليه بمنصب الحكم والقضاء والنبوة .

ولا يقبل من العبد عاطفة الحب بالله (ﷻ) فقط؛ بل لا بد للحب أن يكون مقترناً بالعمل الصالح والطاعة قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(سورة آل عمران/31) طاعة الله ﷻ تتحقق باتباع الرسول (صلى الله عليه وآله) ولأجل أن يصل الإنسان الى درجة الحب الحقيقي لابد أن يتبع الرسول وأهل البيت (عليهم السلام) سلوكاً و عملاً وخلقاً؛ ولأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الخلق العظيم يجب اتباعه قال تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (سورة القلم/4).

---

[1] تفسير النور : محسن قراءتي 1/ 243 .

[2] ينظر: تفسير من وحي القرآن : فضل الله 337.

أما عملاً قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾(سورة الاحزاب/ 21) فإذا صدق العبد في اتباعه الرسول عملا وخلقا فمن المؤكد يكون من المحبين لله (ﷻ).

ومن أجمل صور الحب للكمال المطلق في القرآن الكريم تتجلى في مشاعر السيدة مريم (عليها السلام) التي منّ الله عليها وكان يرزقها بفاكهة الصيف في الشتاء وبالعكس قال تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (سورة آل عمران 37) هنا دعا زكريا (عليه السلام)ربه إذ انتبه لما قالت مريم فعرف أن الله إذا أحب عبدا أكرمه، فَلِمَ لا يطلب من الله الذرية؛ لأنه تعالى اكيد بحبه كما أحب مريم فصارت قريبة منه تعالى.

وكل مؤمن يمكن أن يشعر بالقرب الإلهي والاطمئنان والسكينة من خلال حب الله (ﷻ) والذكر، قال تعالى:َ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا ايمَانًا مَعَ ايمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (سورة الفتح/ 4).

والمحصل أنّ حب الله (ﷻ) يتجلى بعبادته وطاعته، ولابد أن تكون العبادة مخلصة قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (سورة الزمر/ ٢_٣) وليس هذا فقط بل أن المؤمن إذا أحب عمل قوم احبه الله وحشره معهم والفاسق إذا أحب عمل قوم حشر معهم.

المطلب الثالث/آثار حب الله تعالى في الدنيا والآخرة:

اذا استقر حب الله (ﷻ) في قلب العبد فمن الطبيعي أن يترك أثراً طيباً في حياته ومن هذه الآثار :

أولاً : ينال العبد الأمن والاطمئنان والسكينة وتستقر نفسه وروحه قال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾(سورة الرعد/ 28). فيطمئن قلب المؤمن بحب الله عن الإمام الحسين (عليه السلام) " ماذا وجد من فقدك؟ وما الذي فقد من وجدك"[1].

ثانياً : التزام العبد في القول والفعل فالمحب دائماً يسعى لإرضاء محبوبه ويبتعد عن غضبه قال تعالى" ﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾(سورة آل عمران 31) ولما كان الله (ﷻ) مصدر الحب والكمالات والجلال فالعبد الذي يحبه حب حقيقي ولا يشارك غيره في هذا الحب.

ومن آثار المحبة مناجاة المحبوب والخشوع له؛ لأنه يسعى دائماً لاستغلال الفرص ليظهر محبته فإذا أدى العبد لوازم المحبة اشتدت رغبته في الصلة أكثر بخالقه قال تعالى : ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعون وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (سورة الذاريات/17) إذ إن المحبوب يحب الخلوة بمحبوبه ويرتبط به ارتباطاً خاصاً ويشكو له ويحاوره ويبين له حبه إذ تقوى علاقة العاطفة بمن يحب في منتصف الليل لا يراهم أحد في ذلك فيوفقه الله (ﷻ) الى "الهداية الى الصراط المستقيم وكشف الحجب عن قلبه وتوفيقه لما يحبه (ﷻ) والتوجه إليه ولا يصل العبد الى هذه المراتب الا بإتباع الشريعة المقدسة اعتقاداً وقولاً وعملاً "[2].

---

[1] بحار الأنوار : المجلسي 59/ 225 .

[2] مواهب الرحمن : السبزواري 2/ 315 .

ثالثا : من أحب الله (ﷻ) فاز بمحبته تعالى ونصرته وتوفيقه له، ويحظى برعايته ويضاعف له الخيرات، إذا حاز المرء على حب الناس فهذا من دواعي السعادة، فكيف بمن يظفر بمحبة الله (ﷻ) فهو من أهل السعادة لا محالة، وحب الله(ﷻ)للعبد وارد في القرآن الكريم بدليل قوله : ﴿ يَا ايهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(سورة المائدة/ 54)وقد صرح القرآن الكريم بأوصاف خاصة لمن يحبهم الله سبحانه هم أهل الاخلاق والتقوى والفضائل وبين ذلك السبزواري بقوله " اتصاف العبد بجميع الكمالات المعنوية وارتفاعه في المقامات العالية والابتعاد عن الرذائل والتجافي عن دار الغرور والإنابة الى دار الخلود فإن للملكات النفسية تأثيرات في ذات النفس وكذا بالعكس "[1].

رابعا: النجاة من النار عندما يأتي اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون هنا تظهر ثمار محبة الله (ﷻ) في ذلك الموقف يشعر المحب بالأمن والاطمئنان في ظل محبته سبحانه وسبب نجاته من النار وإذا ما خلا قلبه من حب الله(ﷻ) فإنّه سوف يحشر مع من أحب قال تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (سورة الشعراء/ 88 -89) " أفضل ما ينجي يوم القيامة هو القلب السليم و يا له من تعبير رائع يتجسد فيه الإيمان والنية الخالصة والعمل الصالح "[2] قوله تعالى السليم وصف جميل للقلب العامر بحب الله(ﷻ).

المطلب الرابع/ مظاهر حب العبد لله(ﷻ):

للقرآن الكريم وقفات عدة في مظاهر حب العبد لله (ﷻ)نذكر منها:

أولاً : الرضا

---

[1] مواهب الرحمن : السبزواري 2/ 315 .

[2] تفسير الأمثل : الشيرازي 9/ 321 .

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة التوبة /100) " رضا الله تعالى عنهم لإيمانهم وأعمالهم الصالحة، ورضاهم عن الله تعالى لما أعد لهم من الجزاء والعطايا المختلفة التي لا تدركها عقول البشر، وأنهم قد نفذوا كل ما أراده الله منهم، وفي المقابل أعطاهم الله كل ما أرادوا، وعلى هذا فكما أن الله سبحانه راض عنهم، فإنهم راضون عن الله تعالى"[1].

مثل أولئك يعيشون الرضا في الدنيا والآخرة ولا يعترضون على قدر الله تعالى وأمره ولا يسخطون، وهم يعدون الدنيا مرحلة عابرة، ودار فناء والسعادة لمن يصبر ويرضى قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾(سورة البقرة /155- 157).

ثانياً : ذكر الله (ﷻ)

قال تعالى: ﴿إنما الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ اياتُهُ زَادَتْهُمْ ايمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾(سورة الحج/5-3).

الذكر لله له الأثر العميق على نفس العبد وهو تجلي لجميع معاني العبودية وعندما يكون العبد كثير الذكر لله يحبه ويقدسه.

ومن نماذج المحبين لله (ﷻ) حباً جما، ما جاء في الروايات من أن النبي شعيب (ﷻ) بكى سنوات حتى فقد بصره، فعاده الله سبحانه وتعالى فعاد يبكي سنوات حتى

[1] الأمثل : الشيرازي 5/ 340 .

فقد بصره مرة أخرى ورده الله إليه ورجع يبكي فأوحى له الله ماذا تطلب بعد ذلك " البكاء لأجل الجنة فقد أبحتها لك وإن كان من أجل النار فقد حرمتها عليك قال بل شوقاً إليك إلهي أنت تعلم إنّ بكائي ليس خوفا من جهنم ولا شوقاً الى الجنة فقال الله تعالى لأجل هذا اخدمتك نبّي وكليمي موسى عشر سنين"[1].

ما حقيقه هذه المحبة، وكيف يمكن ان ينال الإنسان هذه المنزلة من محبة الله (ﷻ) .

ومن مظاهر حب العبد لله تعالى الطاعة والتسليم والامتثال والتصدي والدفاع عن دين الله والتواصل بالعبادات والعمل والانقياد وغيرها من المظاهر.

وفي ضوء ما تقدم نخلص الى أن الانسان الذي يعرف الله (ﷻ)معرفة حقيقية من خلال تجلياته، ودلائل لطفه وقدرته وكرمه فلا يمكن إلاّ أن يحبه، ولا بد من ثمرة لهذه المعرفة وهي مبادلة الحب مع ربه الذي هو مصدر الحب والجمال والجلال فمحبة الخالق هي أدنى مرتبة من مراتب شكره على نعمه وفضله، وهو سبحانه قد هيأ نفس الإنسان، وجعل فيها استعداداً لتقبل كل معاني الحب، وغرس فيها تلك المحبة، فعلى الإنسان أن يتجنب كل الموانع التي تحجب قلبه عن محبة الله تعالى لينعم بحلاوة الحب الإلهي .

[1] بحار الأنوار: المجلسي 12/ 380.

المبحث الثالث : محبة الرسول الأكرم وأهل بيته (عليهم السلام)

ينعقد هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول : محبة رسول الله (صلى الله عليه وآله)

من كان يحب الله (ﷻ) ويرتبط به روحيا لابد أن يمتد ذلك الحب الى المقربين لله وهم رسوله وأهل البيت (عليهم السلام) وجميع الصالحين، وأهل البيت (عليهم السلام) هم أشد الناس قرباً منه(ﷻ) قال تعالى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (سورة النجم /9).

فمن شدة قربهم لله قلوبهم متعلقة به، ومنقطعين إليه فهم المطهرين من الرجس والدنس قال تعالى: ﴿إنما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهل الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (سورةالأحزاب/33).

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد ﴾(سورة سبأ /47) وقد أوجب الله (ﷻ) مودتهم على العباد فهم (عليهم السلام) أعلى درجات الكمال إذ بمودتهم وقربهم يصل الإنسان الى الكمال الروحي والفكري والأخلاقي، وواضح ذلك في سيرتهم العطرة، فمحبتهم أكد عليها القرآن الكريم ومحبة الرسول وإتبّاعه سبب لمحبة الله (ﷻ) قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة آل عمران/ 31).

قال الطبرسي في تفسير الآية: " ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يزدد لكم حبا وقيل ان كنتم صادقين في دعوة محبة الله تعالى فاتبعوني فأنكم ان فعلتم ذلك أحبكم الله و يغفر لكم"[1].

[1] مجمع البيان : الطبرسي 2/ 277 .

وقال المدرسي في تفسير الآية " الحب الصادق الذي يعكسه العمل الصالح، وإلاّ هو ليس سوى خداع للذات، والله لا يحب أحداً من دون العمل، بيد أن العمل لا يمكن أن يكون لله إلا عن طريق الرسول واتباع الرسول يتم بتطبيق رسالة الله التي نزلت عليه، واتخاذه إسوة حسنة في ما قام به من عمل والاتباع وحده لا يكفي بل يجب طاعة الرسول"[1].

بين في تفسير الآية إنّ اتباع الرسول وآله هو تطبيق عملي للمحبة الخالصة لله (ﷻ).

ونظيره قول فضل الله "من الطبيعي أن محبة الله لنا ليست عاطفة وانفعالا، ولكنها الرحمة والرضا والمغفرة، كما أن محبة الناس لله في ما تريد أن تثيره الآية لابد من أن تكون إيمانا وعملاً، وانسجاماً مع خط الرسالة والرسول، فإذا تحقق ذلك منهم باتباع النبي الذي يجسد ذلك كله، فإن الله سيمنحهم حبه ورضاه وهو الرؤوف بعباده الرحيم بهم، ثم تأتي الدعوة الى طاعة الله والرسول كخط عريض للعمل وللدخول في محبة الله تأكيد للفكرة من جانبها الايجابي"[2].

ويثبت كذلك أنّ اتباع الرسول هو من عمق العاطفة والعمل الصادق فقال : " قل ان كنتم تحبون الله فكراً في العقل ووعيا في القلب بحيث تكون القضية في عمق الذات لا في سطح العاطفة، في الآفاق التي تؤكد المضمون في النفس، فاتبعوني في رسالتي التي بلغتكم اياها وفي الشريعة التي أمركم الله باتباعها ..... فإذا رأى الله منكم الحب الواقعي المتمثل بالعمل الرسالي الخاضع لله ورسالاته يحببكم الله؛ لأنه يحب الصادقين المتقين المحسنين وإذا كان حب العبد لله طاعة فإنّ حب الله للعبد مغفرة ورضوان"[3].

---

[1] من هدي القرآن : المدرسي 1/ 401 .
[2] من وحي القرآن :فضل الله 5/ 335 .
[3] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

ويرى محمد جواد مغنية استحالة التفكيك بين محبة الله تعالى ومحبة الرسول وآله فقال " من أحب الله يلزمه حتما أن يحب رسول الله وأهل بيته لحب الرسول لهم ومن أحب الرسول يلزمه حتماً أن يحب الله والتفكيك محال؛ لأن الرسول هو لسان الله وبيانه والعكس صحيح أي من نصب العداء لله من حيث يريد أو لا يريد"[1] .

أي أن محبة الله تعالى تعني "أن يعمل الإنسان بالتكاليف التي أمره الله بها ويمتنع عما حرم الله وبذلك تتحقق المحبة، وهذا لا يكون إلا عبر الرسول الذي يحمل مرادات الله وأوامره وينقل إلى الناس المطلوب منهم ومن هنا وجب إتباع الرسول ليصدق هذا الحب على حقيقته[2].

كيف لا يحب المؤمن من أرسله الله (ﷻ) رحمة وهداية للناس قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(سورة البقرة/ 143).

وخاطبه الله تعالي: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(سورة النساء 107) كيف لا يحب العبد من وصفه الله ﷻ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(سورة القلم/٤).

وعرض مكارم الشيرازي آثار الحب وعبر عنها بالانجذاب وبين سببه وهو عثور المحب على كمال في المحبوب فقال : " في الواقع إن من آثار الحب الطبيعية انجذاب المحب نحو المحبوب والاستجابة له، صحيح هناك حباً ضعيفاً لا تتجاوز أشعته جدران القلب، الا إن هذا من التفاهة بحيث لا يمكن اعتباره حباً، لا شك أنّ للحب الحقيقي آثاراً عملية تربط المحب بالحبيب وتدفعه للسعي في تحقيق طلباته والدليل

---

[1] تفسير الكاشف : مغنية 2/ 45 .

[2] الواضح في التفسير : عباس علي الموسوي ، مركز الغدير، بيروت، لبنان، ط1، 1433هـ-2012م، 89/3.

على ذلك واضح فحب المرء شيء لابد أن يكون بسبب عثوره على أحد الكمالات فيه ولا يمكن أن يحب الإنسان مخلوقا ليس فيه شيء من قوة الجذب "[1].

وعليه فإنّ حب العبد لله(ﷻ) ناشئ من كونه أصل لجميع الكمالات ومنبعها، ولما كان المحبوب بهذا الشأن والعظمة لابد أن تكون تشريعاته وأوامره عظيمة أيضاً وكل من يحب هذا الكمال المطلق أن يطيع أوامر محبوبه وتعاليمه، وأمر سبحانه بمحبة الرسول وآله (عليهم السلام) وطاعتهم ومودتهم كونهم من أجل الكمالات، فإنّ صدر منه خلاف ذلك دليل على أن هذا العشق والحب غير حقيقي.

ويعد الطباطبائي حب الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) تقرير إلهي، وان الله (ﷻ)هو الداعي لهذا الحب، وهذه المحبة أثر طبيعي للحب الخالص لله تعالى فقال : " وقرر لرسوله حباً كما قرره لنفسه، لأن حبه عليه السلام حب لله تعالى فان أثره هو الاتباع عين اتباع الله تعالى، فإنّ الله سبحانه هو الداعي الى إطاعة رسوله والأمر باتباعه قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (سورة النساء/ 64) [2] .

وقال أيضاً "من كان عمله ضعيفا كان أساس محبته ضعيفا، وإذا رغبتم في محبة الله فعليكم الانقياد الى رسوله، ومزية الدين الإلهي على القوانين الوضعية توافره على المحبة والقدوة العملية وصلاحية المشرع " [3].

أما الصافي فيرى أتباع الرسول هو غاية المحبة " في الكافي والعياشي عن الصادق (عليه السلام)(هل الدين الا الحب) ثم تلا هذه الآية (قل إنْ كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم

---

[1] الأمثل : : الشيرازي 2/ 255

[2] الميزان : الطباطبائي 1/ 407 .

[3] المصدر نفسه 1/ 479 .

الله)(سورة آل عمران/ 31)"[1] ويقول : " المحبة من العبد ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه، بحيث يحملها على ما يقربها إليه، ومن الله رضاه عن العبد وكشف الحجاب عن قلبه والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلاّ لله وأنّ كل ما يراه كمال من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله وعلى الله لم يكن حبه إلاّ لله وفي الله وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه "[2].

وعليه كل من يحب الله (ﷻ) ويطيعه يحب الرسول ويتبعه في سيرته وأخلاقه وجميع احواله حتى يحبه الله(ﷻ)فإنّ تحقق ذلك من العبد تقرب الى الله وينال محبته تعالى قال سبحانه في الحديث القدسي: "وإنّ العبد ليتقرب الي بالنوافل حتى أحبه"[3].

ومثل ذلك قول الطباطبائي " يظهر أن اتباع النبي (صلى الله عليه وآله) ومحبة الله متلازمان، فمن اتبع النبي أحبه الله، ولا يحب الله عبدا إلَّا إذا كان متبعاً لنبيه (صلى الله عليه وآله) وإذا اتبع الرسول اتصف بكل حسنة يحبها الله ويرضاها كالتقوى والعدل والإحسان والصبر والثبات والتوكل والتوبة والتطهر وغير ذلك، فأنّ المتتبع لصاحب هذه الأوصاف جميعها ينتهي إلى أنّ أصحابها الذين يرثون الأرض وأن لهم عاقبة الدار"[4] .

ولا يمكن لعبد يحب الله (ﷻ) ويعادي أولياءه، فلا تجتمع محبة الله (ﷻ) ومعاداة الأنبياء والأوصياء والصالحين، وعلى رأسهم النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، إذ تعد محبتهم لازمة لمن أحب الله سبحانه بل هو (صلى الله عليه وآله) يجذب القلوب ويشدها إليه لخصائصه ومزاياه اذا انتهج في دعوته الحب والرحمة وتربع على عرش القلوب قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ

---

[1] تفسير العياشي : محمد بن مسعود بن عياش العياشي (من اعلام القرن الثالث الهجري)، تصحيح: هاشم المحلاتي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، بلا طبعة 1/ 176 .

[2] الصافي : الكاشاني 2/ 30 .

[3] الكافي : محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني(ت 329هـ)، تحقيق: قسم احياء التراث، قم، ط2، 1388هـ، 2 / 852 .

[4] الميزان : الطباطبائي 5/ 326 .

لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (سورة آل عمران/159).

وإنّ ما يستوحى من الآية الكريمة أن الحب والعفو والخلق سمات تلقائية للرسول الكريم وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة التوبة/ 128) كان (صلى الله عليه وآله) حريصا على الناس وهدايتهم وكان من قلبه يكابد الحسرات قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾(سورة فاطر/8)لذا نجد أن هذه المزايا أثمرت في أهل مكة.

آثار محبة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)

تعد محبة الرسول الكريم وأهل بيته (عليهم السلام) نعمة إلهية وفضل منه تعالى ومن آثار هذه المحبة.

أولاً: طاعته والاقتداء به، المحب الصادق للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) لابد أن يكون طائعاً له مقتديا به، ممتثلاً أوامره والتأدب بآدابه، وكثير الصلاة عليه قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا ايهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة الاحزاب/ الآية 56).

ثانياً: تعظيم ما له علاقة بالرسول (صلى الله عليه وآله) مثل حب أهل البيت (عليهم السلام)، من يحب الرسول ينبغي أن يشتاق إليه دائماً؛ لأن من يحب أحد يشتاق إليه ويتمنى رؤيته.

ثالثا :حب القرآن الكريم ، المؤمن يحب كتاب الله (ﷻ)؛ لأنه دستور سماوي وروحي للحياة قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإيمان وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾(سورة الشورى/ 52)فهو مربي العقول وفيه شفاء القلوب وعلاجها قال تعالى : ﴿يَا ايهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة يونس/57) ومن يعرض عن كتاب الله (ﷻ) يكون في معرض ضنك العيش والمشاكل الاجتماعية قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾(سورة طه/ 124).

المطلب الثاني/ محبة آل بيت الرسول (عليهم السلام):

جاء في الكتاب الكريم ﴿إنما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهل الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾(سورة الاحزاب /33).

ومحبة أهل بيت الرسول (عليهم السلام) الامتداد الطبيعي لمحبة الرسول (صلى الله عليه وآله) وهم امتداد لخط الرسالة، وتضافرت الروايات في دعوة المسلمين الى محبتهم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) " من أحب عليا فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله"[1] .

وقد اهتم بهم الرسول (صلى الله عليه وآله) عاطفياً وأظهر محبتهم في مناسبات شتى ويربط محبته بمحبتهم ويحث على ذلك، ولا يقتصر الحث في محبة أهل البيت على وصايا الرسول (صلى الله عليه وآله)، بل أشار الى ذلك القرآن الكريم وجعل مودتهم أجرا ﴿ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (سورة الشورى /23).

في الآية الكريمة دعوة من الله ﷻ في مودة آل البيت (عليهم السلام) وهذا وقد عرفنا محبة الرسول للسيدة الزهراء وعلي والحسن والحسين بالنقل المتواتر لذلك كان

[1] تحف العقول عن آل الرسول(صلى الله عليهم): أبو أحمد الحسن بن علي بن الحسن بن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم – إيران، ط2، 1362هـ، 459 .

على أمته أن تحبهم قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ قال تعالى : ﴿لقد كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾(سورة الاحزاب /21).

يتبين هنا سبب التأكيد والحث المستمر في آيات القرآن الكريم والروايات الشريفة الصادرة عن رسول الله وهو الذي وصفه القرآن الكريم ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾(سورة النجم/ 3-4) تكشف مكانتهم السامية في قيادة مشروع السماء بعد شهادة الرسول (صلى الله عليه وآله) وتحث على محبة أهل البيت (عليهم السلام)، وذلك لدورهم في قيادة الرسالة وحفظها ولذلك جعل المودة لهم أجراً وهم الوقاية من الانحراف والضلال.

المحصل إن محبة أهل البيت ماهي إلاّ شعاع من محبة الله تعالى، فعلى الإنسان أن يمتلك المعرفة الكافية التي توصله الى محبة الله تعالى، ويهيئ نفسه لذلك.

وإن محبة الله تعالى ورسوله وأهل البيت (عليهم السلام) ينبغي أن لا تكون في القلب فقط بل أن تظهر آثارها في سلوك الإنسان وإلاّ لما كان حباً صادقاً فهم المثل الأعلى للمحب " والعلاقة الناجحة بالمثل الأعلى تقوم على ثلاث ركائز وهي المعرفة والعاطفة والسلوك، فالمعرفة هي الركن الأول في صحة العلاقة بالمثل الأعلى؛ لأنه من لم يعرف المثل الأعلى نبياً كان أو إماماً أو ولياً قد يدفعها الجهل الى معاداته، لأن معرفتك الحقيقية بالشخص لابد أن تسبق مشاعرك تجاهه، لذلك كان من مشكلة الكثيرين على مستوى العاطفة غلوا أو تقصيراً أنهم كانوا ممن تحركهم العواطف ولم ينطلقوا من قاعدة عقلية معرفية"[1].

([1])عاشوراء قراءة في المفاهيم وأساليب الإحياء : حسين أحمد الخشن، مؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر(دار الملاك)، ط1، 2010م، 66.

والمحبة " لها دور في نجاح العلاقة مع المثل الأعلى؛ لأن من عرف المثل الأعلى في فضائله وكمالاته ولم يحبه فقد خان المعرفة؛ لأن المعرفة السليمة تدفع نحو المحبة إذا كان الطرف الآخر أهلا للمحبة، ثالثا السلوك الذي يمثل صحة العلاقة مع المثل الأعلى؛ لأنه من عرف المثل الأعلى وأحبه فلابد أن يدفعه ذلك الى العمل بما يطلبه من يتبع هديه و يسير على نهجه" [1].

فالمعرفة الصحيحة للمحبوب والحب المخلص يؤكدان العمل والسلوك إذ إن" الإيمان بالله لا يعبر عن موقف فكري مجرد من قضية وجود الله عن موقف تمتد فيه الفترة إلى عمق الشعور، إيمان يستجلي عظمة الله وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته ونعمه وكل صفاته في إحساس حميم يفيض بالحب العميق، ويتدخل بالروحية الفياضة مما يجعل من العقيدة علاقة حميمة بين العبد وخالقه يتحرك في واقع الحياة لتعبر عن نفسها في جو من الانضباط الواعي والسير المتواصل في خط الله؛ لأن ذلك هو التعبير الدقيق عن صدق الحب"[2].

وفي ضوء هذه المحاور الثلاثة المعرفة والعاطفة والسلوك نجد أن العمل هو علامة مصداقية الحب لله ورسوله، والميزان الذي يميز الحب المخلص من غيره فالحب قيمة سامية نبيلة، لا تندرج فقط في المنظومة العاطفية؛ بل هي قيمة أخلاقية انسانية وبدونها مصير المجتمع الى التمزق.

المحصل أن حب أهل البيت (عليهم السلام) تجسيد لحب الله تعالى في أجمل صورة، ومحبتهم هي ليست مجرد علاقة عاطفية بل هي ارتباط القلب بحبل الله الممدود، إذ يمثلون آية الله في الأرض، وفيهم تجسدت الكمالات الإلهية وإنما يفوز الصالحين بمحبة الناس بسبب ايمانهم وعملهم الصالح، وقد بلغ الأنبياء ولاسيما نبينا

---

[1] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[2] من وحي القرآن : فضل الله 5/ 334 .

الكريم وأهل بيته قمة الإيمان والعمل الصالح، لذا لهم منزلة كبيرة في القلوب ومحبتهم تمثل مقوماً أساساً من مقومات العقيدة، وقد صرحت بذلك النصوص القرآنية وأصلت هذا المبدأ وتضمن مودتهم سبيل السلامة؛ لأنهم النبع الصافي لأحكام الشريعة والضمان لصيانة خط الرسالة ووقاية من الانحراف، كي يسير المؤمن في طريق مستقيم يضمن له الخير ، بل إن مودتهم حق من حقوقهم فهذا حقهم المعنوي الذي اضيف الى حقوقهم السياسية والمادية فقد غصبت الأمة هذه الحقوق الثلاث وقتلوا وشردوتحت ذرائع شتى.

الفصل الثالث

منهج القرآن الكريم في عرض العواطف الأسرية في القرآن الكريم

المبحث الأول: عاطفة الأبوة والبنوة في القصص القرآني

المبحث الثاني: عاطفة الأمومة في القصص القرآني

المبحث الثالث: عاطفة الأخوة في القصص القرآني

الفصل الثالث

منهج القرآن الكريم في عرض العواطف الأسرية في القصص القرآني

توطئة

إن القرآن الكريم بوصفه الدستور الذي ينظم حياة المجتمع الإسلامي، وإنه الكتاب الخالد الذي أنزله الله تعالى للبشرية، فهو مستودع أسرار النفس الفكرية والعاطفية، وفيه طب نفوسها وشفاء صدورها، ويتسم بالشمول لأنواع مختلفة من العواطف كعواطف الرجال والنساء والآباء والأمهات والأبناء وعواطف الملوك والرعية ، والجميل أن أغلب البشر الذين عرض القرآن الكريم عواطفهم هم من الأنبياء (عليهم السلام) والصالحين وصورها في جميع أحوالها، إذ صور عاطفة الأبوة لدى إبراهيم تجاه ولده اسماعيل (عليهما السلام)، وصور عاطفة يعقوب (عليه السلام) تجاه يوسف وإخوته، وعاطفة لقمان (عليه السلام) التي تجلت في وصاياه لابنه ودعوة نوح (عليه السلام) لولده ليركب السفينة .

وعرض كذلك عواطف النساء فصور عاطفة أم موسى وامرأة عمران والسيدة مريم العذراء (عليها السلام) وبلقيس ملكة سبأ وزوجة فرعون.

كما صور عواطف الأخوة ومنها عواطف ابني آدم قابيل وهابيل وأخوة موسى (عليه السلام)اخته التي قصته وهارون، وحسد اخوة يوسف؛ لذا سنتناول في هذا الفصل عواطف القصص القرآني في ثلاثة مباحث بمطالبها كما في الآتي :

المبحث الأول : عاطفة الأبوة في القصص القرآني

الأبوة لغةً " الأب أصله أبو بفتح الباء؛ لأن جمعه إباء ويجمع على أبون وآباء وأبُوُ وأبُوةٌ، والأب كلما كان سبباً في إيجاد شيء أو اصلاحه أو ظهوره"[1].

واصطلاحاً هي : " الأب حيوان يتولد من نطفته شخص آخر من نوعه "[2] وتشمل الأبوة الأب النسبي والأب السببي كالمعلم والمربي فقد جاء في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) مخاطباً أمير المؤمنين (عليه السلام) " أنا وأنت أبوا هذه الأمة"[3].

لاريب أن المقصود من الأبوة هنا الأبوة المعنوية، فقد جاء في القرآن الكريم فيما يخص النبي (صلى الله عليه وآله) قال تعالى :﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (سورة الاحزاب /4) وورد أيضاً بحق النبي أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ﴾(سورة الاحزاب /6) مما يعني ترتيب أحكام البر في طاعتهما وأحكام العقوق في حال العصيان.

وللعاطفة الأبوية دور كبير في المحافظة على الأبناء والأسرة وتوجيهها وإرشادها، وللأم وظيفة مهمة في الأسرة، فهي مصدر الحب والحنان والمشاعر الجميلة، وهي المأوى والملاذ الآمن لجميع الأبناء، ووظيفة الأب لا تقل أهمية عن وظيفة الأم، فهو رأس الهرم، إذ يكمل كل منهما الآخر، وعدم وجود أحدهما من المحتمل يسبب فقدان التوازن لدى الأبناء.

---

[1] مفردات غريب القرآن : الراغب 34.

[2] التعريفات : الجرجاني 11.

[3] معاني الاخبار : ابي جعفر بن علي بن بابويه القمي الصدوق(ت381هـ)، تحقيق : علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، طهران، ط1، 1379هـ، 106.

والأبوة نعمة من نعمه (ﷻ) وسبب لسعادة الإنسان، وقد عرض لنا القرآن الكريم في كثير من سوره وآياته قصص مختلفة تصور لنا عاطفة الأبوة ومحبة الآباء تجاه الأبناء، وقص علينا أيضاً عاطفة الأبوة والعطف والحنان حتى مع الأبناء المخالفين في العقيدة، ودور عاطفة الآباء في بناء الأسرة .

المطلب الأول /عاطفة أبوة نوح (عليه السلام):

عرضت آيات القرآن الكريم عاطفة أبوة نبي الله نوح (عليه السلام)، ذلك الأب الصالح الذي سعى جاهداً لهداية ابنه الضال من خلال إثارة عواطفه والتأثير فيها بقوله (يا بني) قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة هود : /42) نوح (عليه السلام) لم يكن فقط النبي الذي يدعو الى عبادة الله (ﷻ) وهداية قومه، بل كان الأب الحنون والمربي الفذ الذي لا يعرف التعب، وكان متفائلاً متمسكاً بالأمل غير يائس من ولد ضال قاسي الفؤاد متأثراً بالمحيط الجاحد والسيء، فظل يناديه لعله يجيبه لكنه عاق ومتمسك بغروره .

قال الطباطبائي في تفسير الآية " ونادى نوح ابنه وكان في مكان منعزل بعيد منهم وقال في ندائه يا بني بالتصغير والإضافة، دلالة على الإشفاق والرحمة اركب معنا السفينة ولا تكن مع الكافرين، فتشاركهم في البلاء كما شاركتهم الصحبة وعدم ركوب السفينة "[1].

كما استدل الطباطبائي على العاطفة الأبوية بلفظ يا بني، ونظير ذلك قول ابن عاشور "والمتأمل في نداء نوح (عليه السلام) بقوله يا بني يجدها تصغير ابن مضاف إليها يا المتكلم وتصغيره هنا تصغير شفقة بحيث يجعل كالصغير في كونه محل الرحمة والشفقة "[2].

---

[1] الميزان : الطباطبائي 10 / 179 .
[2] التحرير والتنوير: ابن عاشور 1/ 76 .

وهنا تظهر العاطفة الأبوية التي تسعى بدون يأس انقاذ ذلك الابن المعاند وسط أهوال الطبيعة وطوفانها واضطراب النفس البشرية، لينادي ولده بعاطفة أبوية إذ " ما مس الأذى طرفاً من جسم ولده إلاّ ومسه في روحه وقلبه، لقد أيقن نوح بأن ابنه هالك لا محالة أن أصر على الشرك، فهتف بلهفة الأبوة يا بني آمن بالله واركب معنا ولكن لا حياة لمن تنادي فأن رعونة الفتوة قد أعمته عن سوء العاقبة"[1].

فكان جواب ابنه في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾(سورة هود/43) وسعى نوح مرة أخرى وأخذ ينصحه بأن يترك اللجاج والعناد ويركب في السفينة، وقال له لن يعصمك من أمر الله إلاَّ الله، ولا نجاة من الغرق إلاّ من شملته رحمة الله (ﷻ) ولطفه[2].

فهو سبحانه قادر على كل شيء، وصور لابن نوح الجهل والعناد " إن المشكلة مشكلة ماء، وإنه يحلها بالصعود الى الجبل، ولم يدر إنها مشيئة الله وغضبه على المشركين "[3].

فحال بينهما الموج العظيم وأخذ كنعان الغارق في الوهم وفصل بينه وبين والده وصار من المغرقين، نجد أن ابن نوح اعتمد في تغلبه على الصعاب على أفكاره، و هذا من الشرك بالله (ﷻ) كما يعتمد بعضهم على المال والمقام والوجاهة والمنصب الرفيع، متجاهلين التوكل على الله (ﷻ) معتمدين على أمور زائلة ليس لها أدنى مقاومة لأمر الله تعالى.

فابن نوح الذي ظن أن الجبل ينجيه و يعصمه من أمر الله (ﷻ)، موجة واحدة من الماء الذي يمثل عصب الحياة ، ابتلعت كل شيء وأنهت الحوار بين الأب والابن، لتثبت أنّ الملجأ والعاصم هو الله سبحانه.

---

(1) الكاشف : مغنية 4/ 232 .
(2) ينظر : مجمع البيان : الطبرسي 5/ 279 .
(3) المصدر نفسه 4/ 233.

وقد أورد الشيرازي في تفسير الآية استفهاما عن سبب مناداة نوح لولده في هذا الزمان والمكان بالذات وأجاب عليه بقوله " قد يرد سؤال في شأن ابن نوح وهو لِمَ نادى نوح ابنه دون سائر الناس في هذه اللحظة الحرجة، يمكن أن يكون الجواب أن نوح أدى وظيفته في الدعوة العامة للآخرين وبضمنها دعوته لولده، إلاّ أنه كان يتحمل وظيفة أصعب بالنسبة لولده وهي وظيفة الأبوة الى جانب وظيفة النبوة، هذا السبب كان يؤكد على أداء وظيفته بالنسبة لولده الى آخر لحظة"[1].

وعلى كل حال فأنّ نوح استمر يدعو ولده الغافل الضال حتى مع بدء الطوفان آملا بعودته الى طريق الهداية و توحيد الله (ﷻ) متوجهاً إليه باللطف والمحبة الأبوية

واستمر الأب يتابع النداء بعد النداء في محاولة حثيثة ولكنها يائسة من أجل انقاذه و الابن العاق يأبى الإجابة ، إذ إنّ البنوة العاقة والفتوة المغرورة المتكبرة لا تقدر مدا لهفة الأبوة المدركة لهول العذاب وحقائق الأمور، وإذا بموجة صاخبة تحسم الأمر وتنهي كل شيء، وبعد هدوء الطوفان خيم الاستقرار والسكون واستجابت السماء لأمر الله (ﷻ) تعود عاطفة الأبوة من جديد بنداء آخر[2].

وكان (عليه السلام) راجياً لله ﷻ متذكرا وعده تجاه أهله قال تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهلكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آَمَنَ وَمَا آَمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾(سورة هود /40) ويبقى الأمل في قلب كل أب وعاطفته الفطرية التي دعته للشكوى الى الله (ﷻ) فقال إن ابني من أهلي قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أهلي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (سورة هود/ 45)

وكرر نوح (عليه السلام) السؤال لله تعالى عن مصير ولده، بقوله: إن ابني من أهلي وقد وعدتني بنجاتهم، ووعدك حق وأنت أحكم الحاكمين، وأعدلهم بالحق، فجاء الرد الإلهي: أنه ليس من ولدك ولا من أهلك، وإنما وعدتك بإنجاء من آمن، وابنك ذو

---

[1] الأمثل : الشيرازي 6/ 77.

[2] ينظر : في ظلال القرآن : سيد قطب 1/ 2228.

عمل غير صالح[1]﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة هود/46) تعرض الآية الكريمة موقف مهم للبشرية، إذ يجب على الإنسان أن يضبط عواطفه في كل موقف ضمن حدود التوحيد والإيمان بالله (ﷻ).

وأن الأهل في ميزان الله (ﷻ) هم أهل العقيدة وليس من جهة الدم والقرابة والنسب، وأن ابنك لم يكن مؤمناً فهو ليس من أهلك ؛ لأنّ الإيمان والتوحيد هو العروة الرابطة بين الإنسان والإنسان ما لا تربطه القرابة[2].

أي أنه عند تعارض حكم الله تعالى مع العاطفة يقدم حكم الله (ﷻ) " ولا تؤثر العلاقات الأسرية والقرابة على الحكم الإلهي، فهو ذا الأبن العاق للنبي الصالح يغرق أمام ناظري والده، فلا يجد هذا الأخير بداً من الامتثال لحكم ربه، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين، فالله سبحانه رحيم لكنه حكيم كذلك، فمن رحمته أن يمتلئ صدر الأم لبن استقبالاً لولادة الجنين ومن عدله أن يغرق الولد أمام عيني والده ويهلك من المغرقين "[3].

وعاطفة الأبوة لا تتغير ولا ينطفئ نورها حتى مع عقوق الأولاد، وعليه يتبين أن رباط الدين والإيمان أقرب الى الله (ﷻ) من رباط القرابة والنسب ، فالمقياس عند الله ﷻ الرابطة الإيمانية ، وبما أن ابن نوح ابتعد عن الله تعالى وتوحيده فلا فائدة ولا أثر لقرابته من نوح النبي (عليه السلام)، لذلك طلب نوح من ربه المغفرة والعفو قال تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة هود/47) فرابطة العمل الصالح والإيمان بالعقيدة هي الصلة مع الله (ﷻ) وما غيرها فهو باطل.

([1]) ينظر: التفسير الوسيط : وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م، 1045.

[2] ينظر: في ظلال القرآن : سيد قطب 1/ 2230

[3] تفسير النور : قراءتي 4/ 58 .

وبذلك جسدت الآيات الكريمة كثير من المعاني البليغة لتسمو " العلاقات الدينية على العلاقات الشخصية والروابط الأسرية أنه ليس من أهلك، وأما العلة في نجاة مجموعة معينة من الغرق فهي إيمانهم بدعوة نوح (عليه السلام)وليس شيئاً آخر، وفقا لهذه القاعدة أصبح سلمان الفارسي من آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بينما لحقت اللعنة أبي لهب الى الأبد وهو عم النبي (صلى الله عليه وآله)" [1] .

وما حدث بين النبي الأب الصالح والولد العاق يحدث كثيراً بين الآباء والأبناء الذين يعتمدون على تفكيرهم ويسيئون تقدير الأمور، وقد غرقوا في جهلهم كما غرق ابن نوح، وبعد أن عرضت الآيات الكريمة قصة نوح (عليه السلام) وولده، أشارت الى العديد من الدروس والعبر التي على الوالدين الاستفادة منها في بناء الأسرة، ومنها دور الأب في المحافظة على أبنائه والوصول بهم الى سبيل السلام من خلال الاعتماد على العاطفة ، كما أن سفينة نوح (عليه السلام) استقرت على جبل الجود وابن نوح توجه الى الجبل ليحميه لكنه غرق ، لندرك جميعا أنّ الملجأ هو الله (عز وجل) والنجاة بيده سبحانه، وفي الطرف الآخر نشاهد الإمام الحسين (عليه السلام) يقدم ابنه علي الأكبر قربانا للعقيدة رغم علمه بأنه من المستشهدين في معركة الطف.

المطلب الثاني/ عاطفة أبوة يعقوب (عليه السلام):

ومن القصص الأخرى التي عرضها القرآن الكريم عن عاطفة الأبوة، الأب يعقوب (عليه السلام) وعاطفته تجاه ولده يوسف وإخوته، تلك العاطفة التي صورت لنا أجمل المشاعر التي يحملها الأب تجاه الأبناء، ليكون مثالا رائعا ولاسيما في الوقت الحاضر الذي تعاني فيه الروابط الأسرية من أزمة فعلية، إذ يعيش أبناء الأسرة تحت سقف واحد بأجسادهم لكن أفكارهم بعوالم متعددة.

وتتجلى مظاهر العاطفة منذ بداية القصة في الآيات الأولى التي عرضت رؤيا يوسف (عليه السلام) وقصها على أبيه قال تعالى : ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَايتُ

[1] المصدر نفسه 4/ 41 .

أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَايتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (سورة يوسف/ 11) ولأهمية عاطفة الأبوة تجاه الأولاد ذكر صفة الأبوة و" لم يذكر يعقوب (عليه السلام) باسمه بل كنى عنه بالأب للدلالة على ما بينهما من صفة الرحمة والرأفة والشفقة، كما يدل عليه ما في الآية التي تليها قال يا بني لا تقصص ، والآية تدل على أن يعقوب (عليه السلام) لما سمع ما قصه عليه يوسف من الرؤيا، أيقن ما يدل عليه بأن يوسف سيتولى الله أمره ويرفع قدره و يخصه من بين آل يعقوب بمزيد الكرامة، فأشفق على يوسف (عليه السلام) وخاف من اخوته عليه....."[1].

لذا خاطب يوسف (عليه السلام) خطاب الإشفاق كما يدل عليه قوله يا بني قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (سورة يوسف /5) إذ إن صفة التصغير تدل على المبالغة في المحبة والعاطفة الأبوية "أو للشفقة وصغر السن؛ لأنه كان ابن اثنتي عشرة سنة"[2].

نلحظ بأن خطاب يعقوب (عليه السلام) يظهر عواطف الأبوة بالخوف والحب والعطف والتوجس وأخذ يحذر ولده.

ويبدو واضحاً من عرض القرآن الكريم لقصة يعقوب (عليه السلام) بأن له اثنا عشر ابناً وكان عشرة منهم كباراً هم عصبة أولوا قوة وشدة، يدور عليهم رحى حياته ويدبر بأيديهم أمور أمواله ومواشيه، وكان اثنان منهم صغيرين أخوين لأم واحدة في حجر أبيهما وهما يوسف (عليه السلام) وأخيه لأمه وأبيه.

وقد عُرفَ الاخوان بالكمال فهم من العباد المخلَصين، ويحملان كل المعاني الإنسانية والاستقامة على طريق الخير والهدى والصلاح، لذا كان يعقوب (عليه السلام) يحبهما حباً شديداً ويقبل عليهما فهم ممن حق عليهم قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾(سورة ص/46).

---

[1] الميزان : الطباطبائي 12 / 38 .

(2) زبدة التفاسير : الكاشاني 3/ 341.

وكان من آثار هذا الحب حسد الأخوة وغيرتهم " و يعقوب (عليه السلام) يتفرس ذلك ويبالغ في حبهما، وخاصة في حب يوسف وكأنه يخافهم عليه ولا يرضى بخلوتهم به ولأيامنهم عليه، وذلك يزيد في حسدهم وغيظهم فصار يتفرس من وجوههم الشر والمكر، حتى رأى يوسف الرؤيا وقصها لأبيه فزاد بذلك اشفاق أبيه عليه وازداد حبه له ووجده فيه، وأوصاه أن يكتم رؤياه ولا يخبر إخوته بها لعله يأمن بذلك كيدهم لكن التقدير غلب تدبيره"[1].

تلك الرؤيا التي استدل منها يعقوب (عليه السلام) بأن الله عز وجل سيجتبي يوسف ويتم عليه النعمة وعلى آل يعقوب ويعلمه من تأويل الأحاديث، وأدرك أن اخوته يغارون منه بسبب فضله وأخلاقه أي أن " تلك الرؤيا تؤذن برفعة ينالها يوسف (عليه السلام) على اخوته الذين هم أحد عشر، فخشي أن قصها يوسف عليهم أن تشتد بهم الغيرة الى حد الحسد وأن يعبرونها على وجهها فينشأ فيهم شر الحاسد إذا حسد، فيكيدوا له كيداً ليسلموا من تفوقه عليهم وفضله لهم، وقصد يعقوب من ذلك نجاة ابنه من أضرار تلحقه وليس قصده ابطال ما دلت عليه الرؤيا فإنه يقع بعد إضرار ومشاق"[2].

وبذلك أدرك يعقوب (عليه السلام) بعاطفته الأبوية الخطر المحيط بيوسف (عليه السلام) بسبب غيرة اخوته ومحاولاتهم التفريق بينه وبين أبيهم، وأخذوا يكيدون له مقترحين على أبيهم اصطحابه معهم للرعي للخلاص منه؛ لكن الأب الصالح بين مخاوفه من هذه الصحبة ليوسف وصرح لهم بما يدور في نفسه من الخوف عليه، واستطاعوا اقناعه لتحقيق مآربهم من تفريقه عن أبيه، حتى جاءوا لأبيهم بقميصه الملطخ بالدم لتبدأ حسرة ولوعة قلب يعقوب (عليه السلام) ويستمر حزنه مع استمرار غياب يوسف ويزداد شوقه وحنينه كل يوم قال تعالى:﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾(سورة يوسف/18).

---

[1] الميزان : الطباطبائي 12 / 90 .

[2] التحرير والتنوير : ابن عاشور 12 / 213 .

وبالرغم من احتراق قلب الأب ولهيب روحه، لكن لم يجر على لسانه ما يدل على عدم الشكر أو اليأس أو الفزع ولم يجزع مما حدث، بل سأل الله تعالى الصبر والقوة والقدرة على التحمل أكثر أمام هذا الطوفان لئلا يفقد زمامه[1].

وأن يعقوب (عليه السلام) " إنما أبدى من حزنه يسيرا من كثير، وكان ما يخفيه ويتصبر عليه ويغالبه أكثر وأوسع مما أظهره وبعد، فإن التجلد على المصائب وكظم الغيظ والحزن من المندوب إليه، وليس بواجب ولا لازم، وقد يعدل الأنبياء عن كثير من المندوبات الشاقة، وأن كانوا يفعلون من ذلك الكثير"[2].

وينبغي هنا الإشارة الى نكتة مهمة وهي منح الأبناء الحرية والاستقلالية " إذ إن حب الوالد لولده وحمايته من الأخطار هما مبدآن ثابتان، لكن لا ينبغي أن ننسى أن استقلالية الولد هي أيضاً مبدأ مهم وهكذا فعل يعقوب (عليه السلام) عندما أرسل ابنه يوسف مع اخوته ؛ لأنه كان يعرف بأنّه لابد للشاب يوماً من أن يمارس استقلاليته وأنه في النهاية سينفصل عن أبيه ليختار أصدقاءً و تتاح له فرصة التفكير والتدبير في أموره والوقوف على قدمه بثبات ووثوق وأن كان ذلك شيء ورث إياه الهم والحزن وتحمل آلام الفراق و المشاكل الأخرى"[3].

لذلك فإنّ توظيف العواطف هو أسلوب ناجح من أجل تحقيق الأهداف المخطط لها وكسب ثقة الآخرين .

وعليه فإنّ محبة الأبناء لا تعني أن يكون الولد بجانب الأبن دائماً وإنما يعني حماية الولد والوقوف معه عندما يكون بحاجة لذلك، لهذا وافق النبي يعقوب (عليه السلام) بإرسال يوسف مع اخوته الى الخارج، بالرغم من تعلقه به وصعوبة أمر فراقه عليه لكن مصلحة يوسف تستدعي أن يسلك طريقه ليكبر ويستقل وينمو، وفيها إشارة لدرس تربوي على الوالدين فهم كيفية اعداد أولادهم لمواجهة التيارات والضغوطات

---

(1) الأمثل : الشيرازي 6/ 250.

(2) تنزيه الأنبياء: أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي المعروف بالشريف ال(ت436هـ)، دار الأضواء، ط2، 1989م، 70.

(3) تفسير النور : محسن قراءتي 4/ 38 .

والحوادث بعيداً عنهم وخارج حمايتهم، ليصنعوا أنفسهم و يكونوا قادرين لمواجهة المشاكل والاستقلال في الحياة المستقبلية[1].

وكانت مشاعر يعقوب (عليه السلام) عنوان مشاعر الأبوة المثالية والعواطف الإنسانية الممتدة لسنوات، ولم تكن عاطفته تجاه يوسف (عليه السلام) فقط بل تجاه أولاده جميعاً، إذ لم يعاقبهم على فعلتهم بل أشفق عليهم، فكان صابراً متحسراً على ولده محتسبا أمر الله تعالى، في الآيات الكريمة درس آخر لكل أب فقد أحد أولاده ليكون النبي يعقوب (عليه السلام) مثله الأعلى بالصبر على البلاء إذ صور لنا اسلوباً خاصاً في التربية مع الأبناء الذين كادوا بأخيهم من أجل اصلاحهم، وحتى لا يزدادوا حقداً على أخيهم قدم لنا درسا بلهفة الأبوة .

وفي صورة أخرى من صور العاطفة الأبوية بعد أن تقلبت الأحوال و صار العبد عزيزا لمصر وأمين اقتصادها، تجدد حزن يعقوب على ولده الآخر الذي غاب عنه بتخطيط من يوسف قال تعالى: ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾(سورة يوسف /81).

وما كان رد الأب بعد غياب ولده الثاني الاّ الرد الجميل قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (سورة يوسف/ 83- 84) .

وفي الآيات الكريمة تتجلى المشاعر الإنسانية العميقة لحزن يعقوب (عليه السلام) ووصف حاله بأسلوب موجز قال الراغب في معنى الأسف " الحزن والغضب معاً وقد يقال لكل واحد منهما على الانفراد، وحقيقته ثوران دم القلب شهوة الانتقام، فمن

([1]) ينظر : الأمثل : الشيرازي 6/ 241.

كان ذلك على من دونه وانتشر فصار غضباً ومتى كان على من فوقه انقبض فصار حزنا"[1].

قال الطباطبائي : " وأعرض يعقوب عنهم أي عن أبنائه بعدما خاطبهم بقوله بل سولت لكم انفسكم أمراً، وقال يا أسفى وحزني على يوسف وابيضت عيناه و ذهب بصره من الحزن على يوسف فهو كظيم حابس غيضه متجرع حزنه لا يتعرض لبنيه بشي " [2].

وهذا الإعراض ناتج عن عاطفته الأبوية تجاه أبنائه، إذ وصل الى مرحلة الأسف باجتماع الحزن والغضب معاً، وكظم ذلك ولم يتعرض لهم بشيء.

وصاحب الأسف التولي عقب المحاورة وهو انصراف غضب ليختلي بنفسه ويجدد حزنه على يوسف ويبكي في خلوته [3].

ففي رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) " أنه بكى علي بن الحسين (عليه السلام) عشرين سنة، ما وضع بين يديه طعام إلاَّ بكى حتى قال له مولى أما آن لحزنك أن ينقضي فقال له ويحك أن يعقوب النبي (عليه السلام) كان له اثنا عشر غيب الله واحداً منهم ابيضت عيناه من كثره بكائه..... وأنا الى أبي وأخي وعمي.... مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني[4].

وقال تعالى : ﴿ قَالَ إنما أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(سورة يوسف /86) قال الراغب : البث التفريق وإثارة الشيء[5].

أي يشكو حزنه وتفريقه عن أولاده الى الله (عز وجل)، الذي أصبح حاله لا ينكتم، بخلاف بداية المصيبة فهو كظيم .

([1]) مفردات غريب القرآن : الراغب 11.
([2]) الميزان : الطباطبائي 12/ 233
([3]) ينظر : التحرير والتنوير : ابن عاشور 12/ 213.
([4]) بحار الأنوار : المجلسي 46/ 108.
([5]) مفردات غريب القرآن : الراغب 25.

وعلى الرغم من مرور السنوات لكن أمل يعقوب لم ينقطع، بل ظل منتظراً لعودة ولده راجياً لقاءه، وبقيت لهفة الأب متأججة واستمر بدعوة أولاده بالبحث عن أخويهم فكان متفائلا بإيجادهما قال تعالى : ﴿يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة يوسف/87). .

حتى تجسدت عاطفته تجاه ولده بأن يشم ريحه من مسافة بعيدة قال تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾(سورة يوسف /94)عن حنان بن سدير قال :" سألت أبي جعفر عن قول يعقوب (عليه السلام) لبنيه :﴿ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا﴾(سورة يوسف / 87)أكان يعلم أنه حي وقد فارقه منذ عشرين سنة، قال نعم قال : كيف علم، قال: أنه دعا في السهر وسأل الله عز وجل أن يهبط عليه ملك الموت فهبط عليه بريال وهو ملك الموت، فقال له بريال ما حاجتك يا يعقوب قال: أخبرني هل مر بك روح يوسف فما مر عليك قال: لا فعلم يعقوب أنه حي"[1].

كما نجد أن يعقوب (عليه السلام) طلب من ابنائه المواثيق والعهود حتى يرسل معهم بنيامين، إلاَّ انه ذكر استثناء معين وهو إلاَّ أن يحاط بكم، وصورة جميلة أخرى في قصة يوسف وعطف أبوي لا حدود له، إذ إن يعقوب (عليه السلام) لم يحمل أولاده ذنب غياب يوسف فربما يرى لا طاقة لهم بهذا العتاب قال تعالى: ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (سورة يوسف /66) .

بل حملهم مسؤولية سلامة أخوهم بنيامين إلاَّ أن يحاط بهم، وقدم لهم الأب الصادق نصيحة ناتجة عن عاطفة أبوية متلهفة تأمرهم بأن يدخلوا من أبواب متعددة قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا

([1]) الكافي : الكليني 8/ 199.

أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (سورة يوسف /67).

عندما تجهزوا للذهاب الى مصر طلب منهم عدم الدخول من باب واحد والتفرق الى جماعات صغيرة خوفاً عليهم من الحسد، فهم يتميزون بجمالهم ووجوههم المشرقة و أجسامهم القوية، فضلاً عن عددهم الأحد عشر.

وهذا ما يراه الطباطبائي في نصيحة يعقوب (عليه السلام) بالدخول من أبواب شتى خوفه عليهم من العين الحاسدة أيضاً أو أي عارض آخر يسبب فرقتهم فقال : "ومن المعلوم عن سياق القصة أنّه خاف على بنيه وهم أحد عشر العصبة لا من أن يراهم عزيز مصر مجتمعين صفاً واحد بل أن ما كان يخاف عليهم أن يراهم الناس فيصيبهم عين على ما قيل أو يحسدون أو يخاف منهم فينالهم ما يتفرق به جمعهم من قتل أو أي نازلة أخرى..... وأحس حينما تجهزوا للسفر و اصطفوا أمامه للوداع أن جمعهم وهو على هذه الهيئة الحسنة سيفرق وينقص من عددهم، حذرهم من الدخول من باب واحد رجاء أن يندفع بذلك بلاء التفرقة بهم والنقص في العدد"[1].

وأعطى بعض المفسرين بعدا ذوقياً لهذه النصيحة، أي أن يعقوب (عليه السلام) أراد بطلبه " أن يعلم أولاده دستوراً اجتماعياً هاماً، وهو أن على الإنسان أن يبحث عن ضالته بطرق عديدة وسبل شتى، بحيث لو سد طريق بوجهه لكان بمقدوره البحث عنها من طرق أخرى حيث سيكون النصر حليفه في النهاية، أما إذا حاول الوصول الى هدفه بانتهاجه طريقاً واحداً فقط، فقد يصطدم في أول الطريق بعائق يمنعه من الوصول فعند ذاك سيستولي عليه اليأس و يترك السعي إليه"[2] .

وكان التزام أولاد يعقوب (عليه السلام) بنصيحة أبيهم أثره النفسي وهو اطمئنان قلب يعقوب (عليه السلام) فكان لحكمة الأب دور كبير في ارشاد أبنائه، وكذلك استشارة الأبناء لوالديهم في أمور الحياة والوثوق بهم، فالوالدين أصحاب دراية ومحبة للأبناء فهم

---

[1] الميزان : الطباطبائي 12 / 225 .
[2] الامثل : الشيرازي 6 / 331 .

مرجع موثوق وآمن لحل مشاكلهم، وهم مصدر الحب والأمان وعلى الأبناء عدم مناداة الآباء بأسمائهم، فاللغة المهذبة والأسلوب المؤدب دليل المحبة والمودة بينهم.

وأيضاً في قوله يا بني في الآية الكريمة فهو اسلوب يدل على الرأفة والحب والعطف، ويدل أيضاً على علاقة متينة بين الأب والأبن، علاقة تشجع الأبناء على اللجوء الى الأب ومناقشته في الأمور الخاصة والعامة، فهو منهج القرآن الكريم و منهج أهل البيت (عليهم السلام) في إبداء النصح للأبن، فقد وجه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كتاب لابنه الحسن (عليه السلام) قال: "فاني لم آلك نصيحة وانك لن تبلغ في النظر لنفسك وأن اجتهدت مبلغ نظري اليك"[1].

ومن هذا المنطق "يتوجب على الأب أن يفهم ابنه الشاب عليه أن يتقبل كل النصائح والملاحظات الصادرة من أبويه وأن يتعاون معهما لتجاوز هذه المرحلة الحساسة بأمن وسلام، و تخطي كل العقبات والأخطار التي قد تعترضه، وتحقيق السعادة التي تشكل الهدف المشترك للأبوين والابن معاً، ومن المؤكد أن هذا المنطق سيكون له نتائج ايجابية ويتقبل الشاب برحابة صدر نصائح أبويه وتوجيهاتهما التي روعي فيها احترام شخصيته "[2].

فعطف الأب وحنانه يشمل حتى المذنبين فمن الضرورات تحري سلامة طريق الأبناء .

وفي مشهد آخر من مشاهد العاطفة الأبوية لما قالوا أخوة يوسف (عليه السلام) إنا كنا خاطئين واعترفوا بذنوبهم، تقبل ذلك بابوية وقال سأستغفر لكم وهو بذلك ترك حقه ووعدهم بالاستغفار أي إنهم " سألوا أباهم أن يطلب لهم المغفرة من الله ووعدهم بالاستغفار في المستقبل إذ قال سوف استغفر لكم ربي للدلالة على أنه يلازم الاستغفار لهم في أزمنة المستقبل، ويعلم منه أنه استغفر لهم في الحال بدلالة الفحوى،

---

[1] نهج البلاغة : الشريف الرضي 4/ 413 .

[2] الشاب بين العقل والعاطفة : محمد تقي فلسفي، تعريب: نور الدين مير زادة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، بلا طبعة، 4/ 38 .

ولكنه أراد أن ينبههم الى عظمة الذنب وعظمة الله تعالى وأنّه يكرر الاستغفار لهم في أزمنة مستقبلية، وقيل أخر الاستغفار لهم الى ساعة مظنة الإجابة وعن ابن عباس مرفوعاً الى ليلة الجمعة "[1].

واستدل الطباطبائي على أنّ طلب الاستغفار كان من أولاد يعقوب (عليه السلام) بدليل قولهم يا أبانا فقال " القائلون بنو يعقوب بدليل قولهم يا أبانا ويريدون بالذنوب ما فعلوه به في أمر يوسف وأخيه، وقال سوف استغفر لكم ربي انه هو العفو أخر الاستغفار(عليه السلام) لهم كما هو مدلول قولاً سوف استغفر لكم ربي، ولعله أخره ليتم له النعمة بلقاء يوسف وتطيب نفسه به كل الطيب لنسيان آثار الفراق ثم يستغفر لهم وفي بعض الأخبار أنه أخره الى وقت يستجاب فيه الدعاء"[2].

نجد أن ابن عاشور يرى أن يعقوب (عليه السلام) استغفر لأبنائه في الحال أي عند طلبهم واستدل بفحوى الكلام، ولكن تنبيها لهم على عظمة ما ارتكبوه فإنه سوف يكرر الاستغفار لهم في المستقبل، أما الطباطبائي يرجع سبب تأخير استغفار يعقوب لحين لقائه بيوسف (عليه السلام) ونسيان ألم الفراق ثم يستغفر لهم ولاسيما أن عاطفته الأبوية تشملهم أيضاً .

وتمضي أحداث هذه القصة وتنقل لنا صور العاطفة المختلفة، إذ لم يحول منصب يوسف (عليه السلام) ومقامه وجاهه عن إقامة واجبه، فخرج لاستقبال والديه؛ لأن وجود الآباء الى جانب أولادهم لطف إلهي ونعمة كبيرة.

والمحصل إن على الوالدين مداراة أولادهم وتربيتهم على المحبة والود واجتناب وقوع التحاسد والتباغض بينهم، وعدم تفضيل بعضهم على بعض بما يعده أحدهم استصغاراً له و محاباة لأخيه بالهوى، وعليهم سلوك سبيل الحكمة في تفضيل من فضل الله تعالى بالأخلاق السامية والموهبة الفطرية والتقوى والعلم والذكاء، وما كان يعقوب (عليه السلام) يخفى عليه هذا، وما نهيه ليوسف عن قص رؤياه عليهم إلاّ من علم

---

[1] التحرير والتنوير : ابن عاشور 13/ 54.
[2] الميزان : الطباطبائي 12/ 245.

وبصيرة بحقائق الأمور، ولكن ما يفعل الإنسان بغريزته وقلبه فغالباً ما تتسلط على جوارحه .

المطلب الثالث / الجوانب العاطفية في وصايا لقمان الحكيم:

من أجمل صور العاطفة الأبوية عاطفة لقمان الحكيم تجاه ابنه التي صورها بأسلوب رائع في عرض المسائل العقائدية والواجبات الدينية، وكل ما يتعلق بالأخلاق الإسلامية، وقدم لنا في الآيات الكريمة المباركة دروساً تربوية بعاطفته المتنورة بنور الحكمة بسبب التقوى والصلاح وجرت أجمل القيم التربوية على لسانه .

وكانت وصاياه ومواعظه لابنه تعكس الأبوة المثالية، فضلاً عن عمومها وشموليتها، إذ ابتدأت بقوله يابني، وحكمته توجب عليه قبل كل شيء مسألة أساسية مهمة وهي مسألة التوحيد، إذ دعا ولده بتصحيح أفكاره العقدية، ثم انتقل الى السلوك قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة لقمان /14).

ووصف فضل الله حوار المحبة بين لقمان وولده بالصورة الحميمة بقوله : " هذه هي الصورة الإنسانية الحميمة التي تمثل النموذج الأمثل للمسؤولية في علاقة الآباء بالأبناء، ولذلك فقد كان من الطبيعي للجو العاطفي الحميم الى تقديم التجربة وتحريك المعرفة في حياتهم ليبدأوا بداية طيبة "[1].

كان لقمان (عليه السلام) يعلم ولده الرشد ويؤدبه بالخلق الحسن ويدعوه الى التوحيد في جميع المجالات " لأن كل حركة هدامة ضد التوجه الإلهي تنبع من الشرك من عبادة الدنيا والمنصب والهوى وأمثال ذلك، والذي يعتبر كل منهما فرعاً من الشرك كما أن

[1] من وحي القرآن : فضل الله 18/ 190.

أساس كل الحركات الصحيحة البناءة هو التوحيد والتوجه إلى الله وإطاعة أوامره والابتعاد عن غيره وكسر كل الأصنام في ساحة كبريائه"[1].

ومن أجمل صور العطف الأبوي أنه أراد لولده أن لا يظلم نفسه " أي لا يجعل لله شريكاً وهل هناك ظلم أعظم من أن يربط الإنسان أعمال الإله بمخلوق له ما يسبب فساد دينه ودنياه وفساد دنيا ودين من اتبعه"[2] وهو ظلم في حق الله (ﷻ) وظلم في حق الإنسان نفسه .

ومن أوجه العاطفة جهد الأب في إقناع ابنه بما ينفعه في الدنيا والآخرة كما في نصيحته له وإظهار أن الدنيا بحر عميق أخشى هلاكك فيها كما هلك غيرك فما عليك إلا التوكل على الله (ﷻ) والإيمان به والتقوى والتبرئة من الذنوب؛ لأن النجاة بيده سبحانه[3].

ومما يبدو واضحاً أن مواعظ لقمان الحكيم لولده كانت خالصة لله (ﷻ)؛لأن النية الصادقة للوالدين والعلاقة الطيبة مع أولادهم فلا يمكن أن يتعرضان في مواعظهم إلاَّ ما فيه صلاح الولد وخيره.

وبعد وصيته بالتوحيد تذكر الآية الكريمة الوالدان و متاعب الأم وجهودها العظيمة، حملته وهنا على وهن عند الحمل والولادة وما يصاحبها من متاعب وآلام حتى الرضاعة قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإنسان بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾(سورة لقمان /14) يرى الطباطبائي أن الوصية بالوالدين اعتراض واقع بين الكلام وليس من كلام لقمان (عليه السلام) وقد اطرد هنا للدلالة على وجوب شكر الوالدين كشكر الله تعالى[4] ونظيره

---

[1] الامثل : الشيرازي 10 / 231 .
[2] تقريب القرآن الى الأذهان : الشيرازي 4/ 268.
[3] ينظر : مجمع البيان : الطبرسي 8/ 316 .
[4] ينظر الميزان : الطباطبائي 16/ 175 .

قول مغنية " هذه الآية وما بعدها استطراد في سياق وصية لقمان "[1] ووافقه فضل الله في ذلك [2].

ويشير سيد قطب الى مسألة مهمة يؤكد فيها على عظمة العاطفة الأبوية وهي كثيراً ما ترد في الآيات الكريمة حث الأبناء على مداراة الوالدين بخلاف وصية الآباء بأولادهم نجدها قليلا، ماعدا مورد النهي عن قتل الأولاد والتي كانت عادة مشؤومة قبيحة واستثنائية في عصر الجاهلية وذلك؛ لأن الوالدين وبحكم عواطفهم القوية قليل ما يهملون أولادهم بيد النسيان، في حين يلاحظ بكثرة أن الأولاد ينسون الأبوين و خاصة عند الكبر والعجز وتعتبر هذه آلم وأشد حاجة لهما وأسوأ صور كفران النعمة بالنسبة للأولاَّد[3].

فبعد موعظته عن التوحيد تحدث عن المبدأ والمعاد قال تعالى : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾(سورة لقمان /16) عرضت الآيات الكريمة عواطف لقمان الحكيم لولده بأسلوب جميل إذ إن الإصلاح الفردي و الاجتماعي يعد قوة محركة لعمل الخير و حماية من الشر.

وفي هذه الموعظة يلفت لقمان الحكيم نظر ولده لأمر مهم يحيي القلب والضمير وهو رقابة الله (ﷻ)، فمن صغره يعرفه بخالقه و معبوده الذي لا يخفى عليه شيء في هذا الكون ولو بمقدار حبة خردل التي هي كناية عن " الخطيئة أو الفعلة التي تقتضي الجزاء"[4] ليكون لديه حصانة ورادع من الانحرافات وهو أن يكون الرقيب هو الله (ﷻ) ليخشاه الإنسان في كل مكان وزمان ليغرس هذا المعنى في قلب الجيل الجديد ليعظموا الله (ﷻ) ويلفت أنظارهم الى ملكوته وقوته .

---

[1] الكاشف : مغنية 6/ 160 .
[2] ينظر: من وحي القرآن : فضل الله 18/ 191.
[3] ينظر : في ظلال القرآن : سيد قطب 6/ 484 .
[4] التبيان : الطوسي 8/ 278 .

ومن أوجه العاطفة إقناع المعطوف عليه بإقامة الواجبات والكف عن المحرمات بغية تبرئته من الذنوب يوم القيامة فبدأ بالحديث عن أهم الأعمال وهي الصلاة قال تعالى : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾(سورة لقمان /17) ذلك الارتباط الروحي بين الخالق والمخلوق، وهي أصل نور القلب وضياء الحياة وصفاء الروح والمطهرة من الذنوب واستجابة لنداء الله (ﷻ) فإنه "لما منعه من الشرك وخَوفه بعلم الله وقدرته أمره بما يلزمه من التوحيد وهو الصلاة وهي العبادة لوجه الله مخلصاً وبهذا يُعلم أن الصلاة كانت في سائر الملل غير أن هيئتها اختلفت "[1].

ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى : ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾(سورة لقمان /17)فهو منهج تغيير واصلاح للمجتمع، وأداة كل مصلح وداعي الى الخير وهي غير مختصة بفئة معينة بل هي مطلب كل أفراد الأمة بدليل قوله (صلى الله عليه وآله) " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[2].

وعليه يجب تربية الأبناء " من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكي يكونوا افراداً يتحملون المسؤولية الاجتماعية، ولا بد من تعلم الأبناء بنحو يبين لهم المعروف والمنكر ويكفي أن يكون الإنسان في طريق الحق بل لابد من دعوة الآخرين الى السير في طريق الحق والأب الحكيم يتقبل ما ينزل بابنه من مصاعب ويأمره بالصبر عليها ولكنه لا يرضى له أن يسكت أمام ما يتعرض له الدين من هجوم"[3] بل علينا أن نحاسب انفسنا فهذا الدين رسم للبشرية منهجاً شاملاً للدنيا والآخرة.

وأوصاه كذلك بالصبر قال تعالى:﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (سورة لقمان /17) أجمل ما يتصف به الإنسان هو الصبر ويظهر عند

---

[1] مفاتيح الغيب = التفسير الكبير : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الرازي(ت606هـ)، دار الفكر، ط1، 1401هـ -1981م، 25/ 148.

[2] غرر الحكم : الآمدي 4152

[3] تفسير النور : قراءتي 7/ 228

الشدائد وهو عدة المؤمن و سراج الطريق المظلم " والأمر بالصبر بعد الأمر بالمعروف يومئ الى أن من دعا دعوة الحق لاقى في ذات الله ما يلاقيه كل مجاهد مخلص من سحر المبطلين "[1] .

ثم انتقل ينهاه عن الكبر الذي هو من صفات ابليس قال تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (سورة لقمان /18- 19) ونهاه عن التصعر أي " لا تذّل للناس طمعاً فيما عندهم"[2]هذه الصفات المذمومة فيها هلاك الإنسان إذ يرى نفسه أفضل من غيره .

أي بمعنى" لا تمل وجهك عنهم تكبرا بل أقبل عليهم وتواضع لهم وبعد أن نهى عن مشي المرح بين معناه بأنه مشي باختيال وفخر، والاختيال هو الزهو و الفخر هو المباهاة ولا شيء أدل على الجهل والنقص من هذه الصفات، ولا تبطئ ولا تسرع واتخذ بين ذلك سبيلا ورفع الصوت بدون حاجة يدل على البلادة "[3] إن وعظ لقمان الحكيم لابنه انطلاقا من عاطفته الأبوية وحبه له إذ كان يرجو أن يكون من اصحاب الجنة، و تبين مدى حبه و عطفه عليه بقوله يا بني فيأتي التأكيد هنا يوضح بأن الأبوة دافع للوعظ، فلا مكر فيها ولا خداع، وصية أب لولده تبين أن التربية مهمة صعبة وخطيرة وهي بحاجة لمزج العاطفة الأبوية مع الحكمة التي جعلها الله (ﷻ) سمة لأوليائه .

دلالات تربوية في وصايا لقمان :

ومما سبق تتضح لنا دلالات مهمة في وصايا لقمان و أهمها:

---

[1] التفسير الكاشف : مغنية 6/ 163.

[2] تفسير القمي : أبو الحسن علي بن ابراهيم القمي(من اعلام قرني 3-4هـ)، صححه وعلق عليه: طيب الموسوي الجزائري، مكتبة الهدى، النجف، 1386هـ، 2/ 165 .

[3] التفسير الكاشف : مغنية 6/ 163 .

الدلالة الأولى /الموعظة: قدم لقمان الحكيم آليات حكيمة عكست عاطفته الأبوية من خلال عرضه مسؤوليات تربوية بمبادئ ومضامين راقية فعالة في الإصلاح الفردي والاجتماعي، ومن أهم اساليبها الوعظ وهو النصح والإرشاد، إذ عكس لقمان (عليه السلام) باعتماده اسلوب الوعظ أهميته ودوره في تطوير مسيرة الإنسان ومما يؤكد ذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لابنه الحسن (عليه السلام) " أحي قلبك بالموعظة"[1] وبذلك قدم لنا أمير المؤمنين درساً تربوياً بوصفه الموعظة بالحياة.

ويظهر أن القيمة التربوية للوعظ تعد صمام أمان عن الخطيئة و المعصية كما وصفها أمير المؤمنين (عليه السلام) " الموعظة كهف لمن وعاها "[2] فهي كهف يأوي إليه الإنسان ليحميه من الأخطار، وهي مسوغ للآباء في متابعة أبنائهم يومياً وأفضل ما يقدمه الأب لابنه ليصلح سلوكه في القول والفعل؛ ولأن الولد بحاجة الى النصيحة فلا ينبغي أن نغفل عن ابنائنا واعتماد حوار المحبة، والموعظة لابد من أن تكون مقرونة بالعاطفة.

الدلالة الثانية / الكلمة الطيبة: كشفت لنا الآيات الكريمة عن آلية اعتمدها لقمان الحكيم وقيمة تربوية سامية لها دور كبير في التأثير و هي الكلمة الطيبة" و لقمان اعتمد هذا الاسلوب ليصل الى قلب ولده فقد خاطبه في هذه الآية وآيتين أخريين بكلمة بني، وهي كلمة حانية بمقدار حنو الأب على ولده فهو لم يقل يا ابني ولم يقل يا ولدي يمكن أن يخاطب بها الكبير والصغير والمحبوب وغير المحبوب وإنما اختار بني لما فيها من الاشفاق الأبوي على ولده الذي يعظه "[3] .

الدلالة الثالثة / تعليل الأفعال: بيان مهم للمربين والآباء عندما ينهى ولده عن أمر معين ويأمره بآخر عليه أن لا يغفل التعليل كما فعل لقمان قال تعالى : ﴿يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ﴾(سورة لقمان /13 إذ أن لقمان (عليه السلام) لم ينهَ عن

---

[1] نهج البلاغة: الشريف الرضي 4/ 410 .

[2] من لا يحضره الفقيه : أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق(381هـ)،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، 4/ 390 .

[3] حكمة القرآن في سورة لقمان: محمد النمر الصائغ الموسوي، دار الولاء، بيروت – لبنان، ط1، 1432هـ - 2011م، 168 .

الشرك فقط بل بين له فلسفة ذلك وذكر العلة فتعدى الظاهر وغاص في باطن الحقائق واعماقها ليزيده بصيرة وتفكر وقناعة بنتائج الأمور بقوله أن الشرك لظلم عظيم فهو يمثل قمة الرذائل، وفي هذا التوجيه القرآني أداة لفهم الأحكام وتطوير النمو الفكري والمعرفي للإنسان، [1]ويكون بيان التعليل بمودة ولطف وهدوء متضمن عناصر الاقناع وبذلك يقدم لقمان للمجتمع أساساً مهماً في كيفية اكتساب مهارة التوجيه واعتماد الرفق والود ووعظ الولد بمفرده بعيدا عن الشدة والقسوة والتقريع والترهيب ومد جسور التواصل معه.

الدلالة الرابعة / مراعاة الأهم: أما القيم التربوية الأخرى التي اعتمدها لقمان الحكيم في وصيته لولده مراعاة الأهم وتقديم الأولى و تأخير ما رتبته التأخير فنجده أوصى بترك الظلم العظيم و هو الشرك بالله (ﷻ) الذي يعد خروجاً عن الحدود، إذ إن أساس التفكير الصحيح وضع كل شيء في مكانه المناسب وهذا ما يغفل عنه كثير من الناس إذ نجدهم منشغلين بما هو أقل أهمية من شؤون الحياة على حساب الأهم، فيجب اختيار موضوع مناسب بحسب الموقف لتكون البداية مع المهمات [2]ويستمر القرآن يعرض المواعظ التربوية في كل وصية ويتكرر النداء الأبوي يا بني نداء يؤلف القلوب ويعمرها بالمحبة ويحيطها بالرأفة والحنان

وعند التأمل في هذه الوصية الشاملة نجد إنها وصية خلدها الكتاب المجيد تجسدت فيها عاطفة الأبوة في معالم التربية، وبذلك يكون لقمان (عليه السلام) عرض الدستور لحياة الإنسان وهو التوحيد، وبعده ذكر الواجبات العملية ثم تطرق للمفاصل الأخلاقية المتعلقة بنفس الإنسان فيوصي ولده بالتواضع واجتناب التكبر وعدم الاعراض عن الآخرين والابتعاد عن الخيلاء والمرح هذه الصفات الذميمة تقطع الأواصر الاجتماعية فاراد لقمان الحكيم بذكرها محاربة كل ما يدعو الى الغرور والتكبر.

([1]) ينظر : حكمة القرآن في سورة لقمان : الموسوي 170.
([2]) ينظر : المصدر نفسه 169.

ثم بين السلوك الأخلاقي الإيجابي وهو الاعتدال في المشي و خفض الصوت ومن يعمل بهذه المواعظ والوصايا يعد من السعداء في الحياة وعزيز عند الخالق، وذكر المشي كونه مرآة عاكسة عن داخل الإنسان وأخلاقه، وبالتالي قدم لقمان لولده برامج أخلاقية واجتماعية يجب على المربين مراعاتها في الشأن التربوي، لأن التربية هي الأخذ بيد الإنسان الى كماله المادي والمعنوي لا توجيه الأوامر والنواهي في دائرة التسلط الأبوي البعيد عن المحبة والمودة .

المطلب الرابع /عاطفة أبوة إبراهيم (عليه السلام):

من روائع قصص الأبوة التي قصها القرآن الكريم عاطفة النبي إبراهيم (عليه السلام) تجاه ولده اسماعيل (عليه السلام) بعد أن نصره الله (عز وجل) على قومه وقال للنار كوني برداً وسلاماً، فابتعد عنهم وكان قد يأس من هدايتهم، فدعا ربه بأن يهبه ذرية قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة الصافات /100) فاستجاب الله (عز وجل) دعاءه وبّشر بغلام حليم ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (سورة الصافات /101).

والحلم صفة جليلة في الإنسان وأصل الصلاح والفضائل ولم يوصف في القرآن بهذه الصفة غيره وأبوه (عليهما السلام) ،﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة الصافات /102) ولما بلغ الغلام هذا المبلغ الذي ينتظره الأب صار ملازماً له ومتعلقاً به، وقد ذهبت مشقته في هذا العمر، وأقبلت منفعته وصار بإمكانه الاعتماد عليه، أي" شب وبلغ إلى أن يتصرف ويعينه على أموره، وكان ابن ثلاث عشرة سنة، أو المراد بالسعي العمل لله والعبادة"[1] ووصل مرحلة يستطيع أن يبذل جهده فيها ويمكنه السعي مع والده واعانته.

([1]) عقود المرجان في تفسير القرآن : نعمة الله الجزائري (ت 1112هـ)، تحقيق: مؤسسة شمس الضحى الثقافية، احياء الكتب الإسلامية، قم، إيران، بلا طبعة، 1388هـ، 4/ 225.

رأى إبراهيم (عليه السلام) رؤيا والمعروف أن رؤيا الأنبياء حق فقال لابنه " إني أبصرت في المنام رؤيا تأويلها الأمر بذبحك فانظر ماذا ترى "[1] أي أن إبراهيم (عليه السلام) كان مدركاً أن هذه الرؤيا أمر إلهي.

قال الطباطبائي في معنى قوله إني أرى " يدل على تكرر هذه الرؤيا كما في قوله وقال الملك إني أرى في سورة يوسف و قوله فانظر ماذا ترى هو من الرأي بمعنى الاعتقاد أي فتفكر في ما قلت معين ما هو رأيك فيه، وهذه الجملة دليل على أن إبراهيم(عليه السلام) فهم من منامه أنه أمر له بالذبح مثله له في مثال نتيجة الأمر ولذا طلب من ابنه الرأي فيه وهو يختبره بماذا يجيبه"[2].

وقال عبد الله شبر: "إنما شاوره فيه وهو حتم، ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله ليثبت قدمه إن جزع، ويوطن نفسه عليه فيهون وينقاد له فيؤجر"[3]

وكان ابتلاء إبراهيم (عليه السلام) من جنس ما يشغل قلبه وهو الذرية، إذ إنّ الإرادة الإلهية فرضت عليه " وضع عواطف الأبوة جانبا و الامتثال لأوامر الله بذبح ابنه الذي كان ينتظره لفترة طويلة، وهو الآن غلام يافع قوي ولكن قبل كل شيء فكر إبراهيم (عليه السلام) في إعداد ابنه لهذا الأمر إذ قال يا بني إني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى، الولد الذي كان نسخة طبق الأصل من والده والذي تعلم خلال فترة عمره القصيرة الصبر والثبات والإيمان في مدرسة والده رحب بأمر الله (عز وجل) وبصراحة واضحة "[4].

وبذلك يهون الأمر على والده بدلاً من مفاجأته فتظهر التربية النبوية التي تلقاها من أباه إبراهيم (عليه السلام) مطيعاً له بطيب نفس وبصدر رحب ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ (سورة الصافات /102) فأجابه بجواب يدل على إيمانه بالوحي و" تطييب منه لنفس

---

[1] مجمع البيان : الطبرسي 8/ 322.
[2] الميزان : الطباطبائي 17/ 152 .
[3] الجوهر الثمين: شبر 5/ 197.
[4] الأمثل : الشيرازي 11/ 289.

أبيه أنه لا يجزع منه ولا يأتي بما يهيج وجد الوالد عن ولده المزمل بدمائه، وقد زاد في كلامه صفاء على صفاء إذ قيد وعده بالصبر "[1].

هذه العلاقة الجميلة بين الأب والأبن وقول الأبن يشير الى ثقة عالية بالنفس واستعداد للامتثال في أن يقول ستجدني مرتبطاً بمشيئة الله (ﷻ) ومما لا ريب فيه " إن اسماعيل (عليه السلام) كان أعز ما يملكه إبراهيم (عليه السلام) في حياته بعد الإيمان بالله أراد ربنا أن يمتحن مستوى تضحيته في سبيله فوجده مسلماً وهكذا كان ولده (عليه السلام) قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين يتضح لنا من هذه الآية إن الأنبياء لا يتجاوزون الامتحانات الإلهية بالإعجاز إنما يتذوقون مرارتها وصعوباتها "[2].

إذ يعرف إبراهيم (عليه السلام) أن ما رآه هو أمر إلهي وعليه أن يمتثل، لكنه يعرضه على ولده ليفكر ويقرر ويزيد من قدره، فما كان جواب اسماعيل (عليه السلام) إلاَّ طاعة الله (ﷻ) ووالده افعل ما تؤمر فانعكاس عاطفة إبراهيم (عليه السلام) باحترامه لابنه، وعرض الرؤيا عليه ولدت في نفسه الرضا والامتثال ما كان له الأثر النفسي الكبير.

وقد صرح اسماعيل (عليه السلام) عن حاجته لمشيئة الله تعالى حتى يتجاوز أهواء نفسه و الى الصبر حتى يقاوم صعوبات الامتحان، فلما أسلما وتله للجبين صدق الأب الرؤيا و استجاب الأبن الى والده وأضجعه على الأرض وكان هدف اسماعيل (عليه السلام) من ذلك أن يمضي أبوه في تنفيذ أمر الله فلا تثنيه عاطفة الأبوة لو لاح له وجهه [3].

تخاطب كل من الأب والابن بكلمات عظيمة " وكم تخفي في بواطنها من الأمور الدقيقة والمعاني العميقة، فمن جهة الأب يصارح ولده البالغ من العمر ثلاثة عشر عاما بقضية الذبح ويطلب منه اعطاء رأيه فيه حيث جعله هنا شخصية مستقلة حرة الإرادة، فأن إبراهيم لم يقصد أبداً خداع ولده ودعوته الى ساحة الامتحان العسير

---

[1] الميزان : الطباطبائي 17 / 129 .
[2] من وحي القرآن : فضل الله 19/ 206 .
[3] الأمثل : الشيرازي 11/ 302.

بصورة عمياء، بل رغب بإشراكه في هذا الجهاد الكبير ضد النفس وجعله يستشعر حلاوة ولذة التسليم بأمر الله والرضا به " [1].

هنا يظهر الأدب الرفيع من إبراهيم (عليه السلام) تجاه الله (عز وجل) بتنفيذ الأمر الإلهي وتقديمه على عاطفته الأبوية.

ومن جهة أخرى يتبين أدب الأبن أيضاً، إذ قال له افعل ما أنت مأمور به فإنني صابر على بلاء الله، مخاطبا أباه يا أبتي ليبين عمق مشاعره تجاه أبيه " هذا هو سبيل المؤمنين حقا وصدقا، امض على أمر الله بصبر وشجاعة حتى ولو كان أمراً بالذبح بلا تحريف وتأويل واعتذار وتعليل"[2].

وعليه نجد العاطفة المتبادلة بين الأب والأبن ضمن إطار الأمر الإلهي واعداد السماء، وكان اخبار ولده بالرؤيا للإعداد النفسي قدم لنا نموذجاً عظيماً من صور الأب والأبن في تجاوز المصاعب والعقبات والصبر على المحن من أجل تنفيذ أمر الله وهذا ما نحن بحاجة إليه اليوم في المجتمع إذ إن طريقة تفكير الإنسان سبب في سعادته، وكان لإبراهيم منهج تعليمي متميز وقد انعكست فيه العاطفة الأبوية في أعلى مقاماتها وأكد أن ادراك الإنسان بوظيفته يمنع الاختلافات وسوء الفهم وقد يذهب عدم ادراك الإنسان لدوره وغموض معرفته بمهامه الى الصراعات والاختلاف وعدم الرضا.

وباشراك الآخر وتقبل وجهة نظره منهج تعليمي فعّال في اعداد الجيل ويساعد على تجنب الانحراف وكل أثر ضار عن الانفراد في الرأي، كما يسهم هذا المنهج التربوي بزيادة ثقة الآخرين بأنفسهم، وقدرتهم على التعبير وحل الأزمات والاعتماد على النفس ويساعد المتعلم على تقدير ذاته والشعور بأهميتها، فكانت العاطفة الأبوية صورة جميلة في هذا الباب .

([1]) الأمثل : الشيرازي 289/11.

([2]) التفسير المبين : محمد جواد مغنية، مؤسسة عز الدين، بيروت، لبنان، طبعة ثانية منقحة ومزيدة، 1403هـ-1983م،593.

وخرج إبراهيم وولده منتصرا في هذا الامتحان الشاق، وصور لنا اسماعيل أبرز مظاهر الأدب الرفيع تجاه الخالق (ﷻ) وكيفية اعتماده على الإرادة والمشيئة الإلهية وطلب التوفيق و العون منه تعالى، وبذلك خرج الأب مرفوع الرأس من هذا الاختبار الذي فرض عليه وضع عواطف الأبوة جانبا والامتثال لأمر الله تعالى، و حقق نجاحاً باهراً كانت فيه العواطف الإنسانية وسيلة لتنفيذ الأمر الإلهي ليخصه الله (ﷻ) بالسلام (سلامٌ على إبراهيم) جزاء على طاعته[1].

كما أن استشارة الأبن إشعار له بقيمته، ففي استشارة إبراهيم (عليه السلام) لولده واستسلام الابن للأمر الإلهي رفع من قدره ومنحهم صبراً وقوة للتضحية، فقد كان الامتحان صعب للأب والابن معاً هل يميل الأب للأمر الإلهي وينحي عواطفه وأبوته، وهل يسلم الابن لأمر الله سبحانه الذي تلقاه أباه والله (ﷻ) عالم بما في نفس كل منهما (عليهما السلام)، ويعلم ما يصدر عنهم من أقوال وأفعال وإنما هو درس بليغ في تربية المسلم من خلال هذه المناهج الربانية؛ لأن التعاليم السماوية والشعائر الإلهية ما هي الا دروس تربي الفرد وتكشف له حقيقة باطنه ونفسه[2].

المطلب الخامس /عاطفة البنوة في القصص القرآني :

يعرض القرآن الكريم نماذج عدة من عاطفة البنوة في القصص القرآني، وهي مختلفة من حيث الصلاح والضلال، فمن الأبناء من يتصف بالبر والإحسان كعاطفة إبراهيم تجاه أبيه آزر، وعاطفة اسماعيل تجاه إبراهيم (عليهما السلام) وعاطفة بنت شعيب (عليه السلام) التي قدمت درساً رائعاً عن حسن الأدب في مخاطبة الأب ومشاورته والنداء بلفظ العاطفة بقولها يا أبتِ، ومنهم من يتصف بالضلال كعاطفة ابن نوح ونكتفي بالإشارة الى مثال واحد تجنبا للتكرار بسبب التداخل الحاصل بينها وبين عاطفة الأبوة، وهو عاطفة النبي إبراهيم (عليه السلام) مع أبيه آزر قال تعالى:﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ

([1]) ينظر : الأمثل : الشيرازي 11/ 289.
([2]) ينظر : من وحي الفرآن : 19/ 206.

وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (سورة مريم/ 41-44).

إن الذي كان يخاطبه النبي إبراهيم (عليه السلام) بقوله: يا أبتِ لم يكن والده؛ لأن والده قد توفي، وإنما كان عمه آزر أو جده لأمه، أو زوج أمه بعد وفاة أبيه، إذ ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) أن والده كان موحدا[1].

وكان خطابه (عليه السلام) مع أبيه خطاب عاطفي، ويتضمن كل معاني اللطف وهو يحاول اقناعه ليسلك طريق التوحيد والهداية، متحببا إليه بقوله: يا أبتِ إذ بدأ يدعوه برقة وحنان، فكانت هذه الدعوة الودودة اللطيفة بألفاظ عاطفية جميلة لا تؤثر في قلب الأب الضال المستنكر لوجود الخالق.

وقد "واجه الحوار صعوبة أول الأمر؛ لأنه حوار الأبن مع أبيه، في مجتمع يعطي للأبوة قيمة كبيرة الى حد التقديس، الذي يلزم الأبناء الخضوع المطلق لآبائهم، لهذا استخدم أسلوب حذر، وشحن حواره بالعاطفة الى درجة تجعل من يقرأه يتصور أنه يتوسل الى أبيه تماما، كما هي حالة من يخاطب إنسانا عزيزا معرضا للسقوط"[2].اعتمد إبراهيم (عليه السلام) في حوار الدعوة لأبيه التلطف والترقيق، لإدراكه بأهمية الجانب العاطفي حتى مع قسوة الأب وتهديده، استمر (عليه السلام) بحوار المودة ورد بالسلام، وأظهر خوفه عليه من العذاب بقوله يمسك ولم يذكر العذاب بلفظه

إن تعبير إبراهيم (عليه السلام) وأسلوبه في الحوار "رائع جدا فهو من جانب يخاطب عمه دائما ب(يا أبتِ) وهذا يدل على الأدب واحترام المخاطب ومن جانب آخر فإن قوله (أن يمسك) توحي بأن أبراهيم كان قلقا ومتأثرا من وصول أدنى أذى إلى آزر فكانت كلماته ممتزجة باللطف والمحبة"[3] ونجد أن إبراهيم (عليه السلام) لم يقدم العاطفة على الحق، بل نهى عن المنكر ونفذ الأمر الإلهي، ولم تمنعه علاقة القرابة بينهما، و

(1) ينظر : الميزان: الطباطبائي14/ 57.
(2) من وحي القرآن: فضل الله 15/ 47.
(3) الأمثل : الشيرازي 8/ 54.

بتكرار قول يا أبتِ استفاد من العاطفة في مجال الدعوة والتبليغ[1] .وفي ضوء ما تقدم أن إبراهيم (عليه السلام) كان يدعوه بكل محبة، وعمد الى إثارة الأجواء العاطفية مع أبيه، ليوفق بين الدعوة والعاطفة ويجعلها أداة للرسالة، وتكون طريقته سنة في المواقف المماثلة مع الأفراد الذين نرتبط معهم بالقرابة والعاطفة، لنقتدي بالنبي إبراهيم (عليه السلام) الذي كان حواره حوار مشاعر واحاسيس، واعتبر العاطفة جزء من تخطيطه لتسهيل الاقناع والإفادة من الجوانب الوجدانية والنفسية في هذه المهمة.

المبحث الثاني / عاطفة الأمومة في القصص القرآني:

توطئة

عاطفة الأمومة هي إحساس فطري ومشاعر مودعة من الله (عز وجل) في قلب كل أم تجاه ابنائها، وهي أعظم هبة إلهية خُصت بها المرأة، ولا تخضع للتغير في مختلف الظروف، لتتجلى بالصبر وتحمل مشاق الحمل والولادة، واحتضان الوليد بالحب والحنان والعطف الى آخر جودها .

والأمومة فضيلة تجسدت في كيان المرأة، لتحمل كل معاني الحب والصفاء والصدق والتضحية، ولأهمية عواطف الأم ودورها في حياة الإنسان وصفها الله (عز وجل) بالقرار المكين قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ (سورة المؤمنون/13) أي "مستقر حصين يعني الرحم، وهو صفة للمستقر"[2].

ولما خص الخالق (عز وجل) الأم بهذه الخاصية وأوكل إليها وظيفة الأمومة، لذا هي مفطورة على المحبة والرحمة لوليدها لتقوم بواجباتها تجاهه .

والإسلام الحنيف منذ الأيام الأولى حفظ لها كرامتها، ووضع الأسس المتينة في تربيتها ورعايتها، ومنع وأدها وتفضيل الذكر عليها، ورعاية الإسلام للأم شاملة سواء كانت حرة أو مملوكة، والأطفال يجدون راحتهم عند الأم، فيلوذون بها و

([1]) ينظر: تفسير النور: قراءتي 5/ 253.
([2]) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب : المشهدي 9/ 143.

ينضمون الى صدرها، وقد خلق الله (ﷻ) المرأة وجعلها متهيئة للأنجاب ولديها القدرة للعناية بوليدها حتى يصبح قادراً على إدارة شؤونه، وفطرها على حبه صغيرا

وما أجمل أن يعبر القرآن بالأم وأوحينا الى أم موسى ولم يذكر اسمها، إذ يصور من خلال هذا الهدف السامي كل معاني الأمومة، وقد عرض القرآن الكريم مواقف عدة عن الأم، يبين مكانتها ومنزلتها العظيمة، كما أوصى بالإحسان إليها وإكرامها ومن أهم النماذج التي طرحها نعرض الآتي:

المطلب الأول : عاطفة أم موسى (عليها السلام)

قدم لنا الكتاب العزيز هذه الأم الصالحة بأسلوب معجز، لا يمكن الاتيان بمثله لتظهر لنا عاطفة الأمومة بكل معانيها.

إم موسى هي الأم الوحيدة التي ذكرها القرآن الكريم بكنيتها، أما اسمها فقد اختلف المفسرون فيه فمنهم من قال يوكابد، وفي الكتاب المقدس أن معناه (يهوه مجد)، وفي التوراة ان هذا اسمها وقيل ان اسمها يوخابل[1].

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (سورة القصص /7) إن هذه الآية على إيجازها تشتمل على أمرين ونهيين وبشارتين وهي خلاصة قصة كبيرة، الأمرين أرضعيه وألقيه، والنهيين لا تخافي ولا تحزني والخبرين وأوحينا الى إم موسى، فإذا خفت عليه، والبشارتين إنا رادوه إليك وجاعله من المرسلين[2].

ولد موسى (عليه السلام) وعيون العدو تترصد من أجل التخلص من كل المواليد الذكور فقد كان فرعون يظن الفناء على يد أحدهم، فَعمِد إلى ذبح كل من يولد، وصارت الدماء تسيل في كل مكان أمام أعين أمهاتهم، وفي هذا الوقت ولد موسى (عليه السلام) وتجلت عظمة الخالق بالوحي الى أمه، إذ ألهمها الله (ﷻ) بأن ترضعه وتضعه في

(1) ينظر : التفسير الكاشف: مغنية 51/6.
(2) ينظر : الأمثل : الشيرازي 9/ 534.

الصندوق ثم تلقيه في النيل قال الطوسي " نهي من الله (ﷻ)عن الخوف والحزن، فأنه تعالى أراد أن يزيل خوف أم موسى بما وعدها من سلامته على أعظم الأمور في القائه في البحر، الذي هو سبب الهلاك في ظاهر التقدير لولا لطف الله تعالى بحفظه ووعدها بأن يرده إليها"[1].

وبين محسن قراءتي سبب هذا الخوف إذ قال " أم موسى كانت تخاف من أمرين أحدهما أن يقتل ولدها والآخر فراقها له والله سبحانه أبدلها ذلك بأحسن ما يمكن "[2]. تلقت أم موسى (عليها السلام) أوامر كثيرة في هذه الآية الكريمة، ارضعيه ألقيه لا تخافي لا تحزني وبشائر أيضاً رادوه وجاعلوه، فعلى الإنسان الاطمئنان عند امتثال الأمر الإلهي، فأم موسى كانت تخاف القتل والفراق على وليدها لكن الله (ﷻ) بلطفه رده إليها.

وأحاط اللطف الإلهي بتلك الأم المتلهفة لحماية وليدها من الذبح، الأم المؤمنة الصابرة المطيعة لأمر الله (ﷻ) فألقت وليدها في البحر وأي صراع للعواطف عانت بين غريزة الأمومة، وبين تنفيذ أمر الله تعالى بأن يحيا بعيداً عنها ليخفف عنها الله (ﷻ) و يطمئنها لا تخافي ولا تحزني.

والوحي هنا كان سبيل لمعرفة الحقيقة؛ لذا نجد العاطفة منذ البداية في هذه القصة فبعاطفتها ألقته في اليَم خوفاً من بطش فرعون، فأدت العاطفة دور إيماني كبير وكان ذلك الإيمان مستقر في القلب، استطاعت من خلاله تعزيز كل معاني القيم الإنسانية لتحرص الأم على نجاة ولدها، فجمع قلب أم موسى (عليهما السلام) بين اتجاهين من العاطفة، وهما الحب للوليد والخوف عليه، ولكن الله (ﷻ) ملأه بالاطمئنان والسكينة وقد وصف حالها سيد قطب فقال " هذا المشهد الأول في القصة، مشهد الأم الحائرة

---

[1] التبيان : الطوسي 8/ 132 .
[2] تفسير النور : قراءتي 7 / 13.

الخائفة القلقة الملهوفة تتلقى الإيحاء المطمئن المبشر المثبت المريح وينزل هذا الإيحاء على القلب الواجف المحرور برداً وسلاماً "[1].

كما أولى القرآن الكريم الأم عناية خاصة وخصها بالذكر بصفة الأمومة، فهو لم يتحدث عن والد موسى عليه السلام؛ لأن الأم التي كانت مناضلة بعاطفتها عن وليدها، لتبدأ قصة كفاحها عندما رأى فرعون تلك الرؤيا، وجاش قلبها بالحسرة عندما رأت تلاطم الأمواج.

وأمر الله (ﷻ) أم موسى بأقوى رباط عاطفي بين الأم ووليدها وهو الرضاعة لتجتمع الرحمة الإلهية مع العاطفة، والإرضاع " فعل معقد يتجاوز مجرد الوظيفة الغذائية يمثل ضرباً من التكامل الحقيقي بين الأم والوليد الذي يعيش في تلك العلاقة ذات الامتياز، تبني خلالها صلة سيكولوجية لا بديل لها في تطوير الطفل"[2].

فغرست تلك الرضاعة الصلة العميقة بين الأم وموسى (عليه السلام)، وتوطدت علاقة المحبة لتتفاعل العاطفة بينهما، سبحان الله (ﷻ) هذا الترتيب الرائع الموحي بالاطمئنان ارضعيه ثم ألقيه .

ويبين ابن عاشور علة الرضاعة بقوله " إنما أمرها الله بإرضاعه لتقوى بنيته بلبان أمه، فأنّه أسعد بالطفل في أول عمره من لبان غيرها، ويكون له من الرضاع الأخير قبل القائه في اليم، قوت يشد بنيته فيما بين قذفه في اليَم وبين التقاط آل فرعون إياه، وايصاله الى بيت فرعون، وابتغاء المراضع ودلالة اخته إياهم على أمه"[3] .

---

[1] في ظلال القرآن : سيد قطب 5/ 2679.

[2] المعجم الموسوعي في علم النفس : نوربير سلامي، ترجمة : وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق - سوريا، 2001م، 158.

[3] التحرير والتنوير : ابن عاشور 21/ 65 .

ويصل الوليد الى القصر، وفي أحضان زوجة فرعون وبعاطفتها تحاول اقناعه حتى يبقيه وتحتفظ به، فهي كانت قريبة من حكومة فرعون الجائرة التي خططت لذبح الأطفال .

قال تعالى : ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة القصص /٩) " فلما نظرت إليه ألقى الله في قلبها محبة موسى وكانت آسيا بنت مزاحم امرأة من خيار النساء "[1].

ولأنها طاهرة القلب مؤمنة فقد شفعت بهذا المولود وأحبته، وأكد الطباطبائي هذا المعنى" وقالت امرأة فرعون قرة عين شفاعة من امرأة فرعون، وقد كانت عنده حينما جاءوا إليه بموسى وهو طفل ملتقط من اليَم، تخاطب فرعون بقولها قرة عين لي ولك أي هو قرة عين لنا لا تقتلوه و إنما خاطبت بالجمع، لأنّ شركاء القتل كانوا كثيرين من سبب ومباشرة وآمر ومأمور وإنما قالت ما قالت؛ لأن الله سبحانه ألقى محبة منه في قلبها فعادت لا تملك نفسها دون أن تدفع عنه القتل وتضمه إليها"[2].

وقال تعالى فيما مّن به على موسى : ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (سورة طه /39).

ومن غير أن يشعروا بتدبير المشيئة الإلهية التي لا يستطيع أحد أن يردها أو يقهرها " اقتحمت به يد القدرة على فرعون قلب امرأته، بعدما اقتحمت به عليه حصنه لقد حمته بالمحبة ذلك الستار الرقيق حمته بالحب الحاني في قلب امرأة وتحدت به قسوة فرعون وغلظته وحرصه وحذره، وهان فرعون على الله أن يحمي منه الطفل الضعيف بغير هذا الستار..... ذلك شأن موسى، فما بال إمه الوالهَ قلبها الملهوف، لقد سمعت الايحاء وألقت بطفلها الى الماء ولكن أين هو يا ترى وماذا

---

[1] مجمع البيان : الطبرسي 7/ 418 .
[2] الميزان : الطباطبائي 16/ 13 .

فعلت به الأمواج ولعلها سألت نفسها كيف آمنت على فلذه كبدها بعد أن قذفت به في اليَم كيف فعلت ما لم تفعله من قبل الأم "[1].

لكن المولود كان في عين الله تعالى ليصل الى تلك المرآة التي كانت تفيض بالحنان، وربما كانت تعيش حالة من الروحانية الخفية فأقنعت فرعون بالحصول على نتائج طيبة من مستقبله ؛ لأننا لم نرزق ولدا يزيل الوحشة الداخلية عنا [2] .

نلحظ أن زوجة فرعون استخدمت لغة العاطفة في تقديم الاقتراح لزوجها للاحتفاظ بالطفل، فقالت: قرة عين لي ولك، وواجهت المنكر بالعاطفة عند رفضها للقتل والنهي عنه، إذ أن طاغية مثل فرعون لا يملك أي عاطفة انسانية لذا قامت بتذكيره وبذلك جعل الله (ﷻ) العاطفة وسيلة للحفاظ على حياة موسى (عليه السلام) .

وأشار الى ذلك محسن قراءتي بقوله :" عند مواجهة المنكر لابد من سلك طريق العاطفة أولاً، ثم اللجوء الى الأمر والنهي"[3].

وهو بذلك يبين أهمية العاطفة ودورها، وكونها أداة فعالة في تطبيق الأحكام الشرعية .

وقد وصف الذكر الحكيم فؤاد أم موسى بكونه فارغاً قال تعالى : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة القصص /10) نقل الطوسي أقوال في معنى فراغ قلب أم موسى " فعن ابن عباس وقتادة والضحاك معناه فارغاً من كل شيء إلاَّ من ذكر موسى، وقيل فارغاً من الحزن لعلمها بأن ابنها ناج سكونا الى ما وعد الله وقبلت به "[4].

---

[1] في ظلال القرآن : سيد قطب 2/ 1234.
[2] ينظر : من وحي القرآن : فضل الله 17 / 269 .
[3] تفسير النور : قراءتي 7/ 15 .
[4] التبيان : الطوسي 8/ 133 .

وقال في معنى الربط على القلب " تقويته على الأمر حتى لا يخرج منه الى ما لا يجوز، ولولا أن ربطنا على قلبه لأظهرته "[1].

أي لولا لطف الله تعالى بأم موسى لأنكسر قلبها، وأظهرت أمرها وأمر وليدها فكتمت عاطفتها وظلت صابرة.

وقال الطباطبائي "الإبداء في الشيء اظهاره، والربط على الشيء شده، وهو كناية عن التثبيت، والمراد بفراغ فؤاد أم موسى فراغه وخلوه من الخوف والحزن، وكان ذلك أن لا يتوارد عليه خواطر مشبوهه واوهام متضاربة، يضطرب بها القلب فيأخذها الجزع فتبدي ما كان عليها أن تخفيه من أمر ولدها"[2] .

يبدو أن تفسير الطباطبائي أقرب الى الواقع من الأقوال التي نقلها الطوسي، إذ أن من الطبيعي لأم موسى أن يكون قلبها منشغلاً بولدها ولن تنساه .

ومحصل معنى الآية صار قلب أم موسى فارغاً من الخوف والحزن المؤدي الى اظهار الأمر، لولا أن منّ الله عليها وثبت قلبها بسبب الوحي، لتكون مطمئنة بحفظ الله لوليدها .

وبعد أن ألقت أم موسى (عليها السلام) بولدها، لم تترك الأمر هكذا تنتظر ولدها حتى يعود إليها بل أمرت اخته أن تلحق بالتابوت قال تعالى:﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾(سورة القصص /11) ولكن بسرية تامة حتى ترى الى ماذا ينتهي أمره، وحتى لا تكون العلاقات بينهما واضحة فلا يقبل اقتراحها بأن دلتهم على من يرضعه مثلاً لوعرفوا أنها اخته وربما يقتلونه، قال مغنية " نظرت نظرة جانبية كأنها لا تريده بالذات، وآل فرعون لا يعلمون قصدها وأنها أخت الصبي الذي ألتقطوه من اليَم "[3].

---

[1] المصدر نفسه والصفحة نفسها.
[2] الميزان : الطباطبائي 16/ 12 .
[3] التفسير الكاشف : مغنية 6/ 52 .

وثم يرفض كل المراضع ويعود لأمه قال تعالى : ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أهل بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة القصص /12-13) كانت نفس موسى تأبى عن الإرضاع من أي مرضعة فأرجعه الله (ﷻ) حسب وعده لأمه، إنا رادوه إليك لأجل أن تسر وتفرح، وتقر عينها ولا تحزن وأوفى سبحانه بوعده إذ أرجع إليها ابنها [1].

ويرى الطباطبائي أن الله (ﷻ) نظم الأسباب بتحريم الإرضاع كي يرده الى أمه وبين نوع هذا التحريم في الآية" تكويني لا تشريعي ومعناه جعله بحيث لا يقبل ثدي مرضع ويمتنع من إرضاعها، وقوله تعالى فرددناه الى أمه تفريع على ما تقدم هل أدلكم على أهل بيت كذا فانعموا لها بالقبول فدلتهم على أمه، فسلموه إليها فرددناه الى أمه بنظم هذه الأسباب "[2].

لما حرم الله (ﷻ) على موسى المراضع، وألقى محبته في قلبَيّ فرعون وزوجته وجعلهم يستجيبون لاقتراح اخته تدلهم على مرضعة يقبلها هي أمه، وفعلا تحركت اخته لتخبر أمها بالأمر، وجاءت أم موسى صابرة متجلدة ملتزمة بكامل السرية و ارتضع موسى (عليه السلام) منها، وعاد إليها سالما كما وعد الله سبحانه.

يبدو دور العاطفة واضحاً في قصة موسى وأمه، ولم تكن منحصرة بالأم فقط بل حتى مع أعدائه، إذ تحركت عاطفة فرعون وأخذ يطلب له المراضع، قال الطبرسي في معنى هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه:" هذا يدل على أن الله تعالى ألقى محبته في قلب فرعون، فلشدة محبته وغاية شفقته عليه طلب له المراضع "[3].

---

[1] ينظر : تقريب القرآن الى الأذهان : الشيرازي 4/ 139.
[2] الميزان : الطباطبائي 16/ 13 .
[3] مجمع البيان : الطبرسي 7/ 219.

فكانت يد القدرة الإلهية بجانب عاطفة أم موسى لتكون مرضعة، ويكبر أمام عينها فضبطت الأم مشاعرها، وتجاوزت مخاوفها وتميزت بالذكاء العاطفي، وكل ذلك كان بعون الله تعالى.

ونجد أن الأم أوكلت مسألة حساسة وعاطفية الى اخته، فأم موسى (عليها السلام) كانت في حالة عاطفية لا تساعدها على متابعة وليدها، إذ ربما يكشف أمرها لو قامت بذلك بنفسها فأرجعه الله (ﷻ) لها.

لأن حاجاته لا تنحصر بالطعام والشراب بل هو بحاجة الى المحبة والعطف والاهتمام المعنوي، لذلك قالت لهم يكفلونه أي بمعنى يهتمون به من جميع الجوانب يقبلونه ويبذلون له النصح ويحسنون تربيته ويضمنون لكم القيام بأمره[1].

وتخلت أم موسى عن لقب أم وقبلت أن تكون مرضعة لولدها، إذ إن مسمى أم سوف يكون سبباً في هلاك الولد وتفجع بقرة عينها، فهي تسعى لتحقيق هدفها وارجاع الطفل الى حجرها حتى وإن كانت أجيرة ..

جسدت هذه القصة دور الأم في حياة أبنائها ، وكيفية تحقق الإرادة الإلهية، وكان هذا الطفل قرة عين أم موسى، وزوجة فرعون، رده الله تعالى إلى إمه كي تسر به وتفرح وتشاهد بعينها صدق وعد الله [2]،وهكذا عملت أم موسى (عليها السلام) كل ما في وسعها، أما لو كانت تنتظر كل شيء يأتي من عند الله (ﷻ) دون أن تقوم هي بدور معين، فلربما لم يرجع لها وليدها، لأن سنة الله (ﷻ) في الحياة قائمة في التغيير على السعي من جهة الإنسان نفسه أولاً.

وكذلك الدور المهم الذي قامت به أم موسى (عليها السلام)، يؤكد دور عواطف المرأة في الصراع الرسالي، كأم وكزوجة وكشحنة عاطفية وهذه قضية أساسية ومهمة فمن جهة نقرأ عما قامت به أم موسى في هذا الصراع ، وما قامت به اخته من تتبع مصيره، ومن جهة أخرى تحدثنا الآيات ما قامت به زوجة فرعون من عمل

([1]) ينظر : مجمع البيان : الطبرسي 7/ 221.
([2]) ينظر : الواضح في التفسير : الموسوي 12/ 22

حافظت به على حياة هذا القائد، إذ أشارت على زوجها بالإبقاء على موسى (عليه السلام) بالرغم من اختلاف الأدوار، إلاَّ انها تلتقي في نقطة واحدة هي مساهمة المرأة في الصراع، وهذه المساهمة لا تقتصر على الأدوار الجانبية بل نجدها في صميم المسؤوليات الخطيرة.

أم موسى (عليها السلام) وإن كانت مؤمنة وملتزمة بالأمر الإلهي إلاَّ إنها كأم كانت لها عواطف الأمومة، فكيف تقبل أن تلقي بولدها الذي عملت المستحيل حتى لا تصل إليه يد السلطة، عناية الله تدخلت في تلك اللحظة وطمأنت قلب الأم الوالهة وعاد إليها ليتربى في بيت فرعون، فكل اهتماماتها الفطرية وجوانب تفكيرها مركزة نحو ذلك الوليد، لقد عاشت حالة صعبة حتى تقطع قلبها حزنا [1]ويذكرنا الذكر بأحد العوامل الأساسية لانتصار الحركات الرسالية في الصراع، وهو عامل الكتمان والسرية في العمل الرسالي الذي يبدو في بعض الأحيان الأهم في العمل فلو أن أم موسى أبدت عواطفها وباحت بسرها لتسببت في القضاء على الحضارة التي أسسها وليدها المبارك " ولهذا قال الإمام الصادق (عليه السلام) كتمان سرنا جهاد في سبيل الله" [2].

لذا فقد أولت الشريعة السمحاء عناية خاصة بالأم لأهمية وظيفتها ودورها في بناء المجتمع، والخطر الكبير الذي يحل بالمجتمع إذا أهملت رسالتها وانحرفت عن إداء أمومتها.

المطلب الثاني / عاطفة أم مريم (عليها السلام) :

يعرض لنا القرآن الكريم صورة أخرى عن عاطفة الأمومة، وهي امرأة عمران قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة آل عمران /35) فهي أم مريم وزوجة عمران المعروفة حنا وكانت عاقرا، ولم تنجب الولد بعد زواجها ما يقارب ثلاثين عاما،

---

(1) ينظر : المصدر نفسه 12/ 21.
(2) بحار الأنوار : المجلسي 44/ 278 .

فدعت الله أن يرزقها ولدا، فاستجاب الله تعالى دعوتها وحملت بمريم، فنذرت لله شكرا على هذه النعمة، أن يكون ولدها خادما لبيت المقدس[1].

وتحققت معجزة الله (ﷻ) وحملت بمريم، وكان زوجها قد هلك قبل أن تلد مريم (عليها السلام) وكان هذا النذر مشرعا في عهدهم للغلمان[2] وكيف تنذر ما في بطنها لخدمة بيت المقدس، وعادة الأم أن تكون متعلقة بوليدها، لكن أم مريم وبعد أن حُرمت من الأطفال مدة طويلة نذرت لله (ﷻ) إذا تحققت رغبتها وجاءها ولد تجعله محررا لبيت الله والتحرير في ذلك الزمان يعني" تحرير الولد من قبل الأبوين عن التبعية لهما، والولاية عليه فليس لهما بعد التحرير السلطنة على الولد بل هو داخل بالنذر تحت ولاية الله تعالى، أو خدمة الأماكن المقدسة والنفوس المحترمة وهذا كان جائزا في الشرائع السماوية السابقة ويعتبرون ذلك من نذر الأبرار"[3].

فقد كانت عاطفة هذه الأم عاطفة راقية وحب رائع، يصور بعمقه غريزة الأمومة المودعة في أي امرأة، فكان لارتباطها الروحي أثر كبير في عاطفتها.

فهي قلوب معتصمة بالله (ﷻ) مؤمنة صابرة متجردة من الخواطر البشرية وملذات الدنيا.

وقد وصلت هذه المرأة الى درجة من الكمال المعنوي، والإيمان الخالص الذي يدعوها الى أن تقدم وليدها الذي تنتظره منذ سنوات، لبيت الله (ﷻ) فكانت تلك المؤمنة الصالحة تنتظر مدة الحمل الى أن حضر ذلك اليوم، وإذا بالمولود انثى والخدمة في بيت المقدس من شأن الذكر، ولكن للمشيئة الإلهية تدبير آخر.

([1]) ينظر : تاريخ الأمم والملوك : محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، بيروت، لبنان، ط2، 1387هـ، 1/ 585، تاريخ ابن خلدون (العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر): عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت808هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1401هـ - 1981م، 1/ 159.

([2]) ينظر: زبدة التفاسير: الكاشاني 1/ 476.

([3]) مواهب الرحمن : السبزواري 5/ 286 .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾(سورة ال عمران /36).

الآية الكريمة تصور الحالة النفسية التي كانت تمر بها أم مريم، بعد أن كانت تنتظر (ﷻ) مولوداً ذكراً حتى تتمكن من الوفاء بنذرها ويخدم في بيت الله المقدس " إلاَّ إنها حين رأت المولود، قالت بحسرة وألم إلهي لقد ولدت أنثى، فكيف لي أن أفي بنذري، وجاء جواب الله (ﷻ) ليجزي هذه الأم وهذه الأنثى أرفع منزلة من ذلك الذكر الذي كنت تنتظرين؛ لأنها تتصف بالفضائل والكمالات وسوف تكون أماً لولد سوف يشع خيرات وبركات؛ لذا سيكون ما تجنيه من خير من ذريتك المباركة أضعافا مضاعفة "[1].

يبدو أن تحسر امرأة عمران كان بسب شعورها أن الأنثى لا تناسب قصد نذرها في التحرر للخدمة والعبادة، وبقولها والله أعلم بما وضعت دليل على ايمانها ويقينها بالله (ﷻ) وادراكاها لحكمته في جعل مولودها أنثى .

وقال فضل الله:" كانت تعلم إنها سترزق من عمران ولد ذكر صالحاً، ثم لما حملت وتوفي عمران لم تشك أن ما في بطنها هو ذلك الولد الموعود، ثم لما وضعتها وبان لها خطأ حدسها أيقنت أنها ترزق ذلك الولد من نسل هذه البنت المولودة فحولت نذرها من الابن الى البنت، وسمتها مريم العابدة الخادمة وأعاذتها وذريتها بالله من الشيطان الرجيم، هذا ما يعطيه التدبر في كلامه تعالى "[2].

ولما كانت المرأة تميل الى العواطف والرقة أكثر من الرجل، تدعو الله (ﷻ) أن يحمي ابنتها من الشيطان، بعد أن وضعتها أنثى، فأول شيء فكرت به الأم هو سلامة ابنتها من مكائد ابليس، فقالت: أعيذها وهذا ما يجب أن تقوم به كل أم، ولا يقتصر على الأبناء فقط؛ بل يشمل الأجيال اللاحقة أعيذها بك وذريتها وقد تقبل الله (ﷻ) هذا

---

[1] تفسير النور : قراءتي 1/ 484 .

[2] من وحي القرآن : فضل الله 5/ 347.،

النذر بقبول حسن مطلقاً، بحيث لا يكون خاضعاً لأية سلطة بشرية سواء في ذلك سلطة والديه أو الآخرين وخادماً أمينا لله .

والمحصل أن العاطفة تتفق مع طبيعة الفطرة التي خلق الله الناس عليها في محبة الخير في الذرية، وقد جرت على لسان الأنبياء والأولياء والصالحين، ومنها ما ورد عن النبي إبراهيم (عليه السلام) قال تعالى : ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (سورة إبراهيم /40) ووردت في دعاء زكريا (عليه السلام) قال تعالى : ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾(سورة آل عمران /38) بمعنى أنه "لما رأى من آيات ربه في مريم على صغر سنها تحركت في نفسه عاطفة الأبوية، ورجا أن يكون له مثلها في الكرامة عند الله"[1].

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾(سورة الأحقاف/15) فالمتدبر للآيات السابقة يدرك بأن طلب الذرية الطيبة من سنة الأنبياء، وقيمة هذه الذرية في طهارتها، ودور دعاء الوالدين في صلاحها [2].

وجرت أيضاً على لسان أم مريم فأخذت تفكر في مصير وليدها " و لم تفكر في أن يصبح رجلاٍ ثرياً أو ملكاً كبيراً أو عالماً أو طبيباً تحلم بأيامها معه في المستقبل حيث يساعدها على مشاكل الحياة، حيث تضعف مقاومتها للمشاكل، لا لم تفكر امرأة عمران بهذه الأحلام المادية بل فكرت في رسالة الإنسان في الحياة، وهي عبادة الله والعمل في سبيله فنذرت ابنتها لهذه الغاية و تحرره من أي روابط اجتماعية أخرى حتى يتفرق في سبيل الله، ثم تضرعت الى الله أن يتقبله بفضله "[3].

([1]) التفسير المبين : محمد جواد مغنية، مؤسسة عز الدين، بيروت، لبنان، طبعة ثانية منقحة ومزيدة، 1403هـ-1983م، 69.

([2]) ينظر: تفسير النور : قراءتي 1/ 488.

([3]) من هدى القرآن : المدرسي 1/ 402.

وعليه فان هذه السيدة الجليلة بعد أن فقدت زوجها، لم تفكر بطريقة أنانية في كيفية الانتفاع بالولد مادياً، بل فكرت أن يكون خادماً لله ويتحرر من سلطة البشر، ويخدم في البيت المقدس، فأرادت بهذا النذر أن يكون وليدها قربان حي تقدمه لله (ﷻ).

وحتى بعد أن ولدتها أنثى استمر ذلك التفكير المرتكز على التوحيد بالله تعالى "فهي لا تريد أن تبتعد عن الله وأحلامها الروحية، فإذا لم يقدر لها أن تلد ذكر خادم البيت المقدس، وولدت بدلا منه أنثى، فإنها تعود لتناجي الله في أمنياتها الجديدة، فقد أسمتها مريم التي تعني العابدة في لغتهم، لتكون انسانة عابدة لله مطيعة له فيما يأمر به وينهى عنه، ثم طلبت من الله أن يعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم فيخرجهم من وسوسته ومكره ومكائده وخدعه ليستطيعوا السير في خط الطاعة، من دون أي انحراف"[1].

ندرك أن هذه الأم الصالحة تربطها بالله (ﷻ) أروع العلاقات، وتتصف بالمشاعر الصافية والأفكار العظيمة، لتكون أسوة لكل أم ومربية ومعلمة، فهي تفكر في مستقبل الأجيال القادمة، واستجاب الله تعالى دعاء الأم المطيعة، فتقبلها ربها بقبول حسن فهي بحفظ الله ورعايته في كل زمان ومكان، وهيأ لها الشيخ الجليل زكريا ليكفله فعاشت في ظل جو تربوي إيماني صالح، حتى وصلت لمرحلة تلقي معجزة ليأتيها الطعام رزقا من الله (ﷻ) الذي تفوح منه الرائحة الزكية قال تعالى : ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (سورة آل عمران /37) .

أي بمعنى أنه سبحانه " تقبل مريم مع أنوثتها بقبول حسن، حيث قدر لها السعادة وأن يجعل منها عيسى المسيح (عليه السلام) وأنبتها نباتا حسنا، أي جعل نشؤها نشأ حسناً في الفضيلة والاخلاق والعفة والطهارة، وكفلها زكريا وكان زوج خالة مريم"[2].

---

[1] الميزان : الطباطبائي 3/ 151.

[2] تقريب القرآن الى الأذهان : الشيرازي 1/ 335 ،

ومن أفضل وأجل نِعَم الله (ﷻ) على مريم، أنه كفلها زكريا ذلك الشخص العالم والنبي الذي أفنى عمره في خدمة الله، وهكذا يكون دور المربي الصالح في تنمية كفاءات الطفل حيث أثمرت تربيته الصالحة ودعاء أم مريم وتربيتها في تكوين مريم (عليها السلام) وأخذت تقف ساعات طويلة تتضرع الى الله (ﷻ) وقابلها ربها بفضله.

وكلما دخل عليها زكريا المحراب، يجد عندها الرزق، وهي الثمار في غير زمانها، أي فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، وتقول: هو من عند الله[1]هذه مريم وأولئك أهلها وتلك تربيتها وهذا كفيلها وكله من فضل الله (ﷻ).

فتقبلها ربها بقبول حسن وكان ذلك جزاء الإحسان، لتتجلى العاطفة المقدسة في محبة الله للصالحين من دلالة معنى كلمة التقبل، لتظهر المكانة السامية والمنزلة الرفيعة لآل عمران "وإنما نسب التقبل الى مريم لا الى النذر وهو ظاهر بقبول البنت بما أنها مسماة مريم ومحررة فيعود معناه الى اصطفائها، وهو التسليم التام لله تعالى " [2].

والتقبل يدل على شدة اعتناء ذلك الفاعل بإظهار ذلك الفعل؛ كالتصبر والتجلد فإنهما يفيدان الجد في إظهار الصبر والجلادة، وكذا التقبل يفيد المبالغة في إظهار القبول[3].

يبدو أن التقبل يدل على رضا الله (ﷻ) عن أم مريم ووليدتها، فهو وحده سبحانه العالم بحالها، ويعلم ما في قلبها من المحبة والإخلاص، وتفضل عليها بقبول طاعتها وعملها.

([1]) ينظر: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت310هـ)، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، دارهجر، القاهرة، ط1، 1422هـ - 2001م، 5/ 353.

[2] الميزان : الطباطبائي 3/ 173 .

[3] ينظر : التفسير الكبير : الرازي 4/ 51 .

وبذلك أكملت هذه المرأة صورة مشرقة لحياتها الإنسانية الإيمانية التي عاشت فيها بإخلاص، لتحقيق معنى العبادة الصادقة لتحقيق أمنيات الأم الصالحة التي أرادت من الله (ﷻ) أن يحميها من مكائد الشيطان.

لقد كانت هذه الأم الصالحة واعية للدور" الذي تقوم به المرأة في الحياة في حاجتها الى تكوين الإنسان المؤمن المتحرر، من كل وساوس الشيطان الرجيم و حبائله منفتحة على طاعة الله، وعبادته لتشارك في المهمات المنقولة إليها من موضع الأمانة الفكرية والروحية والعملية، التي تجعلها أمينة على بيتها وزوجها وأولاًدها ومجتمعها"[1].

إذ اهتمت هذه الأم فكرياً وروحياً بصلاح الأبناء وذرياتهم في المستقبل، من أجل تحويل الواقع الى بيئة صالحة في التربية وإعداد الأجيال، باعتماد الأساليب والآليات الصحيحة وتجاوز كل السلبيات وتعزيز المؤثرات.

نلاحظ مما تقدم أن الآيات المباركة التي أخبرت عن أم مريم ورغبتها في الأنجاب ونذرها، تكشف لنا عن معالم طريق الأتقياء والمصلحين، عن كيفية تهيأة الأولاًد للحياة، والتقرب الى الله (ﷻ) وخدمة الدين، قدمت لنا قاعدة من قواعد منهج القرآن الكريم في التربية، وإعداد الأطفال ورعايتهم من النشأة الأولى، ليكونوا مؤمنين ويعملوا صالحاً وينبتوا نباتاً حسناً متسابقين الى الخيرات، وإجابة الله (ﷻ) لأم مريم دليل على إيمانها الخالص والقرب الإلهي؛ لأن البارئ ﷻ اختص مريم بالتربية قبلها بالقبول الحسن والإنبات الحسن وكفالتها زكريا.

ويظهر دور الإيمان الصادق وأثره في مستقبل مريم " لأنه إيمان الأم وتربيتها يؤثران إيجابياً في تنمية فطرة الإيمان في الوليد، وقد رأينا كيف أن امرأة عمران تضرعت الى الله أن يعيذها من الشيطان، وتعني ضراعتها إنها أخذت تعمل من أجل هذه الغاية أيضاً، إذ الدعاء هو قمة العمل الجهادي عند المؤمنين وليس أبداً بديلاً عن

[1] من وحي القرآن : فضل الله 5/ 349.

العمل ومن هنا كان للدعاء والعمل أثر إيجابي كبير على مستقبل مريم، فتقبلها ربها بقبول حسن"[1].

أي أن "الإيمان كسكة الحديد لو وضع قطار عليها ساعدت على استقامته وتقدمه كذلك الإيمان لو رافق حركة نمو الطفل في كافة جوانب تربيته ذلك بألاّ تنمو فيه صفة على حساب صفة فلا دلال على حساب المسؤولية ولا كبت على حساب الشعور بالكرامة ولا جفاء على حسابي العلاقة الاجتماعية"[2].

كما يساعد جو الإيمان في البيت تعزيز روح الالتزام في نفسية الطفل، ذلك لأن الطفل الذي يرى الذين من حوله ينفذون برامج محددة وبإخلاص واطمئنان، هو الآخر يجب أن ينفذ مثلها من دون ضغط .

المطلب الثالث/عاطفة أم عيسى (عليهما السلام):

السيدة مريم المرأة المخلصة في إيمانها في طفولتها وشبابها، موضع كرامة الله (ﷻ) وقديسة من محراب الفيض الإلهي، التي خصت به فكان ذلك الفيض متعَمق في روحها وممتد في فكرها، فكانت أهلاً للمعجزة وهي ولادة عيسى (عليه السلام) من دون أب.

" جعل الله السيدة العذراء مريم (عليها السلام) عنوان القصة: لأن حركة الخلق انطلقت منها ومعها، وحملت أكثر الملامح اتصالاً بها من حيث المضمون والموقف ومن حيث الايحاءات الروحية في مسألة تقديم النموذج الأمثل للمرأة، من خلال الإنسانة المؤمنة التي يتحول ضعفها الأنثوي بفضل الإيمان والرعاية الإلهي الى عنصر قوة وثبات"[3]

المرأة الطاهرة عاشت منذ الطفولة في ظل خدمة الله (ﷻ) في بيته، كيف تكون عاطفة الأمومة لديها، بعمق شعورها وإيمانها و طهارة روحها وفكرها فتظهر في

([1])من هدى القرآن : المدرسي 1/ 402 .
([2]) من هدى القرآن : المدرسي 1/ 402.
([3]) من وحي القرآن : فضل الله 15/ 31 .

موقف جديد وقد أنشدت لها مكانة خاصة لتخلوا بروحها للعبادة والتأمل الى أن أرسل الله (ﷻ) لها الوحي قال تعالى : ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (سورة مريم /17) فقد جاء يبلغها بالأمر الإلهي وقد تمثل لها على هيأة بشر فلما رأته لجأت الى الله (ﷻ) وهذا دليل عفة هذه السيدة الجليلة قال تعالى : ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (سورة مريم /18).

وظهرت لها المفاجأة الأخرى وهي قوله تعالى :﴿ قَالَ إنما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (سورة مريم /19) ففزعت مريم مما سمعت وتعجبت وشعرت بالذعر من ذلك، وأخذت تفكر كيف يتم حمل المرأة من دون إيجاد قانون الأنجاب الطبيعي وهو الزواج، فهي (عليها السلام) لم تشهد حالة مماثلة لما أبلغه بها الوحي ولم تسمع بذلك من قبل في أي ولادة عند الإنسان قال تعالى : ﴿قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أكن بغيا﴾(سورة مريم /20) تريد اخباره بأنها لم تتزوج كيف تنجب الغلام ولم تكن منحرفة أو باغية، فاخبرها أن الأمر حتمي والغلام الذي ستلده هو معجزة إلهية وهي موضع تلك المعجزة وأن الله (ﷻ) غير عاجز وقدرته وسعت كل شيء قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ ايةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾(سورة مريم /21) أي قال لها الروح الأمين أسباب الولادة عنده تعالى لا تنحصر بالزواج " فكما أوجد الأشياء بأسبابها المألوفة، فأنه يوجدها أيضاً بكلمة كن تماما كما أوجد الكون من لا شيء وآدم من غير أب وأم، وقد شاء سبحانه أن يجعل مولودك دليلاً واضحاً على عظمة الخالق، ونبوة المولود، وأن يكون رحمة للإنسانية"[1].

وتدخلت إرادة الله (ﷻ) ونفخ فيها من روحه، وكان حملها ينمو حتى يتمثل خلقاً سوياً قال تعالى : ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ﴾(سورة الأنبياء /91) وقال تعالى : ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ايةً لِلْعَالَمِينَ ﴾(سورة التحريم /12) نجد أن الآيتين الكريمتين تؤكدان على أحصان مريم

[1] التفسير الكاشف : مغنية 175.

وعفتها وطهارتها وأنّه لم يلمسها أحد، فحملته وأحست بشعور المرأة الحامل تجاه جنينها؛ لكن في نفس الوقت أدركت صعوبة الموقف في نظرة المجتمع إليها، وكيفية مواجهة قومها بعد الولادة وكيف تبرر الموقف لهم بأنه وليدها وهي عذراء فقامت بالابتعاد عن قومها قال تعالى : ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾(سورة مريم /22) اي ابتعدت عن الناس .

ولما جاءها المخاض " وولدت عيسى (عليه السلام) في ما يشبه الصدمة لمشاعر مريم (عليها السلام)، وتحرك الضعف الأنثوي فيها، ليثير في داخلها الإحساس بالعجز في مواجهة هذا الحدث، الذي لا تملك أن تدافع عن طبيعته أمام الناس، وهم لا يفهمون سر الإعجاز الإلهي الكامن فيه، بل يرون فيه مظهر انحراف في أخلاقها وسقوط في شرفها ونقص في عفتها"[1].

من المؤكد أن مجتمع يرى مريم (عليها السلام) مَثلهُ الأعلى في الطهارة والعفة، لن يقبل بما جاءت به، وعندها شعرت بخطر الأحداث وقالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا" وهذه الكلمة وأمثالها ينطق بها كل إنسان عند الأزمات واشتداد الأمر عليه، ينفس بها عن همه، وما على قائلها من غضاضة ما لم يكن شاكا في دينه "[2] الى أن جاءها النداء ليسكن همها وحزنها قال تعالى : ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ (سورة مريم /24) ووضعت السيدة العفيفة وليدها وجاءت به الى قومها، وهي مطمئنة فهو الشاهد الصادق على براءتها، وأنطقه الله (عز وجل) ليبعدها عن مشاعر الحزن والقلق، وأخذ يدعو الناس الى عبادة الله (عز وجل) وحده لا شريك له، وقام بمواجهة واضحة لفكرة نسبة الولد الى الخالق (عز وجل) قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإنما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(سورة مريم /25) فهو سبحانه غير محتاج لذلك غني عن العباد وأخذ الوليد يتحدث إليهم عن صفاته ودوره في المستقبل، وما هي مسؤولياته ويبين لهم أنه عبد الله (عز وجل)" لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلاَّ به ولا يتحرك في أي وضع غير عادي إلاَّ بأذنه، فلا

[1] من وحي القرآن : فضل الله 15/ 35 ..
[2] التفسير الكاشف : مغنية 5 / 177.

مجال للغلو والارتفاع به فوق مستوى البشرية عند النظر اليه في المستقبل، وهو من موقع عبوديته لله يتحرك في خط النبوة التي أكرمه الله بها ويحمل الإنجيل وهو الكتاب الذي يتضمن رسالة الله ووحيه"[1] فقد كان (عليه السلام) مباركاً كما وصفه القرآن الكريم بعمله الصالح للناس وعلمه النافع لهم وكان باراً بوالدته" بما يمثله البر من رأفة ورحمة ورعاية لهذه الإنسانة التي تحوي أمومتها كل معاني الخير والعطاء، مما يجعل البر هنا اعترافا بالجميل و عاطفة إنسانية تشمل الوالدين وتمتد الى كل الناس الآخرين الذين يحسنون إليه"[2] والمرأة الصالحة لا يتوقع منها إلاَّ الولد الصالح قال تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ (سورة مريم /28) فصلاح الأب والأم صلاح الأبناء، وعليه فإنّ مريم امرأة أحبها الله (عز وجل) وتجلت محبته سبحانه في صور عدة منها العطايا كالرزق في المحراب ومنها الامتحانات كمعجزة الولد من دون أب ويعد " امتلاك الولد أمر قيم لكن الأكثر قيمة أن يكون الولد طاهراً زكيا"[3] لأهب لك غلاماً زكياً.

كما أن " الحوادث التي مرت في هذه المدة القصيرة، والمشاهد والمواقف التي تثير الأعجاب، والتي حدثت لها بلطف الله، كانت تهيئها وتعدها من أجل تربية نبي من أولي العزم، ولتستطيع أن تؤدي وظيفة الأمومة من خلال هذا الأمر الخطير على أحسن وجه، أن سير الأحداث صاحبها حتى آخر مرحلة بحيث لم يبقَ بينها وبين الموت إلاَّ خطوة واحدة، لكن فجأة يرجع كل شيء ويخطو في محيط هادئ مطمئن من كل الجهات"[4].

المحصل أن تلك السيدة الطاهرة الى جانب محبة الله (عز وجل) لها فإنّ مواقفها تعد قواعد للحياة، فقد صبرت على جميع الابتلاءات من حملها بعيسى (عليه السلام) ومواجهة المجتمع الذي اتهمها، حتى أنطقه الله تعالى لتبرئتها الى كيفية تعاملها مع الآخرين

---

[1] المصدر نفسه 15 / 40 .
[2] التفسير الكاشف : مغنية 15/ 41 .
[3] تفسير النور : قراءتي 5/ 237.
[4] تفسير الأمثل : الشيرازي 8/ 32.

ومع كل تلك الاتهامات مثلت أروع عواطف الأمومة في الاحتفاظ بطفل من دون أب وعلى الرغم من كل الظروف الصعبة التي مرت بها بذلت كل ما في وسعها لتربية ذلك الوليد التربية الصالحة والنشأة المثالية، فأرضعته من طهارتها وتقواها لتكون مثالاً وأسوة للعاطفة الحقيقية بين الأم وطفلها، فكيف تكون عاطفتها تجاه من وصفه الله (ﷻ) رحمة منا.

المبحث الثالث / عاطفة الأخوة في القصص القرآني:

تعد الإخوة قيمة إنسانية عظيمة ومبدأ مهم من المبادئ الإسلامية، فقد كرمها القرآن الكريم وذكرها في مواضع عدة، وذلك لمكانتها السامية في الإسلام؛ والأخ هو الركن الذي يلتجأ إليه أخيه، وهو السكن والأمان ومصدر القوة وشد الأزر والأولى بالبر والإحسان والاحترام بعد الوالدين فقد روي عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) " وأما حق أخيك فتعلم أنه يدك التي تبسطها، وظهرك الذي تلتجئ إليه وعزك الذي تعتمد عليه وقوتك التي تصول بها...."[1] لذا يتضمن هذا المبحث ثلاثة مطالب:

المطلب الأول /العاطفة بين هابيل وقابيل في القرآن الكريم

منشأ الخلاف بين الأخوين هابيل وقابيل هو نوع من العاطفة السلبية، وهي الحسد فبعد أن أوحى الله (ﷻ) الى نبينا آدم (عليه السلام) أن يجعل الوصية لهابيل، وأن يكون له ميراث النبوة انتاب قابيل الحسد لأخيه، بعد أن تبين له أنّ أخاه هو المؤهل للوصية والقرب لله (ﷻ) .

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدم بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إنما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(سورة المائدة /27).

وقد أفادت النصوص التفسيرية أن آدم (عليه السلام) امتثل للأمر الإلهي، وأنّ هابيل هو من يُمنح العلم والمواريث التي أودعها له، فغاظ ذلك قابيل، واتهم أباه بأنّ ذلك من عنده وأكد آدم (عليه السلام) بأنّ ذلك من عند الله (ﷻ) وأمرهم بأن يقربا قرباناً لله تعالى

(1) الصحيفة السجادية : الإمام زين العابدين (عليه السلام) 298.

والذي يحرق قربانه وهو صاحب الحظوة عند الله (ﷻ) فقرب أحدهما أسمن كبش كان في غنمه، وقرب الآخر ضغثا من سنبل، فتقبل من صاحب الكبش وهو هابيل ولم يتقبل من الآخر، فغضب قابيل فقال لهابيل والله لأقتلك الى آخر الحديث [1].

وبعد أن رأى قابيل أن النار أحرقت قربان أخيه، وكان ذلك دليل قبول القربان وتصور أن يكون لأخيه ذرية يفتخر بهم، حسده على ذلك وقتله[2].

وروى المجلسي بالإسناد عن الشيخ الصدوق عن أبيه عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن عمير عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لما أوصى آدم (عليه السلام) قال : " لما أوصى آدم (عليه السلام)الى هابيل حسده قابيل فقتله فوهب الله (ﷻ) لآدم هبة الله وأمره أن يصل إليه"[3].

وقبل عملية القتل جرى حوار بين الأخوين " حواراً معبراً بدأه الذي رفض قربانه بالتهديد والوعيد لأخيه المؤمن، الذي تقبل الله منه القربان قائلا له، لأقتلنك في لهجة تنضح بالحقد والحسد الطاغي، الذي يتفجر من صدره كالحمم، ولم يكن هناك أي مبرر لهذا الموقف منه؛ لأن النتيجة ليست من صنع أخيه ليحسبها ذنباً من ذنوبه التي تستحق العقوبة عليها، بل القضية من صنع الله في هذا وذاك، ولكنه الحسد الذي يواجه فيه الحاسد المحسود من غير ذنب جناه، إلاَّ أن الله أنعم عليه ولم ينعم على الحاسد"[4].

وقد بين قابيل صراحة نيته قتل هابيل؛ لأن قربانه لم يتقبل فكان جواب هابيل إنما يتقبل الله من المتقين، الذين يملكون قلباً مخلصا لله؛ ولأنه مخلصا لله (ﷻ) في عبادته وفي قربانه، لذلك قدم أحسن ما عنده، بينما قابيل قدم قربان لا قيمة له، فتقبل الله (ﷻ) قربان هابيل دون قربان الآخر، فأوحت له هواجس نفسه بتمييز أخيه وانه متقدم عليه، وسيطر عليه شعور الاحباط، وأخذ الحسد في قلبه يتحرك بروح شريرة

---

(1) ينظر : الميزان : الطباطبائي 5/ 325.
(2) ينظر : الميزان : الطباطبائي 5/ 324.
(3) بحار الأنوار : المجلسي 11/ 240.
(4) من وحي القرآن : فضل الله 8/ 126.

ضد أخيه، وتحول الى عدوان وتهديد لأخيه وأعلن ذلك بلسانه قال لأقتلنك " لأنك أصبحت تمثل الرمز الأفضل لأكون أنا في موقع الرفض والإهمال من قبل الله، وإني لا أطيق ذلك ولا أتحمل رؤيتك تتحرك في الحياة في فضائلك الاخلاقية والروحية لأنك دائما تذكرني بهذا الموقف المهين"[1].

وبقول هابيل إنما يتقبل الله (ﷻ) من المتقين، بين لأخيه أن عمله في الواقع على خط التقوى والإيمان ومراقبة الله (ﷻ) سرا وعلنا، وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه وكنت انت بخلاف ذلك فكانت النتيجة انحرافك وأتبعت شهواتك وبذلك يتقبل الله من المتقين دون غيرهم، لأن العمل الصالح ونقاء الذات هو الذي يتقرب به العبد الى الله (ﷻ) ولكن هذا الموقف من هابيل " لا يدل على الاستسلام للظلم فالإسلام يأمر بكل وضوح وجدية بضرورة مقاومة الظالمين، ولكن بعد أن يبدؤوا فعلاً في ظلمهم أو فيما يؤدي إليه"[2].

وقال المشهدي إن جواب هابيل فيه إشارة " الى أن الجاهل ينبغي أن يرى حرمانه من تقصيره، ويجتهد في تحصيل ما به صار الحسود محفوظا، لا في إزالة حظه، فإن ذلك مما يضره ولا ينفعه وإن الطاعة لا تقبل إلاَّ من مؤمن متقٍ"[3].

فكانت ردة فعل الأخ الصالح المؤمن بمشاعر طاهرة وصافية وروح مسالمة بقوله: إن قررت أنت قتلي فلن أفكر أنا بقتلك لأنني مؤمن بالله (ﷻ) وأخافه قال تعالى:﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة المائدة / 28) كان موقفه بعيد عن التهديد المضاد والتعنيف" لأنه لا يؤمن بالمبدأ الذي يدفع الإنسان الى قتل أخيه الإنسان، قريباً كان أو بعيداً لمجرد نزوة عارضة أو مزاج انفعالي بل يؤمن بإعطاء فرصة التراجع والمرونة لمن يتخذ

---

[1] من وحي القرآن : فضل الله 8/ 131.

[2] من هدى القرآن : المدرسي 2/ 216.

[3] كنز الدقائق وبحر الغرائب : محمد المشهدي القمي، تحقيق: آقا مجتبى العراقي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط1، 1407هـ، 4/ 68.

المواقف الحادة ساعة الانفعال والغضب بفضل هدوء فكره ورحابة صدره يسيطر على السلبيات التي تفجر الموقف و تخلق المشكلة"[1].

وكان هابيل قد وضح له عظم الذنب الذي ينوي فعله " من خلال عقدة الحسد في نفسك، التي تدفعك الى الجريمة بقتل أخيك من دون تفكير، بالأخوة التي يفرض عليك احتواء رابطة الدم التي تربطك به، أو بالنتائج السلبية في غضب الله الذي يزداد عليك عندما يتحول الى انسان مجرم قاتل أخيه من دون ذنب"[2].

لقد كان القول اللين من هابيل يدفع الحقد ويسكن الشر ويمسح على اعصاب أخيه الملتهبة بالحسد والغيظ ويرده الى حنان الأخوة وروح الإيمان وحساسية التقوى.

وبين له بأنّه سوف يتحمل مسؤولية عمله هذا ويكون من أصحاب النار " و الأخ الصالح يضيف إليه النذير والتحذير، إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين، إذا أنت مددت يدك الي لتقتلني فليس من شأني ولا من طبعي أن أفعل هذه الفعلة، فهذا الخاطر خاطر القتل لا يدور بنفسي أصلا ولا يتجه اليه فكري اطلاقا، خوفا من الله (ﷻ) لا عاجزا عن اثباته وأنا تاركك تحمل أثم قتلي وتضيفه إلى أثمك الذي جعل الله لا يتقبل منك قربانك، سيكون أثمك مضاعفا وعذابك مضاعفا"[3].

إلاَّ أن قابيل لم يهتم لقول أخيه ونصيحته، ولم يتأمل في الحقائق وأقدم على تنفيذ القتل قال تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة المائدة/ 30) أي فحسنت وسولت له نفسه، وشجعته على قتل أخيه فقتله، بعد هذه الموعظة وهذا الزجر[4].

---

[1] من وحي القرآن : فضل الله 8/ 267.

[2] من وحي القرآن : فضل الله 8/ 131 .

[3] في ظلال القرآن : سيد قطب 2/ 895.

[4] ينظر : تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي(ت 776هـ)، دار ابن حزم، بلا طبعة، 1420هـ _2000م، 2/ 56.

وارتكب بسبب عاطفته السلبية أول جريمة عرفتها الإنسانية، وأول جريمة قتل تقام على الأرض بسبب البغض والحسد والكره يقتل الأخ أخيه، الذي بين له أن ميزان التفاضل بين الناس هو التقوى، بقوله إنما يتقبل الله من المتقين فتقوى هابيل منحه القرب لله (ﷻ) والفوز بالفلاح .

والحسد من الرذائل التي إذا ابتلي بها الإنسان أدت به الى التهلكة وكانت عاقبة ذلك الحسد أن أدت الى ان يقتل الأخ أخيه " يستدل على أن قابيل بعد أن تقبل الله قربان أخيه هابيل، أخذت تعصف به الأحاسيس والمشاعر المتناقضة، فمن جانب استعرت به نار الحسد وكانت تدفعه الى الانتقام من أخيه هابيل، ومن جانب آخر كانت عواطفه الإنسانية وشعوره الفطري يقبح الذنب والظلم والجور يحول دون قيامه بارتكاب الجريمة، لكن من نفسه الأمارة بالسوء تغلبت رويداً رويداً على مشاعره الرادعة، فطوعت ضميره الحي وكبلته بقيودها وأعدته لقتل أخيه "[1].

وبالرغم من أن قابيل اتبع الشيطان وقتل أخيه، إلاَّ إنه عجز في مقابل جثمان أخيه وكيفية مواراته، فأرسل الله سبحانه غراباً يدفن جثة غراب آخر وهنا ندم على فعلته قال تعالى: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النادِمِين﴾ (سورة المائدة/ 31) .

قال المراغي: "الندم الذي يكون توبة هو ما يصدر من الشخص خوفا من الله وحسرة على تعدي حدوده"[2].

وقال الثعالبي: "لم ينفعه الندم؛ لأن ندمه كان لأسباب منها سخط أبويه وأخوته، وعدم انتفاعه بقتله، ولما كان لهذه الأسباب لا لأجل الخوف من الله، فلا جرم لم ينفعه هذا الندم"[1].

---

[1] تفسير الأمثل : الشيرازي 3/ 449.

[2] تفسير المراغي : المراغي 2/ 101.

و مما سبق ذكره نخلص الى أن هابيل حاول اقناع أخيه بالمنطق إنما يتقبل الله من المتقين، إذ إن التقوى هي غنيمة الإنسان، ولا ينفعه أن يكون ابن نبي في قبول أعماله، فالله (ﷻ) تقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل والأثنين أبناء نبي؛ لأن التقوى محك قبول الأعمال ووصفها السيد الطباطبائي : " وهذه أصول المعارف الدينية ومجاميع علوم المبدأ والمعاد أفاضها هذا العبد الصالح إفاضة صافية لأخيه الجاهل، الذي لم يكن يعرف أن الشيء يمكن أن يتوارى عن الأنظار بالدفن، حتى تعلمه من الغراب وهو لم يقل لأخيه حينما كلمهُ إنك إن أردت أن تقتلني ولا أنفي القتل وإنما قال ما كنت لأقتلك"[2].

وفي ضوء ما تقدم نجد إن إخلاص النية لله تعالى ذلك الجانب النفسي، الذي يجعل الإنسان صادقا في عمله راضيا به دقيقا في أدائه، وكان ذلك حال هابيل المتقي الصابر، بخلاف قابيل الذي سيطر عليه الحسد والغضب، فكانت عاقبة سفكه لدم اخيه خسارته ودخوله النار؛ لأنه لم يكن مخلصا، فقد ظلم نفسه بقتل أخيه وظلم أخيه وأسرته والمجتمع الإنساني كافة، فحرمة قتل شخص واحد كحرمة قتل الناس جميعاً عند الله (ﷻ) وعقوبتها عقوبة من قتل جميع الناس؛ لأن القتل استخفاف بمنزلة الإنسان بصورة عامة لا فرد معين، والقتل جريمة تعني مصادرة الأمن الإجتماعي للجميع، لذا تعد نصائح هابيل مبادئ عامة في الحياة .

المطلب الثاني/عاطفة أخوة يوسف (عليه السلام)

كان درسا عظيما في عرض القرآن الكريم لاجتماع عشرة أفراد للتخلص من فتى صغير ضعيف، وفعلوا ما يستطيعون لتنفيذ هذا الأمر، لكن ذات المكيدة ودون معرفة ودراية منهم، كانت سبباً في أن يكون ملكاً على مصر، ويأتي اخوته في ما بعد، بذل وخضوع لينحنوا أمامه وهذا يعني أن الله (ﷻ) إذا أراد أمراً هيأ له

([1]) تفسير الثعالبي المسمى الجواهر الحسان في تفسير القرآن : عبد الرحمن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي (ت 875هـ)، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ - 1997م، 2/ 372.

([2]) الميزان : الطباطبائي 5/ 254.

الأسباب حتى وإن كان على يد المخالف والحاسد، وأن الله (ﷻ) سوف يكون بجانب العبد المؤمن.

كان ليعقوب بعض العاطفة المميزة ليوسف وأخوه بنيامين، كنتيجة لبعض الخصائص الروحية والأخلاقية التي يتمتعان بها، ولصغر سنهما الذي يجعلهما بحاجة الى الاحتضان العاطفي، لذا كان نبي الله يوسف (عليه السلام) أثيرا عند أبيه، وكان له في نفس يعقوب محبة وعناية كبيرة[1].

والحق " أن يعقوب إنما كان يحب يوسف واخاه في سبيل الله لما كان يتفرس منهما التقوى والكمال، ومن يوسف خاصة ما كانت تدل عليه رؤياه أن الله يجتبيه ويعلمه من تأويل الأحاديث، ويتم نعمته عليه وعلى آل يعقوب ولم يكن حبه هوى البتة"[2].

وإن يوسف (عليه السلام) كان أحد أولاد يعقوب (عليه السلام) وماتت أمه في صغره، لذا تطلب ذلك عناية أكبر من يعقوب (عليه السلام) ليعوض عليه فقد والدته وحنانها ورعايتها غير أن هذه العناية والاهتمام والمحبة من أبيه أثارت غيرة إخوانه، وأججت الضغينة والحسد في نفوسهم ولا سيما وهم يختلفون معه في الأم، فخططوا فيما بينهم لتنفيذ مؤامرة ضد أخيهم إذ إن الغيرة والحسد لديهم لم تسمح لهم بالتفكير ومعرفة سبب هذه المحبة الخاصة، وذلك لأن منافعهم الشخصية حجبت عقولهم، ودفعتهم للتخطيط وتقديم المقترحات للخلاص من يوسف ومنها القتل أو ارساله الى منطقة بعيدة قال تعالى : ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾(سورة يوسف / 9).

اي بمعنى" حتى لا يكون الى جنبنا تخلص لكم محبة الأب وتملكون قلبه، فلا يصرف اهتمامه نحو يوسف فقط "[3]

([1]) ينظر: من وحي القرآن : فضل الله 12/ 169.
([2]) الميزان : الطباطبائي 11/ 93.
([3]) تقريب القرآن الى الأذهان : الشيرازي 2/ 662.

وقال الرازي في تفسير الآية : " المعنى أن يوسف شغله عنا وصرف وجهه إليه فإذا فقده أقبل علينا بالمحبة والميل "[1].

وقال الصابوني:" أقتلوا يوسف أو القوه في أرض بعيدة مجهولة، عند ذلك يخلص ويصفو لكم حب أبيكم "[2] إذا هم يطمعون في تحصيل محبة أبيهم.

إن غيرة اخوان يوسف قد تبدو أول الأمر طبيعية إذ جاء في علم النفس" المنافسات في جماعة الأخوة والأخوات أمر لا مفر منه عمليا، وليدرك كلا منهم الآخر بوصفه يرغب في أن يحتكر لنفسه حب الأبوين واهتماماتهما المنافسين له"[3].

الى أن بدأت الخطط الشيطانية تدور في تفكيرهم للتخلص من يوسف للاستقلال بعاطفة أبيهم، فقد ظنوا عندما يكون يوسف غير موجود يتقرب إليهم أبوهم لسد الفراغ الأبوي العاطفي، ففكروا في إبعاد يوسف، إلاَّ انهم لم يذكروا أخو يوسف بنيامين بل كان اهتمامهم منصب على يوسف لما يتمتع به من مميزات أخلاقية وروحية وحتى جسدية[4] فضلا عن ذلك فإنهم تلصصوا على أبيهم عنما كان يوسف يحكي لأبيه رؤياه، فسمعوا أن المولى قد أختاره للنبوة فعزموا على القضاء عليه جهلا منهم بأن الله يرى ويسمع بل أنهم كانوا يعلمون ذلك علم اليقين لكن الحسد أعمى عيونهم وابصارهم.

واجتمع إخوة يوسف الكبار" وتذكروا فيما بينهم ما كانوا يشاهدونه من أمر أبيهم وما يصنع بيوسف واخيه، حيث يشتغل بهما عنهم ويؤثرهما عليهم، وهم طفلان صغيران لا يغنيان عنه بطائل، وهم عصبة أولو قوة وشدة وأركان حياته وأياديه الفعالة"[5].

---

[1] التفسير الكبير : الرازي 18/ 94.
[2] صفوة التفاسير : الصابوني 2/ 42.
[3] المعجم الموسوعي في علم النفس : سيلامي 119 .
[4] ينظر: من وحي القرآن : فضل الله 12/ 170.
[5] الميزان : الطباطبائي 11/ 90 .

ولكن كان من بين جميع الأخوة "من هو أكثر ذكاء وأرق عاطفة ووجدانا؛ لأنه لم يرضَ بقتل يوسف أو ارساله الى البقاع البعيدة التي يخشى عليه من الهلاك فيها اقترح عليهم اقتراحاً ثالثاً وهو أن يلقى في البئر بشكل لا يصيبه مكروه لتمر قافلة تأخذه معها و يغيب عن وجه أبيه"[1].

قال تعالى:﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (سورة يوسف/ 10) .

ويبدو أن أحد الأخوة كان يريد ليوسف (عليه السلام) أن يبقى سالماً، وتنقذه القوافل وواضح ذلك من اقتراحه، و كذلك يبدو أنه غير موافق على الحاق الأذى بيوسف من الأصل، لذا فإنّ الحسد من الرذائل التي يجب أن تعالج وإلاَّ قد تؤدي بالإنسان الى قتل أخيه أو حتى الإضرار بنفسه.

وكان هاجس تفكير أخوة يوسف (عليه السلام) حب أبيهم ليوسف وأخوه قال تعالى :﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾(سورة يوسف /8) قولهم هذا يدل على " حسدهم وحنقهم لهما وغيظهم على أبيهم يعقوب في حبه لهما أكثر منهم "[2].

وإن منطق أخوة يوسف هذا يدل على أن مشاعرهم واحدة تجاهه، واشتد شعور الحسد وأخذ يزداد الى درجة التفكير والقرار بالتخلص منه، وكان هذا الشعور ظاهراً وغير خفي بقولهم اقتلوا يوسف أو اطرحوه، فأخذوا بالتآمر على يوسف (عليه السلام) وكان من بين الاقتراحات القتل أو الطرح بعيدا في أرض مجهولة .

فقد فعلوا ما فعلوا ليخلص لهم حب أبيهم" فهم كما يدل هذا السياق كان يحبونه ويحبون أن يخلص لهم حبه، ولو كان خلاف ذلك لانبعثوا بالطبع الى أن يبدؤا بأبيهم

---

[1] تفسير الأمثل : الشيرازي 6/ 232 .
[2] الميزان : الطباطبائي 11/ 89.

دون أخيهم، وأن يقتلوا يعقوب أو يعزلوه حتى يخلو لهم الجو، و يصفو لهم الأمر ثم الشأن في يوسف عليهم أهون "[1].

و لكن يتبين أن أحد الأخوة كانت مشاعره أخف تجاه يوسف، لذلك أعترض على قتله، فعاطفة الأخوة لديه مازالت حاضرة، فلقد كانت تلك العاطفة " بالمستوى الذي يبعد عنه فكرة الموت بيد اخوته، فاقترح اقتراحاً معيناً بهذا الاتجاه، قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابه الجب، أي في أعماق البئر الذي لا تغرق من يقذف فيها، لقلة ما تحتويه من الماء، تلتقطه بعض السيارة من القوافل السائرة على طريق البئر "[2].

فقد كان الأخوة يتظاهرون بالمحبة والخوف على يوسف (عليه السلام) أمام أبيهم ليطمئن قلبه فأخذوه بالحيلة واستمروا في تنفيذ خططهم، وفكروا في خطة أخرى في كيفية فصل يوسف عن أبيه فذهبوا له بلسان التودد والترحم والتظاهر بالإخلاص قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ (سورة يوسف /11) ودخلوا من باب أنه بحاجة الى اللعب واللهو، وسوف نقوم بحمايته وإنا له لحافظون، وبهذه الطريقة فصلوا يوسف (عليه السلام)عن أبيه وحاولوا الاستفادة من أي وسيلة عاطفية ونفسية لإقناع أبيهم بذهاب يوسف معهم قال تعالى حكاية عنهم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة يوسف/12).

وبعد الاتفاق على تنفيذ الخطة الشريرة، جاءوا الى أبيهم متوددين بما يوحي محبتهم ليوسف، وحتى لا يشك في نواياهم دخلوا من باب حرصهم على أخيهم، ومن حقه أن يلعب ويلهو لترتاح مشاعره، وتطفي روحه فقد استخدموا العاطفة كأداة لأقناع أبيهم لكن أباهم لم يوجه الاتهام إليهم مباشرة، بل جرهم الى مسألة خوفه عليه من الذئب وهم في حين غفلة قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ

---

[1] المصدر نفسه 11/ 90 .

[2] من وحي القرآن : فضل الله 12/ 171 .

يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ (سورة يوسف /13) " فذهابكم به موجب لهمي وحزني حيث لا أقدر على فراقه "[1] .

يعقوب (عليه السلام) كان متردداً من ارساله معهم وذلك لأنه سوف يحزن عليه فقد يخاف عليه من الذئاب فردوا بقولهم قال تعالى: ﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ (سورة يوسف/ 14) وقد تعهدوا لوالدهم بالدفاع عن أخيهم فنحن فتية أشداء أقوياء.

نلاحظ أن " أخوة يوسف أخفوا خطة هلاكه وابعاده تحت غطاء مسمى الأحاسيس والعواطف الأخوية، هذه الأحاسيس التي كانت تحرك يوسف من جهة لأن يمضي معهم، وكانت عند أبيهم موضوع قبول من جهة أخرى"[2].

فاستعرضوا عددهم وقوتهم وخوفهم من خسارة ثقة الناس بهم، على قدر عالٍ من المسؤولية والإخلاص واليقظة، فوافق يعقوب (عليه السلام) على طلبهم وذهب يوسف مع أخوته، وبهذا نجحوا في تنفيذ جزء كبير من المؤامرة، ثم شدوا وثاقه وضربوه وغلظوا عليه وأنزلوه الى غيابه الجب.

وعليه إن أخوة يوسف (عليه السلام) استغلوا حاجة الإنسان الى التنزه واللعب والاستراحة النفسية، فهي حاجة فطرية طبيعية، إذ الروح تحتاج الى الراحة كما يحتاج الجسد وورد في ذلك روايات عن أهل البيت (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) " للمؤمن ثلاث ساعات فساعة يناجي فيها ربه، وساعة يوم معاشه وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها في ما يحل و يحمل" [3].

إذن السبب الذي ذهب بيعقوب (عليه السلام) الى الموافقة بخروج ابنه يوسف (عليه السلام) مع إخوانه هو حاجته الى اللعب واللهو والتسلية .

---

[1] تقريب القرآن الى الأذهان : الشيرازي 2/ 667 .
[2] تفسير الأمثل : الشيرازي 6/ 239.
[3] نهج البلاغة : الشريف الرضي 4/ 556 الكلمة 388.

وهم بذلك استغلوا حاجة أخيهم لذلك، فقد كان عذراً مشروعاً للإقناع، لذا على الآباء والمعلمين وضع وقت خاص للراحة والرياضة والتسلية، وبذلك لا يمكن لأحد أن يسبب الأذى للأبناء.

وقد أشعل حب يعقوب لولده يوسف (عليهما السلام) بسبب صغر سنه، أو بسبب ما كان يتصف به من الخصال الحميدة، نار الحسد في اخوته، ويضاف الى حسدهم إياه قولهم ونحن عصبة، وهي إشارة الى أنهم وقعوا في الغرور والتكبر، الأمر الذي حدا بهم الى نعت أبيهم بالضلال، في ما يخص تقسيم مودته وحبه على أولاده بالتساوي وحاولوا الحط من قدر أخيهم، فبدلاً من السعي لكي يرتقوا الى صفات يوسف وأخلاقه وكماله حاولوا النيل منه [1].

واستطاعوا إقناع أبيهم بذهاب يوسف معهم، فجاءوا إليه في الصباح، وأوصاهم بالمحافظة على يوسف، فتظاهروا بحرصهم وذهبوا خارج مدينتهم ليصبوا غضب حقدهم و حسدهم عليه ونفذوا ما اتفقوا عليه كيف ما أرادوا، وجاءوا إلى أبيهم وقت العشاء يبكون محاولين إخفاء ما فعلوا بيوسف (عليه السلام) قال تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ (سورة يوسف/16) قال الطباطبائي : " إنما كانوا يبكون ليلبسوا الأمر على أبيهم، فيصدقهم فيما يقولون ولا يكذبهم"[2].

وكانوا قد فكروا في كيفية مواجهة يعقوب (عليه السلام) وهم فعلوا ما فعلوا، لينعموا بعاطفة أبيهم وأخبروه بأن الذئب أكله قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (سورة يوسف/ 17).

وأحاطوا بفعلهم من جميع الجوانب لإقناعه بصدقهم، ودرسوه دراسة دقيقة لذلك قالوا يا أبانا، كانوا يستعطفون قلب أبيهم لكنهم غفلوا عن أمور كثيرة وعندما جاءوا

---

[1] ينظر : تفسير النور : قراءتي 4/ 156 .
[2] الميزان : الطباطبائي 11/ 101 .

على قميصه بدم كذب قال تعالى : ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (سورة يوسف /18).

ومن الطبيعي إذا كان الذئب قد هجم على يوسف (عليه السلام) أن يخرق قميصه، أحس يعقوب (عليه السلام) بمكيدتهم بمجرد أن رأى القميص، وأدرك فعل أولاده، قال: بل سولت لكم أنفسكم أمراً، على الرغم من حرقة قلب الأب على ولده قال فصبرٌ جميل وثم الاستعانة بالله (عز وجل) ولم يصدر منه اليأس والجزع على فراق يوسف (عليه السلام) .

" والابهام في كلمة أمراً يحتمل عدة أشياء مما يمكن أن يؤذوا به يوسف (عليه السلام) من قتل أو بيع أو تغريب؛ لأنه لم يعلم تعيين ما فعلوه وينكر أمر للتهويل"[1].

ثم جاءت القافلة وأخرجوا يوسف(عليه السلام) من البئر وباعوه بثمن بخس ووصل يوسف الى مصر، ومر بعدة ابتلاءات أخرى وكان صابرا في كل امتحان، الى أن مكنه الله (عز وجل) في الأرض، وكافأه على صبره وإحسانه وصار عزيز مصر.

ومرت السنين و جاءت الأيام العجاف، وأصبحت الأحوال ضيقة، وبدأت الناس تبحث عن الطعام، وانتشر الجدب في مناطقهم، وكانت مصر أرض خصبة، وتتوفر فيها الحنطة، فتوجهوا لها، وكان يوسف (عليه السلام) هو المسؤول على عملية البيع والشراء فعرفهم وهم له منكرون، عرفهم وهم لم يعرفوه كونه عزيز مصر وتغيير الملامح، وكانوا مستبعدين فكرة أن يكون هذا يوسف فعرضوا عليه ما يحتاجونه فزودهم وزاد لهم الكيل.

الى أن عادوا الى مصر مرة أخرى قال لهم في قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة يوسف 89-90) " بعد أن استمع يوسف لاستعطاف اخوته وتضرعهم وعرف بؤس أهله

[1] التحرير والتنوير : ابن عاشور 8/ 37.

وحاجتهم، رق وتغلبت عليه عاطفة الرحم وقرابة الدم، وقال لهم معاتبا أو واعظا: أتذكرون يوما استجبتم فيه لدعوة الشيطان"[1].

ذكرهم بما فعلوا بيوسف من إلقائه في البئر، وبيعه بدراهم معدودة وما فعلوا بأخيهم أيضاً، هنا أدركوا أن الله (ﷻ) منّ على يوسف (عليه السلام) واختاره فقالوا في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ (سورة يوسف/ 91) " أي اختارك علينا أولاً بحسب الأب، وثانياً بالملك مع ما لك من حسن الصورة ولطف السيرة ونقاء السريرة" [2] .

وقام بتذكيرهم فقال : هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه هل عرفتم النتائج السلبية لما فعلتموه، والآلام والأزمات النفسية التي أحدثوها في حياتهما فقالوا:" لقد اختارك الله، وفضلك علينا بالعلم والحلم والكمال في العقل والجمال في الجسد، ها أنت في الموقع الرفيع، فاغفر لنا ما بدر منا تجاهك وتجاه أخيك، قال لا تثريب عليكم اليوم أي لا عقوبة ولا تعنيف، بل المسامحة والعفو والاستغفار لكم والابتهال الى الله أن يعفو عنكم متى يستجيب الله من ذلك اليوم، يغفر الله لكم ذنوبكم من إساءة وعدوان وهو أرحم الراحمين فلا يعاقبكم بعد أن عفوت عنكم وانتهت المشاكل بينهما"[3].

ومما تقدم يتبين كيفية اجتماع الأخوة العشرة على الخيانة، وكيف أن الغيرة قادتهم الى المكيدة، وكيف عفا عنهم بأخلاقه ونبله، رغم ما صدر منهم من أفعال وأحقاد إذ أنّ " لاشك في الحسد ينتهك حدود الأسرة وعواطف القرابة فهؤلاء إخوة يوسف (عليه السلام) داسوا على كل القيم، وتآمروا على أخيهم الصغير، وكل ذلك بسبب الحسد"[4].

([1]) التفسير الكاشف : مغنية 4/ 323.
[2] تقريب القرآن الى الأذهان : الشيرازي 3/ 38.
[3] من وحي القرآن : فضل الله 12/ 262 .
[4] تفسير النور : قراءتي 4/ 155.

وبعد أن اعترفوا بخطئهم طلبوا العفو من يوسف (عليه السلام) ففي رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنهم قالوا له : لا تفضحنا ولا تعاقبنا اليوم واغفر لنا "[1] .

فقال يوسف (عليه السلام) في جوابهم في قوله تعالى :﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(سورة يوسف / 92) اي لا تأنيب عليكم ودعا لهم بالمغفرة.

وكانت نفسه (عليه السلام) تأبى " أن يرى أخوته في هذا الخجل والندامة خاصة في هذه اللحظات الحساسة، وبعد انتصاره عليهم فقال لا تثريب عليكم اليوم أي إن العتاب والعقاب مرفوع عنكم اليوم، اطمئنوا مرتاحين الضمير ولا تجعلوا الآلام والمصائب السابقة منفذاً إلى نفوسكم"[2].

وعفا عن اخوته ورفض أن يعاتبهم، ويأنبهم وتستمر عاطفته تجاه اخوته وأخذ يطمئنهم، أن الله (عز وجل) يغفر لكم وهو أرحم الراحمين، ويذكرهم برحمة الله سبحانه ومن رحمته بإخوانه قال لهم ما فعلتم بصورة اجمالية ولم يذكرهم بكل صغيرة وكبيرة من أفعالهم[3].

ومن عاطفته تجاه إخوانه (عليه السلام) فهو حتى عندما يعاقبهم على ما فعلوا، لم يستعمل معهم اللوم والتقريع والتأنيب، بل ألتمس لهم العذر بقوله نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي، كان عتابه عتاب الأخ المحب حتى وهو عزيز مصر، وما هم فيه من الانكسار والحاجة ونجد في قوله هذا أخي " شدة تعلقه بأخيه بنيامين، أما اخوة يوسف فتمثل في قلوبهم وعيونهم صورة ما فعلوه، والخزي والخجل وهم يواجهونه وهو محسن لهم وقد اساءوا حليما لهم وقد جهلوا "[4].

---

[1] تفسير العياشي: العياشي 2/ 190.
[2] الأمثل : الشيرازي 355/6.
[3] ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها.
[4] في ظلال القرآن : سيد قطب 4/ 2027.

وشملت تلك العاطفة جميع إخوته فقال لا تثريب عليكم اليوم، وهو نموذج الأخوة الصالحة المتمسكة بالمحبة والرحمة، رغم الأذى الذي حصل منهم، وبذلك يقدم لنا القرآن الكريم صور من العواطف والمشاعر النبيلة، التي ينبغي أن يكون عليها المسلم تجاه أسرته ومجتمعه، والمسيرة الإنسانية بحاجة ماسة الى التمسك بتلك العواطف والمشاعر في كل عصر وزمان من أجل تماسك الروابط الأسرية.

وكانت تلك العاطفة الأخوية من يوسف (عليه السلام) تجاه اخوته درساً أخلاقياً تربوياً فهو حتى بعد انتصاره على أخوته وكسر شوكتهم، تعامل معهم بالعفو والرحمة ولم يعتمد مبدأ القسوة معهم، وبالرغم من أنهم ضربوه وألحقوا الأذى ومعاملتهم السيئة كذلك، لم يحقد عليهم بل اجتهد بأن يفهمهم أنهم سبب في وصوله الى مصر وكرسي الرئاسة وكذلك كشف أمام الجميع أنه ليس عبد وأنه سليل النبوة[1].

وبدأت مسيرة النبي يوسف (عليه السلام) كيف ما أراد الله (عز وجل) وسار في طريق الأنبياء والصالحين، وكان لإخوته دور كبير في معاناته الصعبة وآلامه، وفي مواقف الصراع النفسي دفعوا به الى الهلاك، لكن عندما ضاقت بهم السبل ومعاناة الحياة لجأوا إليه بخضوع، وانتصر يوسف بأخلاقه ورسالته ومحبته على الحسد والحقد والضعف.

وربما " كان ليعقوب بعض العاطفة المميزة لهما، نتيجة لبعض الخصائص الروحية والاخلاقية التي يتمتعون بها، ولصغر سنهما الذي يجعلهما بحاجة الى الاحتضان العاطفي من جهة، وما يستثيره ذلك السن من عاطفة حميمة تجعل الكبير يهفو الى الصغير من جهة أخرى ولكن الكبار عادة لا يفهمون ذلك ولا سيما مع اختلاف الأم"[2].

و يعقوب (عليه السلام) لم يميز بين أبنائه بل فرق بينهم بحسب ما يستحق كل منهم وكان ذلك سبب شعور أخوته بالتمييز، مما أوقد نار الحسد في قلوبهم.

---

(1) ينظر: تفسير النور: قراءتي 4/ 267-268.
(2) من وحي القرآن : فضل الله 12/ 169 .

وعلى الرغم "من إن محبة يعقوب ابنه يوسف وتعلقه به الى درجة كبيرة، كان لها ما يبررها من الكمالات التي كان يوسف يتصف بها دون أخوته، إلاَّ إن ذلك لم يمنع أخوته من الشعور بالتمييز، ظانين أن تلك المحبة الزائدة تجاه يوسف ليس لها أي تبرير منطقي، وهذا الشعور بالذات هو الذي قادهم الى الكيد و المؤامرة "[1].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (سورة مريم /96) الإيمان والعمل الصالح هما سبيل لجعل الإنسان محبوبا وليس التخلص من الآخر.

والمحصل أنه لا ريب في أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له آثار ونتائج ايجابية كثيرة، تظهر في المستقبل ففي قصة يوسف ويعقوب (عليهما السلام)، ذهب أحد أخوته بالنهي عن المنكر ورفض قتل يوسف (عليه السلام) واستطاع اقناع إخوانه بتغيير رأيهم في هذه المؤامرة، وانقذ حياة أخيه من الموت، وبعد سنوات صار يوسف عزيز مصر ومدبر شؤونها بفضل الله (عز وجل) أنقذ البلاد من القحط والمجاعة وهذا ما فعلته آسيا امرأة فرعون وأنقذت حياة موسى (عليه السلام) من فرعون وجنوده، إذ نهت عن المنكر و قالت لا تقتلوا، وكان ذلك سبباً في عدول فرعون عن قتله ثم كان لموسى (عليه السلام) بعد سنوات أن يخلص بني اسرائيل من شر فرعون وظلمه.

المطلب الثالث/ عاطفة أخوة موسى (عليهم السلام) :

نشأ موسى (عليه السلام) وإخوته في ظل أم طاهرة وسيدة جليلة، وهي المرأة الوحيدة التي ذكرت بكنيتها في القرآن الكريم، وبالنظر الى أصول دعوة موسى (عليه السلام) لبني إسرائيل، ندرك رغبته بأن يشمل أخاه هارون (عليه السلام) بفضل النبوة قال تعالى حكاية عن موسى (عليه السلام): ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أهلي هَارُونَ أَخِي أشددْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾(سورة طه/ 29- 35) أي بمعنى " يؤازرني على المضي الى فرعون ويعاضدني عليه،

[1] تفسير النور : قراءتي 4/ 159.

وقيل اجعل لي معاونا أتقوى به وبرأيه ومشاورته وقال من أهلي؛ لأنه إذا كان الوزير من أهله كان أولى ببذل النصح ثم بين الوزير وفسره هارون أخي "[1].

وذكر الشيرازي ذات المعنى في تفسير الآية فقال: " يعاضدني ويساعدني في الدعوة وليكن من أهلي؛ لأن الأهل أعطف على الإنسان من الأجنبي وأقرب الى الانسجام والألفة"[2].

وبذلك يطلب موسى (عليه السلام) المعين والمساعد له في هذا الحمل الثقيل، إذ إن قيادة البشر و حمل الرسالة لا يمكن أن يتحمله إنسان بمفرده .

وخص هارون (عليه السلام) من أهله بلفظ أخي، وقد تركت هذه اللفظة أثرها الواضح المتلبس بثوب العاطفة بألوانه الجميلة، من الحب والمودة لأخيه والتعلق به، وكانت دعوته تظهر حبه لهارون ورغبته بأن يخص أخاه بهذه الرحمة الإلهية كما خصه بها الله تعالى .

ويظهر هنا كيف قرن سبحانه الرحمة بالأخوة، وأن يعينه بأخيه في حمل الرسالة وتبليغها، ويشركه في أمره، لأنه يعرف إيمان أخيه جيداً، وأنه يكون أحرص عليه من غيره إذ تربطهما علائق روحية جميلة.

وقال تعالى : ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (سورة القصص/ 34) يتبين كيف أن موسى (عليه السلام) عبر عن عاطفته تجاه أخيه، وعلل أنه لا يشعر بالأمان إلاَّ مع هارون (عليه السلام) إذ بوجوده يشعر بالقوة في مهمته، ويعينه ويكمله في أداء رسالته، فما أجمل تلك العلاقة التي وصفها بالردئ أي " معينا لي على تبليغ رسالتك، ويصدقني فيما أؤديه من الرسالة، وقال سبحانه في جواب طلبه، سنشد عضدك بأخيك فنجعله نبياً معك"[3].

---

[1] مجمع البيان : الطبرسي 7/ 17 .
[2] تقريب القرآن الى الأذهان : الشيرازي 3/ 475.
[3] المصدر نفسه 4/ 125.

علاقة أخوية جميلة إذ يكمل كل منهما الآخر، حتى عندما عاد موسى (عليه السلام) من لقاء ربه وكان قد ترك قومه بصحبة هارون (عليه السلام) فذهبوا الى عبادة العجل، فاشتد غضب موسى (عليه السلام) وجذبه إليه قال تعالى: ﴿لَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(سورة الأعراف/ 150) ونقل الطبرسي قولا في سبب ذكره لأمه " إلاَّ إنه إنما نسبه الى الأم؛ لأنه ذكر أبلغ في الاستعطاف، وأن القوم الذين تركتني بين أظهرهم أتخذوني ضعيفا "[1].

وقال الطباطبائي " إنما خاطبه بذكر أمهما دون أن يقول يا أخي، أو يا ابن أمي للترقيق وتهيج الرحمة "[2].

فهارون هنا يستدعي حنان الأم، ووافقهم الشيرازي في هذا المعنى بقوله " إن التعبير بابن أم مع أن موسى وهارون كانا من أب وأم واحدة، إنما هو لتحريك مشاعر الرحمة والعطف لدى موسى في هذه الحالة الساخنة"[3].

وحين تفهم موسى كلام هارون (عليهما السلام) قال ربي اغفر لي ولأخي ذكر أخاه في طلب المغفرة والعفو من الله تعالى، كما ذكره في النبوة، ليتبين هنا دور العاطفة في مسيرة الأنبياء.

كما نلاحظ أن هارون (عليه السلام) يحدث النبي موسى (عليه السلام) مستعيناً بالعاطفة، إذ يذكره بحنان الأم ورأفتها، فكان اسلوباً رائعاً يتناسب مع موقف الغضب الذي كان عليه وإشارة لطيفة بقوله يا ابن أم إذ تدل على الحنان والرحمة وصلة الرحم، وعزز سبحانه هذه العلاقة الصادقة، إذ جعل هارون (عليه السلام) بمنزلة العضد لموسى (عليه السلام)

---

[1] مجمع البيان : الطبرسي 4/ 365.
[2] الميزان : الطباطبائي 8/ 256.
[3] تفسير الأمثل : الشيرازي 4/ 517.

قال تعالى: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِايَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ (سورة القصص/ 35).

كما نجد العاطفة السامية في خطاب موسى (عليه السلام) قال تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾(سورة المائدة /25) قرن موسى أخاه بنفسه وكأنهما شيء واحد وبيده أمره وأمر أخيه، فعلاقة الأخوة بينهما مثالا وأسوة يحتذى به .

نخلص الى أن أقوى عاطفة أخوية ذكرها القرآن الكريم هي العاطفة بين موسى وهارون (عليهما السلام)، إذ ان موسى (عليه السلام) دعا لأخيه بالنبوة، وهي أعظم نعمة إلهية، وهارون (عليه السلام) قدم لموسى المساعدة والعون، فقد ساعد أخاه أمام تجبر وغطرسة فرعون، فهي عاطفة متبادلة بين الأخوين، وقد أثنى الباري (عز وجل) على علاقتهما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (سورة الصافات/ 114-115) فهي أنبل وأجمل عاطفة أخوية .

وكما تناول القرآن الكريم العاطفة بين موسى وهارون (عليهما السلام)، كذلك تناولها بين موسى وأخته، تلك الفتاة الذكية البارة لوالدتها، المعينة لها في المرحلة الصعبة، التي تتبعت أثر أخيها بين جواسيس فرعون ولم يلحظها أحد، فكان لها الأثر الكبير في حياته، قال تعالى:﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ (سورة القصص/11-12) أي إنها اعتمدت المتابعة والمراقبة في التعامل مع الأنظمة المستبدة، لتؤدي وظيفتها ومهامها وهم لا يشعرون [1].

ولم يذكرها القرآن الكريم باسمها، بل استعمل لفظ أخت للإشارة إليها، لما لهذه العلاقة من دور مهم في الحياة، إذ تبعث على الحنان والإحسان والرحمة والمحبة في القلوب، وقال تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ

(1) ينظر : تفسير النور : قراءتي 7/ 17.

فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ (سورة طه/40) بعدما تلقت الأم الطاهرة أم موسى الأمر الإلهي، وألقت وليدها في النيل، كلفت اخته بتتبع أثره " قالت لأخته اتبعي أثر موسى حتى ترين إلام يؤول أمره، فرأته عن بعد وقد أخذه خدم فرعون وهم لا يشعرون بأنها تقصه وتراقبه"[1]أي أنّها استجابت لطلب والدتها، التي أوكلت لها أمرا عاطفيا مهما، وبحثت عنه بشكل لا يثير الشبهات حولها وأخيها، وبصرت به عن بعد، ثم قدمت اقتراحها عن طريق العاطفة، متبعة أسلوب اللين واللطف والهدوء والحكمة في إيجاد المرضعة والتكفل بالطفل، وأدت دورها على أحسن وجه، ليعلي الله تعالى شأنها، ويذكرها في كتابه، لتكون مثالاً للنساء في عاطفتها تجاه أخيها،وقدوة في تدبير الأمور الاجتماعية أيضا.

(1) الميزان : الطباطبائي 16/ 11.

الفصل الرابع

العواطف الإجتماعية الإنسانية في القرآن الكريم

المبحث الأول: العواطف الإجتماعية في القرآن

المبحث الثاني: العواطف الإنسانية في القرآن الكريم

الفصل الرابع

العواطف الاجتماعية والإنسانية في القرآن الكريم

أهتم القرآن الكريم بالعواطف الإنسانية، ومجمل الجوانب النفسية في خطابه المعجز، لأهميتها في بناء العلاقات الاجتماعية الإيجابية وفق المنهج الرباني وكونها المحركة للسلوك البشري، فكلما كانت عاطفة الفرد متزنة كان لها الأثر العميق في تعزيز الروابط الاجتماعية بين أبناء المجتمع الواحد، فتنشأ بينهم مشاعر تثير المحبة والألفة، وتعمق تضامنهم الاجتماعي، وتصبح قلوبهم متراحمة، لذا ينبغي استثمار العواطف باعتماد الرؤية القرآنية في الإصلاح والتغيير، ولم تقف العواطف هنا بل امتدت الى عالم الحيوان أيضا لتشمله بالرحمة واللطف والرفق، لتبين بأنها نعمة من نعم الله تعالى، وسنتناول في هذا الفصل العواطف الاجتماعية والإنسانية في مبحثين بمطالبها كما في الآتي :

المبحث الأول : العواطف الاجتماعية في القرآن الكريم

ينتظم هذا المبحث في ثلاثة مطالب، ويتضمن اهتمام القرآن الكريم بالجانب العاطفي تجاه اليتيم، والعاطفة في العلاقة الزوجية، وعواطف المسلمين تجاه الآخرين :

المطلب الأول : العاطفة تجاه اليتيم

يتناول هذا المطلب العاطفة تجاه اليتيم، وبيان عناية القرآن الكريم باليتامى واهتمامه بهم:

أولا / عناية القرآن الكريم باليتيم :

اليتيم في اللغة : كل شيء مفرد، ومفرده يعز نظيره فهو يتيم ويتيمة، يقال درة يتيمة، أي لا نظير لها، ويقال نبت يتيم تشبيها بالدرة اليتيمة[1] .

أما اليتيم في الشرع : " من اليتم وهو الانفراد عن المثل، وفي الإنسان هو الصغير الذي مات أبوه، وفي سائر الحيوانات هو فاقد الأم"[2].

واليتيم عضو من أعضاء المجتمع، وقد أمر الكتاب العزيز أقاربه وأرحامه بالعطف عليه والاهتمام به ورعايته والحفاظ على أمواله وممتلكاته، لأنه يستحق العطف والحب والحنان حتى وأن كان صاحب مال.

وقال تعالى : ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾(سورة الضحى /6) نجد أنّ الخطاب الإلهي موجه للرسول الكريم وللأمة الإسلامية، وفي معنى القهر قال الراغب :" الغلبة والتذليل معا، ويستعمل في كل واحد منهما، وفي قوله فأما اليتيم فلا تقهر أي لا تذليل"[3].

وتشير الآية الكريمة الى مسألة مهمة أهم من الأنفاق على اليتيم واطعامه، وهي إحاطته بالحب والحنان والعطف، و تخليصه من إحساسه بالنقص العاطفي الناتج عن فقدان الأب والروابط الأسرية؛ لذا ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) " من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمر على يده نور يوم القيامة"[4].

وكأن الله (ﷻ) ينبهنا الى الشعور بآلام اليتيم والاهتمام به و رعايته، ومن جهة العاطفة " يشعر هؤلاء بنقص إذا لم يسد فإنهم سينشؤون أفراداً غير سالمين، وكثيراً ما يكونون قساة مجرمين خطرين، ومن الناحية الإنسانية يجب أن يعيش هؤلاء في

---

(1) ينظر : المفردات : الراغب 550 ، لسان العرب : ابن منظور 12 / 645
(2) مواهب الرحمن : السبزواري 261/7 .
(3) المفردات : الراغب 687.
(4) مجمع البيان : الطبرسي 506/10.

حماية ورعاية كسائر أبناء المجتمع، أضف الى ذلك يجب أن يشعر أفراد المجتمع بضمان مستقبل أبنائهم الذين قد يتعرضون باليتم في يوم من الأيام"[1].

إذ ينبغي الاحسان الى اليتيم ومراعاته عاطفياً، والاهتمام بتربيته وتعليمه ومراعاة شؤونه، وجعل الله (ﷻ) الولي مقام الأب في ذلك، إذ أن العاطفة عند الأب فطرة أودعها الله (ﷻ) وهي مختلفة عند الولي؛ لذا حفل القرآن الكريم والسنة الشريفة بما يحث على مداراة اليتيم، فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : " أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة إذا اتقى الله (ﷻ) وأشار بالسبابة والوسطى"[2].

فإذ كان من الواجب والضروري أن نؤمن اليتيم من حيث الطعام، علينا أن نؤمن غذائه الروحي، وكما أن على المجتمع الإسلامي أن لا يبقي اليتيم جائعا عليه أن يؤمن له المحبة، فهو جزء من المجتمع والأمة، فإذا أصبحت أخلاقه فاسدة ومنحرفة انتقل هذا الفساد الى المجتمع، وصار مثال سيئ لأقرانه فتصبح الأمة في خطر[3].

ونجد أن اليتيم يعاني من حرمان عاطفي من فقدان الحب والعطف والاتصال الإجتماعي، ورعاية الوالدين وفقدان الثقة وشعور بالخوف، كون الانفصال عن الوالدين يسبب حرماناً عاطفياً لدى الطفل، فيفقد الآثار الناتجة عن ترابط الأسرة.

وبذلك يحرم من روابط الحياة الأسرية والعلاقات الطبيعية بين أفرادها، ويحرم من رعاية الأب والأم، ولا يستطيع الصغير العيش في ظرف أسري طبيعي، ولا تتوفر له رعاية كافية من الحب والمودة والتوجيه الذي يساعده على النمو السليم، ويحرم من الدعم الكافي، وقد يتعرض الى معاملة سيئة ويعيش في ظل ظروف صعبة

([1]) الأمثل : الشيرازي 15/ 387.

([2]) الكافي : الكليني 1/ 406.

([3]) ينظر : تربية الطفل في الإسلام : مظاهري، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ - 1993، 118.

مضطربة تؤدي الى تحطيم شخصيته، أو يعيش في ظل أسرة تعاني من ضعف التبادل العاطفي وانعدام في الحب والحنان بسبب فقدان أحد الأبوين[1].

فإذا فقد الطفل والدته التي تمثل المدرسة الأولى في حياته، ومصدر تأمين حاجاته البيولوجية والنفسية، فمن الطبيعي أن فقدها يولد انعكاساً سيئاً على شخصيته.

وكذلك فقدان الأب الذي يؤدي الى عدم الشعور بالطمأنينة والراحة والأمن، إذ يوفر له الحماية من كل ضرر، و يكون حلقة الوصل للتكيف مع المحيط والبيئة وفقدانه يترك آثاراً سلبية على الطفل؛ لأن الأب سنده، وغيابه يؤدي الى سلوكيات غير مرغوبة، ويكون عرضة للاضطرابات والعلاقات المنحرفة، فهو مسؤول عن ادخال القانون والنظام في سلوك الطفل؛ لذا نجد أن الشريعة السمحاء تحث الوالدين على تربية أبنائهم تربية صحيحة؛ ولكن ليس جميع الأبناء ينعمون بهذه التربية والرعاية، فهناك في كل مجتمع مجموعة من الأبناء محرومين من نعمة الوالدين وهم الأيتام، و رعاية اليتيم غاية نبيلة و سامية حث عليها القرآن الكريم[2].

وقد يكون اليتيم صاحب مال وثروة يجب أن يتم المحافظة عليها وحمايتها بكل أمانة، وقد يكون هؤلاء لا يملكون أي تركة مالية يجب رعايتهم من هذه الناحية بالأنفاق عليهم ومداراتهم ليتخلصوا من الشعور بالوحدة والإحباط، لذا نجد آيات القرآن الكريم والسنة الشريفة تناولت مسألة اليتيم من جميع أبعادها الأخلاقية والإنسانية والاجتماعية والمالية، فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : "إذا بكى اليتيم وقعت دموعه في كف الرحمن"[3].

([1]) ينظر: اليتيم في القرآن والسنة: عز الدين بحر العلوم، دار الزهراء، بيروت، لبنان،ط1، 1432هـ،2011 م ،23.

[2] ينظر: اليتيم في القرآن والسنة: بحر العلوم 25.

[2] جامع أحاديث الشيعة : حسين الطباطبائي البرجردي (ت 1383هـ)، المطبعة العلمية، قم – ايران، 1399هـ، 21/ 422.

وركز أمير المؤمنين (عليه السلام) على مداراة اليتيم في وصيته بالصلاة والقرآن وقال :" الله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم"[1].

وكأن الإمام علي (عليه السلام) يحمل الجميع مسؤولية اليتيم، والتعامل معه بكل رفق واهتمام، فعلى المجتمع في الوقت الحاضر انشاء دور ومؤسسات ومراكز رعاية الأيتام، وتقديم الدعم العاطفي لهم أولاً، ثم الثقافة والتعليم وجميع الجوانب المادية والاقتصادية، كي ينشأ الأيتام نشأة لائقة للدين الإسلامي .

ثانيا/ حقوق اليتيم المالية :

يحدث في جميع المجتمعات الإنسانية أن يفقد مجموعة من الصغار أباءهم بسبب الحوادث والكوارث والحروب، فأي مجتمع يعاني من صراعات داخلية ونزاعات نجد فيه الكثير من الأيتام، ويكون على المسلمين والحكومات الإسلامية التكفل بهم، والكثير من اليتامى لديهم أموال إذ تنظر الشريعة في هذا الجانب للمحافظة على أموالهم، في حال تسلط الأقوياء عليهم بسبب ضعفهم، والآيات الكريمة حثت على الحفاظ على مال اليتيم، وتسليمه له بعد رشده وقدرته على إدارة أمواله والأشهاد على التسليم بما ينفي النزاع في المستقبل.

قال تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (سورة النساء/ 2) قال السبزواري في معنى الآية : " آتوا يدل على عناية خاصة منه تعالى للأيتام لم تكن في التعبير بغيره، مثل أعطوا أو ارجعوا؛ لأن الإيتاء هو عطاء خاص لا مطلق العطاء"[2] أي العطاء المصحوب بالحب والعطف والمودة.

وأشار مكارم الشيرازي الى كيفية الإيتاء بقوله : " إن تدبير شؤون اليتامى والأنفاق عليهم يجب أن يتم من أرباح أموالهم (و أرزقوهم منها)، يفهم من ذلك أن على الولي أن يقتطع من أصل أموالهم شيء، وهذا يعني أن يفقد اليتامى شيئا كبيراً

[1] نهج البلاغة : الشريف الرضي 3/ 439 الوصية47.
[2] مواهب الرحمن : السبزواري 7/ 273 .

من أموالهم حينما يبلغون ويصلون الى سن الرشد؛ ولكن القرآن الكريم استبدل لفظة منها بلفظة فيها، وبذلك يكون أوصى أولياء اليتامى بالحرص والأنفاق من أرباح رؤوس أموالهم "[1] وسبب تخصيص اليتيم كونه عاجزاً عن رعاية نفسه و مصلحته.

ويرى الزمخشري أن معنى الآية " إما أن يراد باليتامى الصغار، وبإتيانهم الأموال: أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة، حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمة غير محذوفة" [2].

الظاهر أن مراده في تفسير إيتاء اليتامى أموالهم في هذا الموضع حفظها لهم ودفعها إليهم كاملة بعد البلوغ والرشد.

وبعد التأمل في أقوال المفسرين نجد أن الإيتاء عند الشيرازي استثمار أموال اليتيم والأنفاق عليه من أرباحها، في حين الإيتاء عند الزمخشري هو المحافظة عليها فقط وتسليمها له كاملة عند الرشد والبلوغ ولم يبين كيفية الأنفاق على اليتامى.

لهذا من الإيتاء تحمل نفقاتهم في الصغر، وتقديم الأموال وجميع الحقوق إليهم بعد رشدهم وبلوغهم وقدرتهم على إدارة أموالهم مع الإشهاد على ذلك، ومن الإيتاء تجنب إبدال أموالهم و" التبديل هو جعل شيء مكان الآخر، والخبيث هو ما تنفر عنه الطبائع، والطيب ما رغبت إليه الطبائع"[3].

ومما يبدو أن ذلك كان سائداً في المجتمع آنذاك، فنهى عنه القرآن الكريم، ويتم ذلك بإبدال الجيد والغالي بالرديء والرخيص.

ومن الإيتاء أيضاً منع الاعتداء على أموال اليتامى بضم الوصي أموال اليتيم الى أمواله، ويبقى اليتيم يعاني الفقر والحرمان، وبذلك أصبح يعاني من الفقر فوق اليتم لذلك حذر القرآن الكريم من هذه الأفعال، إذ يعد " الخلط بين أموال اليتامى وأموال المتصدين وأكل الجميع هذا من المنكرات، أي لا تتصرفوا في أموال اليتامى سواء

---

[1] الأمثل : الشيرازي 3/ 33 .
[2] الكشاف : الزمخشري 2/ 10 .
[3] مواهب الرحمن : السبزواري 7/ 261 .

كان التصرف بالأكل أم الانتفاع أم المشاركة مع أموالكم؛ لأن الواجب عليكم حفظ أموال اليتامى وصيانتها واستثمارها لصالح الأيتام"[1].

ويستمر القرآن الكريم يحذر من ظلم اليتامى قال تعالى: ﴿ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ (سورة النساء/10).

إن الذين يأكلون أموال اليتامى" بلا مبرر واستحقاق والقيد توضيحي لإفادة أن أكل أموالهم ظلم وجور، أي يملؤون بطونهم ناراً، فإن مال اليتيم ينقلب ناراً، وسيصلون يقال صلي الأمر أي قاسى شدته و حره، سعيراً على نار مستعرة مؤججة، والأكل كناية عن التصرف في المال ولو كان مثل الدار واللباس فإنّ الأكل يستعمل بهذا المعنى كثير"[2].

وقال المدرسي:" ما هذه النار التي يأكلونها، هل هي هذه المواد الحرام التي تتحول إلى نار لاهبة يوم القيامة، أو أنها الآلام النفسية ومن ثم الجسدية التي تلاحقهم بسبب ظلمهم اليتامى، أو أنها الانحرافات الاجتماعية التي سوف تخرق حضارتهم وتخرب عمرانهم عاجلا أو آجلا، المهم إنها نار في الدنيا وسعير في الآخرة، وكفى بذلك رادعاً عن الاقتراب من حق الضعفاء"[3].

و بذلك تصور لنا الآية الكريمة شدة العذاب وما يقاسيه من يأكل أموال اليتامى وكيف يخلد في النار فياله من عقاب صارم.

وجاء القرآن الكريم بعد أن حذر من الاعتداء على أموال اليتامى، يبين الطريق الصحيح في كيفية التعامل مع أموالهم قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أشدهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة الأنعام/ ١٥٢).

---

[1] المصدر نفسه ، والصفحة نفسها

[2] تقريب القرآن الى الأذهان : الشيرازي 1/ 446 .

[3] من هدى القرآن : المدرسي 2/ 28 .

قال الطباطبائي : " النهي عن القرب للدلالة على التعميم، فلا يحل أكل ماله ولا استعماله ولا أي تصرف فيه الاّ بالطريقة التي هي أحسن الطرق[1].

الى أن يبلغ اليتيم أشده ويمكنه إدارة أمواله والتصرف بها بأحسن حال.

وقال تعالى : ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة البقرة/ 220) فأمر الله (ﷻ) "بالإصلاح لهم في جميع شؤونهم، فإنه من الخير المحبوب لدى الجميع، يشمل اصلاح نفوسهم بالتربية والأدب، وإصلاح أموالهم بالتنمية والتكثير، واصلاح المعاشرة معهم، كل ذلك لإطلاق الآية الكريمة إنها تشمل جميع انحاء الإصلاح في النفوس والأموال والأحوال"[2].

إذ إن " من واجب الدين الإسلامي أن يتعاهد أمر هؤلاء الأيتام دون أن يضيعوا أو تضيع أموالهم، هذا ولا سيما في العهد الأول من صدر الإسلام، لم تكن هناك جهات تضمن دَرَك أمثال هذه الفوائت، سوى تكليف الآحاد حسب استطاعتهم"[3].

وبذلك فأن القرآن الكريم يقدم للمسلم منهجاً واضحاً في التعامل مع اليتيم ويسالونك عن اليتامى" كيف يعاشرونهم، فقد ورد أنه لما نزل ولا تقربوا مال اليتيم إلاَّ بالتي هي أحسن، ذهب كل من عنده يتيم لعزله في مأكله ومشربه من نفسه لئلا يبتلي بماله، واشتد ذلك عليهم فسألوا النبي (صلى الله عليه وآله) فأنزل قل: يا رسول الله واصلاح لهم خير بأن يصلح الإنسان أموال اليتيم بدون أجر وعوض خير من عزلهم وطردهم، والله عارف بنية المخالطين هل هو أكل مال اليتيم أو الإصلاح"[4].

وبعد أن بينت آيات القرآن الكريم شدة التحذير من أكل مال اليتامى وقد يسبب ذلك اضطراب لدى المسلمين، وتخوف من رعاية أموالهم فتترك اليتامى ولا تجد من يرعى أموالها، بين القرآن الكريم المفهوم الصحيح والطريق الذي ينبغي أن يسلكه

---

(1) الميزان : الطباطبائي 7/ 320.

(2) مواهب الرحمن : السبزواري 3/ 273 .

(3) التفسير الأثري الجامع : محمد هادي معرفة، مطبعة ستاره، قم، إيران، ط1، 1387هـ- 2008م، 489/5.

(4) تقريب القرآن الى الأذهان : الشيرازي 1/ 247 .

الولي أو الوصي في الحفاظ على مال اليتيم، واتباع كل ما فيه صلاح الأيتام من مخالطتهم ومعاشرتهم بالإحسان، والآيات الكريمة مطلقة لكل صور الإصلاح والإحسان في كيفية الاستثمار، ولم تحدد وجهة معينة، والإصلاح لا يقتصر على المال بل يشمل جميع جوانب الحياة من التربية والتعليم والأخلاق والأموال ورعايتهم كرعاية الإخوان الحقيقيين.

وبعد أن نهت الآيات الكريمة عن التجاوز على أموال اليتامى وعرضت صور العذاب الشديد لمن يغفل ذلك، توجهت الى تنبيههم لربما يكون لهم أيتام في المستقبل فيلاقون نفس المصير قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾(سورة النساء/ 9) " لذا وجب أن يتجنب أولياء اليتامى مخالفة الأحكام الإلهية ويتقوا الله (ﷻ) في اليتامى، و يقولوا لهم قولاً عدلاً موافقاً للشرع والحق ممزوجا بالعواطف الإنسانية والمشاعر الآخروية، لكي يندمل ما في قلوب أولئك من الجراح وينجبر ما في أفئدتهم من الكسر"[1] إذن لسوء معاملة اليتيم وأكل أموالهم آثار في الدنيا والاخرة .

وعليه كل تصرف في أموال اليتامى على النحو الأحسن تجارة بأموالهم، وجلب الأرباح والمنافع في أي مجال كان سواء الزراعة أو الصناعة، والشارع المقدس لا يريد ترك أموال اليتامى للتلف والمفسدة، بل التصرف بها بما يتفق ومصلحة اليتيم وهذا هو القرب الأحسن، لذلك على المعنيين بالمحافظة على أموالهم استثمارها و مراعاة الأصلح، لذا "نهى الله تعالى جميع المكلفين أن يقربوا مال اليتيم، إلاَّ بالتي هي أحسن وهو أن يحافظوا عليه ويثمروه أو ينفقوا عليه بالمعروف على ما لا يشاكله أصلح له، فما لغير ذلك فلا يجوز لأحد التصرف فيه "[2].

ثم نصل الى المرحلة الأخيرة من إيتاء الأموال وهي تسليم الأموال لليتامى، وهي المرحلة النهائية التي عرضها القرآن الكريم بعد تحقق شروط معينة قال تعالى:

---

[1] تفسير الأمثل : الشيرازي 2/ 41 .
[2] التبيان : الطوسي 6/ 476 .

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (سورة النساء/ 6) قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أشدهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (سورة الإسراء/ 34).

فالرشد "عبارة عن تمكن الشخص من إصلاح أمواله بلا سرف ولا تبذير ولا سفه"[1] ويعني أيضا" أن يكون اليتيم مؤهلا لحفظ المال وكيفية التصرف فيه ومعرفة كيفية تنميته وضبطه"[2].

والبلوغ يعني تحقق النضوج العقلي والبدني، ويصبح قادراً على التصرف وإدارة شؤونه، والشريعة السمحاء شريعة عادلة تضمن للجميع حقوقهم، كما راعت اليتيم كذلك راعت الولي والوصي عند تسليم الأموال.

إذ تبدأ سلطة اليتيم على أمواله بعد الرشد والبلوغ، وتعني الإدراك وإكمال السن الشرعي، وهنا أشارت الشريعة الى نقطة مهمة، وهي قد يحصل نزاع حول الأموال أو اتهام للولي بالتقصير والاعتداء، وأنه لم يحافظ على أمواله، فبدل من شكره يقوم باتهامه ولومه، لذلك يدعو القرآن الكريم الى الحذر في ذلك، والإشهاد على تسليم الأموال الى أصحابها لتجاوز هذا النزاع قال تعالى: ﴿فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا﴾ (سورة النساء/6)وعبر السبزواري في تفسير الآية عن الإشهاد ب " الاستيثاق عند دفع الأموال اليهم وهو الشهادة تحكيما للأمر ودفعا للاختلاف"[3].

([1]) تقريب القرآن الى الأذهان : الشيرازي 1/ 444.
([2]) التجديد في تفسير القرآن المجيد : علي عبد الرزاق مرزة، المؤسسة الإسلامية للبحث والمعلومات، قم، إيران، ط1، 1428هـ، 6/ 37.
[3] مواهب الرحمن : السبزواري 7/ 269.

وأكد هذا المعنى محسن قراءتي بقوله : " حافظوا على أموال اليتيم، وكذلك صونوا كرامتكم بأشهاد الناس دفعاً لأي تنازع أو اتهامات في المستقبل"[1].

فاليتيم الذي يملك أموال يجب أن ترجع إليه أمواله عند رشده، وعلى المقيم بإدارتها أن يكون فيها أمين وعدم تبديل الجيد بالرديء، كما نهى القرآن الكريم بعدم مخالطة أموال اليتامى مع أموال القائمين عليها، فهو يدعو بكلمات صريحة الى المحافظة على أموالهم، ويهدد بعقوبات جازمة لمن يعتدي عليها، وتعد الأموال عصب الحياة، و من خلاله يقضي الإنسان كل احتياجاته من مأكل وملبس ومسكن واليتيم بحاجة الى من يهتم به.

فمن الرحمة الإلهية واللطف الإلهي حفظ حق الجميع الضعيف والقوي للمصلحة العامة، ومراعاة جميع الجوانب حتى لا يتجاوز قوي على ضعيف ولا ضعيف يتهم قوي.

وسلك القرآن الكريم طرق كثيرة يحث بها المسلمين على الأنفاق على الفقراء بصورة عامة واليتيم بوجه خاص، من خلال تشويقهم بالجزاء من الله (ﷻ) على انفاقهم وتقديم العطاء للمحتاج، وأنّه سوف يعوضهم ويبارك في أموالهم بالدنيا ويجزيهم الثواب في الآخرة قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُو مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ (سورة فاطر/29) وقال تعالى : ﴿آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (سورة الحديد/ ٧).

قال تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة/ 261) وقال تعالى : ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين﴾ (سورة البقرة/ 265).

---

[1] تفسير النور : محسن قراءتي 2/ 15 .

وبذلك يعمل القرآن الكريم على استنهاض همة القادرين على المساعدة للأيتام فهذه الآيات الكريمة تحرك فيهم الجانب العاطفي، وتبين أن الله (ﷻ) غير محتاج العباد؛ ولكن الله (ﷻ) من لطفه بعباده يرشدهم الى الخير والصلاح، ولا خسارة في هذا الأنفاق، بل هو تجارة رابحة مع الله (ﷻ)، وبذلك يقدم لهم صورة عملية عن حياتهم الاعتيادية.

ووجه القرآن الكريم خطاب الى أولياء اليتيمات في مسألة الزواج بما يتفق ومصلحة اليتيمة، ويقوم على أساس العدل كما في مسألة الأموال، قال تعالى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ ايمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ (سورة النساء/ 3) قال الشيرازي :" الآية تعليم آخر ووصية أخرى بهم ولكنها هذه المرة تتعلق بمسألة الزواج باليتيمات، وأن على أوليائهن أن يعاملوهن في مسألة الزواج على أساس من العدل والقسط كما يعاملوهن في مسألة المال، فعليهم أن يراعوا في أمر الزواج مصلحة اليتيمة"[1] وبذلك فإن القرآن الكريم قد اعتنى بجميع شؤون اليتامى.

وعرض القرآن الكريم مواقف عدة عن حفظ أموال اليتيم، و منها قصة النبي موسى (عليه السلام) والعبد الصالح، إذ وجدا جداراً يريد أن ينقض فاصلحه العبد الصالح من دون أجرة على العمل، فقال موسى (عليه السلام): لو شئت لاتخذت عليه أجرا، فبين فلسفة عمله وعلته وهو أنه ليتيمين، فقد حفظ كنزهم بذلك العمل لصلاح أبيهم قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أشدهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾(سورة الكهف/ 82).

تبين الآية الكريمة فكرة مهمة وهي أن الله تعالى يكرم الإنسان لأجل أبويه، ومن عمل صالحا فأنه (ﷻ) يكرمه ليس في ذاته فقط، وإنما في أبنائه[2].

---

(1) الأمثل : الشيرازي 3/ 18 .
(2) من هدى القرآن : المدرسي 5/ 85.

ومن ذلك نلاحظ عناية الإسلام باليتيم، والترغيب برعايته والحفاظ على أمواله وعدم الاعتداء على حقوقه، و في سلوك العبد الصالح حث المحسنين والخيرين على مداراة اليتيم، وفي العديد من المشاهد الأخرى أكدت الشريعة الإسلامية على الحقوق المالية لليتامى، ويعود ذلك الى طبيعة المجتمع في أول الدعوة الإسلامية والعادات الجاهلية السائدة في ذلك الوقت، من استغلال الضعيف والغزو ونهب القبائل، إذ كان المجتمع قاس جداً غارق في الظلمات، ذلك المجتمع القبلي الذي لا يراعي أحد فكيف باليتيم والذي هو في مقدمة الضعفاء.

لكن الإسلام دين الرحمة والعدل والعطف، أخذ بيد اليتيم ورفع قدره وحفظ له حقوقه الكاملة، من جميع الجوانب المادية والاجتماعية والنفسية، فكانت حصة اليتيم وفيرة في التشريع الإسلامي، فشرعت له ما يتحقق به رعايته وتربيته.

ثالثا : حقوق اليتيم الاجتماعية

حثت الشريعة الإسلامية على رعاية الأيتام اجتماعياً وكفالتهم، وأهم حقوقهم الاجتماعية المسكن وهو الملجأ الذي يأويه، والتربية الصالحة والتعليم، فاليتيم إذا وجد من يعطف عليه ويمده بالمودة واللطف، ينشأ إنساناً سوياً من غير منغصات في حياته [1].

ولا ينظر بقسوة الى المجتمع، الذي يعتبره تخلى عنه وخذله، بل يعمل على رد الجميل، ويصبح فرداً فعالاً يعمل الصالح لمجتمعه ويجمعه بأفراده رابطة الأخوة لذلك يصبح لدى هذا المجتمع قوة ضاربة تسعى لبنائه والدفاع عنه، وبذلك يقضي على الفساد المتوقع من ترك اليتامى بدون رعاية، وتعم المودة والتعاون ويصبح مجتمع متماسك.

ولما كان للطفل مكانة سامية في كل الشرائع السماوية، لذا فإنّ جميعها تحث على الرعاية والاهتمام به، وسبب ذلك يعود لأهمية الصغار في المجتمع فهم الأساس

([1]) ينظر: العناية باليتيم في ضوء القرآن الكريم، فريدة محمد أحمد الغامدي، كلية الدعوة واصول الدين، جامعة إم القرى، 20

والمقوم لبنائه؛ ولأن الطفل بسبب الطبيعة الفسيولوجية لا يستطيع الاهتمام بنفسه ولا يعرف الصالح لها؛ لذا نجد العناية الإلهية تهتم بهذا الجانب اهتماماً كبيراً[1].

فقد أودع الله (ﷻ) فطرياً في نفس الوالدين عاطفة كبيرة ومودة عميقة تجاه الطفل منذ اللحظة الأولى لولادته، فعاطفة الأبوين تكون الإطار الحيوي في تقويم حياة الطفل وتوجيهها، ويستمر اللطف الإلهي للعناية بالصغير، وقد تبناه الإسلام حتى مع فقدان الأب وطرح الحلول لمشكلة يعاني منها أي مجتمع ألا وهي اليتامى، فهم يفقدون حنان الأب ويصبحون عرضة للموبقات في هذه الحياة، وأرضاً خصبة للانحراف والرذيلة، وبذلك تخسر المسيرة الإنسانية العديد من أبنائها .

كما جعل الله (ﷻ) رعاية اليتامى أحد بنود المواثيق التي أخذها الله (ﷻ) على بني اسرائيل قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (سورة البقرة /83) إذ أوصى الله (ﷻ) بالإحسان اليهم، والعطف عليهم بالرأفة والرحمة[2].

ولم تحصر الآية الكريمة الوصية باليتامى ضمن دائرة البيت والأسرة، بل حثت الآية نوع البشر بشكل عام بالإحسان، إليهم فهؤلاء شاءت الحكمة الإلهية؛ لأن يفقدوا كفيلهم وسندهم، فمن رحمة الله (ﷻ) أن يجعل المجتمع يتكفلهم على أساس المحبة والرحمة، وهذا الميثاق رسالة موجهة للجميع وليس خاصاً لبني اسرائيل، حتى لا يبقى اليتيم عالة على المجتمع.

ووجه القرآن الكريم الكثير من الخطابات التي تبين حقوق اليتيم الاجتماعية مذكراً المسلمين بيتم النبي (صلى الله عليه وآله) وحضانة جده له، ومن هنا انطلق الإسلام في بيان توجيهاته وارشاداته في ما يخص اليتيم، قال تعالى: ﴿الم يجدك يتيما فآوى﴾(سورة الضحى /6) إذ إن أول ما يحتاج إليه اليتيم الحنان والصدر الرحب

---

(1) اليتيم في القرآن والسنة: بحر العلوم 19.
(2) ينظر : مجمع البيان : الطبرسي 1/ 285.

الذي يضمه والمأوى، لذلك بين الإسلام الحاجة الأساسية لليتامى فإذا " لم تؤمن احتياجات اليتيم سيهدد المجتمع مفاسد أخلاقية واجتماعية عدة، وقد يجعل نقص المحبة اليتيم شخص قاسي القلب"[1].

وبعد جده احتضنه عمه، وعطف عليه بقلبه الحنون، وكان خير مدافع له في بداية الدعوة الإسلامية.

وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾(سورة الضحى /7) ركزت الآية الكريمة على جانب اجتماعي مهم وهو تربية اليتيم، بعد أن أمرت بتهيأة المسكن والرعاية والمساعدة، حثت على تربيتهم والاستفادة من طاقاتهم، و الآية الكريمة تذكر الرسول الكريم الواقع الذي عاش فيه إذ تسوده العقائد الضالة والعادات الجاهلية، لذا ينبغي مراعاة هذا الجانب عند اليتامى وتعليمهم، ورعاية كافة الجوانب العلمية المحيطة بهم.

قال تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (سورة الفجر/17) الإكرام يشمل جميع جوانب العناية باليتيم الاجتماعية والنفسية والمالية والعاطفية والتعليم والتربية، قال محسن قراءتي في تفسير الآية " لا تحكموا على أعمال الله بطريقة خاطئة، لا تظنوا أن قلة الرزق ناشئة عن عدم اكتراث الله بكم؛ لكنه نتيجة لأعمالكم؛ لأنّ الإحسان الى الآخرين له دور مهم في رزق الإنسان"[2].

أما الجانب العاطفي تجاه اليتيم فهو واضح بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (سورة الضحى/9) الخطاب في الآية الكريمة موجه للأمة وتذكير للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) لأهمية هذا الجانب، وفيه تحذير من قهر اليتيم إذ إن " حاجة اليتيم غير منحصرة بالطعام والكساء، بل مراعاة مشاعرهم وأحاسيسهم القلبية هو الأهم، وهو ذو تأثير كبير جداً في بناء مستقبلهم؛ لأن الطفل اليتيم إنسان كغيره يجب

---

[1] تفسيرالنور : قراءتي 10/ 489 .
[2] تفسير النور: قراءتي10/ 448 .

أن يحصل على غذائه اللازم من الناحية العاطفية، فيجب أن يحظى بالحنو والرعاية كما يحظى بذلك أي طفل آخر في حضن أبيه وامه"[1] .

وبذلك نجد اهتمام القرآن الكريم باليتيم من الناحية الاجتماعية ، و تكفله في هذا الجانب ما يحقق له الرعاية والعناية، وقد وصى له بمن يعوضه بالعطف والحنان والتربية الصالحة، ليكون فرداً صالحاً في المجتمع، لا يؤثر عليه فقدان الأب، فاليتيم بحاجة الى المأوى والتربية الصالحة والنفقة، وحاجات الطفل اليتيم ليست فقط مادية فسيولوجية أو اجتماعية، الحاجة الأساسية التي لها التأثير الكبير في إصلاح شخصيته هي الرعاية النفسية، ليتحقق لديه الإتزان العاطفي، فهذا الجانب مهم في تحقيق ذات اليتيم، وتحقيق قدر كبير من الطمأنينة والحب والقبول، فهذه الجوانب يفقدها من فقد والده، والحاجة الى الحنان والمحبة ضرورية في النمو العاطفي عند اليتامى، إذ تمثل غذاء نفسي ووجداني لهم.

المطلب الثاني : العاطفة مع غير المسلمين

ينتظم هذا المبحث في المطالب التالية:

أولا/ أثر المباهلة في العلاقة مع غير المسلمين

إن المجتمع الذي يقوم على أساس الإيمان بالله (ﷻ) وتوحيده تعالى ويطبق تعاليم الشريعة السمحاء، فمن المؤكد أن تكون فيه علاقة المسلم مع غير المسلمين علاقة حسنة وتقوم على أجمل صور العاطفة من الإحسان والإحترام والمودة، التي تعكس كل معاني الإنسانية .

ويصنف غير المسلمين الى أربعة اصناف وهم:

أولاً: أهل الذمة وهم الأقليات الذين يعيشون في الدول الإسلامية وتشملهم قوانينها، والحكومة الإسلامية ملزمة بحفظ أموالهم وأنفسهم، وهؤلاء يدفعون الضرائب التي هي بمقام الجزية.

[1] تفسير الأمثل: الشيرازي 3/ 41 .

ثانياً: المحاربون للمسلمين كإسرائيل وامريكا، فهؤلاء كفرة ونحن غير ملتزمين بأي عواطف تجاههم ولا أي تعهد معهم.

ثالثاً: المعاهدون وهم الشعوب غير المسلمة، إذ نرتبط بعلاقات صداقة بيننا وبينهم معاهدات ومبادلات تجارية، علينا احترامهم وإظهار مشاعر اللطف تجاههم.

رابعاً: المهادنون أي الدول التي لا تربطنا معهم لا معاهدة ولا بيننا وبينهم حرب ولا يزاحموننا في شيء، فهؤلاء يراعى فيهم القيم الإنسانية والأخلاق [1].

فمن المعروف أن الكتاب المجيد انفرد بأسلوبه الرائع في غرس العقيدة الإسلامية في الفرد المسلم، فقد اعتمد العاطفة الى جانب العقل في علاقة المسلمين بغيرهم، ومن هذا القبيل دعوة النصارى الى المباهلة، فالأبناء والنساء غالبا ما تكون العاطفة شديدة تجاههم؛ لذا نجد العاطفة حاضرة في مفاصل هذه المباهلة بدعوة الأبناء والنساء ليكون المباهلين صادقين في دعواهم قال تعالى :﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (سورة آل عمران /61).

قال الطباطبائي عن المباهلة والملاعنة " وإن كانت بحسب الظاهر كالمحاجة بين رسول الله وبين رجال النصارى؛ لكن عممت الدعوة للأبناء والنساء ليكون أدل على اطمئنان الداعي بصدق دعواه، وكونه على الحق لما أودعه الله سبحانه وتعالى في قلب الإنسان من محبتهم والشفقة عليهم، فتراه يقيهم بنفسه ويركب الأهوال والمخاطرات دونهم، ولذلك بعينه يقدم الأبناء على النساء؛ لأنه محبة الإنسان بالنسبة اليهم أشد وأدوم "[2].

وبذلك يشير الى دور العاطفة في هذه المباهلة، وأثر محبة الأبناء في سلوك الإنسان، إذ قدم الرسول (صلى الله عليه وآله) ابنته التي تمثل أعمق انتماء روحي

---

[1] ينظر : نفحات القرآن : ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة سليمان زادة، قم – ايران، ط1، 1426هـ، 10/ 391 .

[2] الميزان : الطباطبائي 3/ 185 .

عند الإنسان في الحياة الخاصة من حيث المحبة والمنزلة، وهي بضعته وروحه، وقدم الإمام علي والحسن والحسين (عليهم السلام) وهم الصورة الصادقة لجميع الكمالات.

وأشار الى ذلك فضل الله " فقل تعالوا يا نصارى نجران هلموا الى موقف آخر نتمثل فيه العمق العميق للرأي القوي والعزيمة الحازمة، ندعوا ابناءنا الذين يجسدون أعمق علاقة حميمة يعيشها الإنسان، بحيث تتصل حياته بامتداد حياتهم وعاطفته بالمعنى العميق لوجودهم، فيتعب ليرتاحوا، ويجوع ليشبعوا، ويظمأ ليرتوا، و يضحي بحياته ليعيشوا بعده، وها أنا أقدم بين يدي المباهلة ولدي الحسن والحسين اللذين يمثلان كل حبي في العاطفة، وكل شعوري في المحبة، وأملي بمستقبل الرسالة، فهما سيدا شباب أهل الجنة، و ريحانتاي في الدنيا "[1].

وبذلك يقدم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) العواطف الأسرية بأرقى صورة وأجملها.

وقال الرازي : " ومعلوم أن شفقة الإنسان على أولاده وأهله شديدة جدا، فربما جعل الإنسان نفسه فداء لهم وجنة، وإذا كان كذلك فهو (صلى الله عليه وآله) أحضر صبيانه ونساءه مع نفسه، وأمرهم بأن يفعلوا مثل ذلك، يكون ذلك أبلغ في الزجر وأقوى في تخويف الخصم، وأدل على وثوقه صلوات الله عليه وعلى آله بأن الحق معه "[2] .

كما أن الإسلام عمد الى مثل هذه الأفكار مع غير المسلمين؛ لأنه يريد لمفاهيمه وأفكاره أن تطبق عملياً وتكون " قوة دافعة لبناء حياة كاملة في إطارها وضمن حدودها، ومن الواضح أن الأفكار والمفاهيم لا تصبح كذلك إلاَّ حين تتخذ أشكالاً عاطفية، حين تخلق الانفعالات التي تناسبها، والعواطف التي تساندها تتخذ هذه العواطف موقفاً ايجابياً في توجه الحياة العملية والسلوك العام، كمفهوم المساواة مثلا

---

[1] من وحي القرآن : فضل الله 6/ 76 .
[2] التفسير الكبير : الرازي 18/ 245 .

الذي هو من أهم المفاهيم التي بشر بها الإسلام، لا يمكن أن يثمر في الحق العملي الثمر المطلوب ما لم ينبثق من هذا المفهوم عاطفة الأخوة العامة، التي عمل الإسلام على إيجادها في نفس المسلم "[1] .

كما يذهب الإسلام أيضاً الى بيان طريقته العامة والتي كانت قائمة على " مزج الفكرة بالعاطفة، جاز للدعوة الإسلامية أن تمزج الفكرة للعاطفة في تبشيرها ووسائلها، وأن تعتبر العواطف الموجودة في المجتمع التي تساعدها على انجاح سياستها، من القوى التي تملكها في سبيل التباشير، ولكن شريطة أن يتوفر على مفاهيم فكرية معينة تتفق ووجهة نظر الإسلام العامة "[2].

أي إن هذه الأفكار كانت أداة ووسيلة لتحقيق أهداف الإسلام في بناء مجتمع متكامل .

لذا " على الداعية أن لا يهمل أي عنصر من عناصر التأثير على الآخرين، في إيصالهم الى الحقيقة، أوفى الايحاء اليهم بالإطمئنان الى قوة هذه الحقيقة، حتى يقف الإنسان في أشد المواقف حراجة في مجالات التحدي "[3].

والإسلام يريد للعواطف التي تستند الى العقل أن تنتشر في المجتمع، بدل العواطف المسندة للأحاسيس؛ لأنها غالبا ما تكون عواطف منخفضة تشكل خطراً كبيراً على المجتمع، الذي ينبغي أن يرتفع مستواه الفكري ويتكامل بميوله ومشاعره إذ " كان بإمكان النبي (صلى الله عليه وآله) الذهاب الى المباهلة بمفرده، ودون حاجة لاصطحاب علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، إلاَّ إن رسول الله الذي أراد من خلال هذه المباهلة تفهيم المسلمين، بأن هؤلاء هم أنصار رسول الله

---

[1] رسالتنا : محمد باقر الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصيصية للشهيد الصدر، قم، ط4، 1429هـ 22.
[2] المصدر نفسه 24 .
[3] من وحي القرآن : فضل الله 6/ 74.

وشركاؤه في الدعوة الى الحق، والهدف الذي ينشده، أنهم مستعدون لمواجهة أي خطر تحت رايته، ويمثلون استمرارا لنهضته ومسيرته"[1].

والعلاقات الاجتماعية في الإسلام تقوم على رؤية واضحة، وهي احترام التعددية الدينية والفكرية، من أجل بناء حضارة انسانية تعمل لصالح البشرية، وتقوم على أسس منها أن سنة الاختلاف من سنن الله (ﷻ) قال تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾(سورة هود/ 118).

وقد أقر القرآن الكريم هذا الاختلاف، وعليه فلا يمكن أن يتفق الجميع في الأفكار والتصورات والعقائد قال تعالى : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾(سورة الممتحنة /٨) بمعنى أن الله (ﷻ) " لا ينهاكم عن أن تحسنوا وتعاملوا بالعدل الذين لم يقاتلونكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم؛ لأن ذلك منكم أقسط والله يحب المقسطين"[2].

وبذلك أسس القرآن الكريم مبدأ التسامح والتعايش مع غير المسلمين، القائم على البر والإحسان، كما أمر الله (ﷻ) بجدالهم بالتي هي أحسن قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أهل الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾(سورة العنكبوت /46) وقال تعالى : ﴿يَا ايهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات /13).

ومما يظهر أن التكريم هنا شامل للمسلم وغير المسلم، والجميع يرزقه الله (ﷻ) من الطيبات والجميع ينعمون بخيرات البر والبحر، وفضل الله تعالى الإنسان على كثير من خلقه فهذه دعوة صريحة من القرآن الكريم لاعتماد العاطفة مع غير المسلمين.

---

[1] تفسير النور : محسن قراءتي 1/ 508 .

[2] الميزان: الطباطبائي 19/ 207.

ويعد القرآن الكريم " خطاب عالمي ليس فقط للمنطقة التي ظهر فيها الإسلام ويتجاوز العرق البشري الذي انتمى إليه نبي الإسلام بالتصريح بكونه رحمة للعالمين وأنه خطاب للناس جميعاً، يبدو ذلك من قوله تعالى يا أيها الناس يا بني آدم الخ"[1].

فضلاً عن ذلك أن منهج القرآن واضح في اسلوب التعامل مع الآخر" وأن تكون البداية مع اللغة المحترمة في دعوة الآخر، وأن يكون الانطلاق من المشتركات عند الطرفين يتعرف كل طرف على ما عند الآخر، بما يخلق الروابط للتقارب ويحقق الاستمرار، وصولاً الى المواضيع المختلف عليها، و كان المنهج القرآني واضحاً للمسلمين أن يكون ذلك بالموعظة الحسنة والبراهين العقلية "[2].

قال تعالى :﴿ قُلْ يَا أهل الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران /64).

قال السبزواري:" الآية تدعو الضمير الإنساني وتخاطبه بخطاب رقيق لطيف، وتدعوه الى الرجوع الى الفطرة والعمل بمقتضاها ونبذ الفرقة والاختلاف، وتطلب منه أن لا يصده عن هذا الهدف السامي اختلاف الأهواء وتشعب الفرق "[3].

وقال السعدي : كان يكتب بهذه الآية الى ملوك أهل الكتاب، وكان يقرأ أحيانا في الركعة الأولى من سنة الفجر قولوا آمنا بالله، لاشتمالها على الدعوة إلى دين واحد قد اتفق عليه الأنبياء والمرسلون، واحتوت على توحيد الآلهة المبني على عبادة الله وحده لا شريك له"[4].

---

[1] الغزو الفكري والتيارات المعادية للاسلام : علي عبد الحميد محمود جامعة الإمام محمد بن سعود ، المملكة العربية السعودية 1981 393 .

[2] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(3) مواهب الرحمن : السبزواري 6/ 35.

([4]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : السعدي 108.

ومن ذلك نفهم أن المنهج القرآني كان واضحاً في افهام المسلمين أن سنة الاختلاف هي إرادة الهية، لذلك عليهم الإيمان بهذا المنهج القرآني الذي جاء به الأمر الإلهي.

فالقرآن يدعو المسلمين الى نشر الدعوة الإسلامية، وإيصال كلمة الحق الى جميع المسلمين ويدعوهم الى إقامة المحبة والدعوة بالحكمة، و يرفض التقليد في العقيدة والإكراه في الاعتناق، ويدعو الى الانفتاح والتفاعل مع الآخر بغض النظر عن العقيدة والجنس واللون واللغة، بعيدا عن الاستعلاء القومي، و محاولة إلغاء الآخر وتجريده من خصوصياته ونهب خيراته، إنما القرآن يأمر المسلمين بالرحمة واخراج الناس من الظلم، وأساس الدعوة لابد أن يكون بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن والاعتماد على البراهين والأدلة العقلية"[1].

وبناء على ذلك فإنّ المنهج القرآني يأمرنا باحترام الآخر، والبحث عن المشتركات التي تجلب المحبة، والابتعاد عن نبذ الآخرين وعدم قبول الآراء المتناقضة.

ثانيا/الاعتراف بحقوق غير المسلمين:

إن الاعتراف بحقوق غير المسلمين يتجلى واضحاً في أهداف الحكومة الإسلامية وقد صرح القرآن الكريم بمقياس الشريعة الإسلامية تجاه غير المسلمين قال تعالى : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(سورة الممتحنة /8) قال الشيرازي في تفسير الآية :" إن الإحسان الى هذه المجموعة وإظهار الحب لهم لا مانع منه، وإذا ما عقد معهم عهد فيجب الوفاء به، وأن يسعى لإقامة علاقات العدل والقسط معهم"[2].

---

(1) المنهج الإسلامي في التعايش السلمي مع غير المسلمين : غازي سعيد سليمان ، مطبعة هيئة إدارة وإستثمار الوقف السني بغداد ، 2009، 73 .

(2) تفسير الأمثل : الشيرازي 14/ 130.

وقال مغنية :" دعا القرآن الكريم الى السلم، ونهى عن القتال وحل المشاكل الدولية وغيرها بالطرق السلمية، بل دعا الى أخوة عالمية تقوم على أساس التعارف والحب والبر والعدل"[1].

الآية الكريمة تبين أن غير المسلمين لهم كل الاحترام والعدل إذا لم يعتدوا على المسلمين، وكذلك يأمر بعدم اخراجهم من ديارهم و مساكنهم و يشملهم الأنصاف والإحسان، وبذلك يسمح لهم الإسلام العيش في المجتمع الإسلامي ولهم كل الحقوق الإنسانية.

ونجد أن القرآن ينهى عن التعامل مع غير المسلمين الذين يتآمرون ضد الإسلام قال تعالى : ﴿إنما يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(سورة الممتحنة/ 9) أي ينهى" عن التحالف مع الأعداء المحاربين، أو إعانتهم بأية صورة ووسيلة، فإنه محرم عليكم أن تتولوهم أو تبروهم، ومن يتولهم يشاركهم في كل ظلم يصل الى المؤمنين من قبلهم، وينالله العذاب من عند الله، ويجب على المؤمنين في الدنيا احتسابه من الجهة المعادية"[2].

وبحسب تصريح القرآن بالآيات السابقة أن الدين الإسلامي يحترم غير المسلمين، ويحمل لهم كل مشاعر المودة واللطف، ويحث المسلمين على احترامهم وحفظ حقهم في الحياة الآمنة، إذا لم يتجاوزوا على الإسلام، وفي حال تعرضهم للمسلمين وتحالفهم مع اعدائه ترتفع عنهم هذه المعاملة ويجوز للمسلمين محاسبتهم وترك مودتهم.

ثالثا/ المعاملة الحسنة والإحسان مع غير المسلمين:

تحث الشريعة الإسلامية المسلمين على الاحسان والمودة مع غيرهم، واحترام عقيدتهم وحسن العشرة معهم قال تعالى : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أهل الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ

(1) التفسير الكاشف : مغنية 7/ 305.
(2) من هدى القرآن : المدرسي 10/ 424.

أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾(سورة العنكبوت/ 46) .

جاء في تفسير الآية " بأنها خطاب من الله تعالى لنبيه وجميع المؤمنين ينهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل معناه: إلاَّ بالجميل من القول في التنبيه على آيات الله وحججه والأحسن الأعلى في الحسن من جهة تقبل العقل له، وقد يكون الأعلى في الحسن من جهة تقبل الطبع له وقد يكون في الأمرين"[1].

وعن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله)" من آذى ذمياً فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة"[2].

وكتب النبي (صلى الله عليه وآله) لأبن حارثة بن علقمة بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي الى الأسقف أبي الحارث و أساقفة نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم أن لهم ما تحت أيديهم من قليل أو كثير من بيعهم وصلواتهم ورهبانيتهم و جوار الله ورسوله لا يعتبر أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كائن من كهانته ولا يعتبر حق من حقوقهم ولا سلطانهم ولا شيء مما كانوا عليه ما نصحوا وصلحوا فيما عليهم غير مقلين بظلم ولا ظالمين وكتب المغيرة "[3].

واضح من كلام الرسول الكريم احترام عقيدتهم والرحمة بهم كما بين المعاملة الحسنة للرسول الكريم مع غير المسلمين وكذلك مما أوصى به الإمام علي (عليه السلام) بقوله " ولا تبيعن للناس في الخراج وهو ما يؤخذ من الضرائب على الأراضي العامة ولا سيف ولا دابة يعتلون عليها ولا عبداً ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم ولا تمسن مال أحد من الناس مصل ولا معاهد"[4].

---

[1] التبيان في تفسير القرآن : الطوسي 8/ 214 .

[2] الجامع الصغير في احاديث النذير البشير: جلال الدين بن أبي بكر السيوطي(ت911هـ)، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط2، 1425 – 2004م، 2/ 158 .

[3] الطبقات الكبرى : محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد ، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1، 1410هـ، - 1990م، 266/1 / البداية والنهاية : ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1407هـ، 5/ 55 .

[4] نهج البلاغة : الشريف الرضي 3/ 442 الكتاب 51 .

وكذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام) لما رأى شيخ كبير من النصارى يطلب المساعدة و يتكفف فقال ما هذا؟ قالوا يا أمير المؤمنين نصراني فقال استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه انفقوا عليه من بيت المال[1].

وكان هذا التعامل مع غير المسلمين هو تعامل جميع المعصومين (عليهم السلام) وقادة المسلمين، ولم يكتفِ الإسلام باحترام حقوقهم وحسن معاملتهم بل احترام حتى أمواتهم.

وبسبب المعاملة الطيبة التي تعكس عاطفة المسلمين تجاه غيرهم، نجد أن أهل الكتاب مثلا كانوا يستقبلون الفاتحين لبلادهم من المسلمين بشوق كبير، عند وصول جيش المسلمين الى الأردن بقيادة أبي عبيدة الجراح كتبوا له كتابا" أنتم أيها المسلمون أحب إلينا من الروم وأن كانوا معنا على دين واحد؛ لكنكم أوفى لنا وأرأف وأعدل وأبر، انهم حكمونا وسلبوا منا بيوتنا وأموالنا"[2].

وقال السير توماس أيضاً عن احسان المسلمين مع غيرهم " أما ولايات الدولة البيزنطينية التي سرعان ما استولى عليها المسلمون ببسالتهم، فقد وجدت إنها تنعم بحالة من التسامح لم تعرفها طوال قرون كثيرة بسبب ما شاع بينهم من الآراء اليعقوبية والنسطورية المتضاربة في ما بينها، فقد سمح الإسلام لهم أن يؤدوا شعائر دينهم دون أن يتعرض لهم أحد، اللهم إلاَّ إذا استثنينا بعض القيود، والتي فرضت عليهم منعاً لأثارة أي احتكاك بين اتباع الديانات المتنافسة" [3].

لذا نجد على مر التاريخ من المعاملة الطيبة لغير المسلمين بأن يجدوا في كنفهم الأمن والاطمئنان، بل نذكر الكثير من الشواهد التاريخية بأنّه بعض النصارى الذين تطاردهم الكنيسة يلجؤون الى بلاد المسلمين لطلب الحماية والحرية والأمن.

رابعا/ ضمان حياة غير المسلمين:

---

[1] وسائل الشيعة : العاملي 15/ 66 .

[2] الدعوة الى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية : سير توماس ارنولد، ترجمة: حسين ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1971م، 53 .

[3] الدعوة الى الإسلام: سير توماس ارنولد 56.

من المؤكد أنه لا يمكن إيجاد دين أو شريعة في العالم تضمن حقوق غير المسلمين وتحترم شأنهم كالدين الإسلامي، وعلى رأسها حقهم في الحياة وحفظ شرفهم وجميع الحقوق المادية والمعنوية، فالإسلام وحده يضمن العدالة في المجتمع المسلم وغير المسلم، مهما كان مذهبه ولغته ولونه وينفرد بذلك عن غيره، لذا نجد عدله في حفظ نفوسهم واموالهم وتوفير العمل لهم في مقابل شروط منها:

" ان لا يفعلوا ما ينافي الأمان مثل العزم على حرب المسلمين، أو إمداد المشركين والتواطؤ معهم ضد مصالح الإسلام والمسلمين، أن يلتزموا بأن تجري عليهم أحكام المسلمين بمعنى وجوب قبولهم لما يحكم به المسلمون، من أداء حق أو ترك محرم، و المراد من الأحكام هي الأحكام الاجتماعية و الجزائية كجلدهم إذا زنوا وقطع أيديهم إذا سرقوا، وما شابه والقبول بدفع الجزية "[1].

وبذلك بجوز بناءً على هذا العقد لغير المسلمين سواء من أهل الكتاب أو غيرهم العيش في أرض الإسلام عيش حر كريم، يكون لهم حقوق المسلمين من الأمن والحماية وكافة الحقوق الاجتماعية.

ويحترم الدين الإسلامي دماءهم واعراضهم كالمسلمين، وأن التاريخ المشرف للدين الإسلامي يبين علاقات المسلمين مع غيرهم من الشعوب الأخرى، والتي يكون أساسها السلام والمحبة والتسامح واللطف والأخلاق الإنسانية، لذلك فهم يعيشون مع المسلمين، و لهم مطلق الحرية وهم قد اعترفوا بفضل الإسلام والمسلمين و حسن معاملتهم اذ قال روبر سوت : " إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الجهاد و التسامح نحو اتباع الأديان الأخرى، الذين غلبوهم وتركوهم أحرارا في إقامة شعائرهم الدينية"[2] .

---

[1] جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام : محمد حسن النجفي ،تحقيق: عباس القوجاني، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط7، 1981م، 21/ 271 .

[2] روح الدين الإسلامي: روبر سوت 411.

وللإسلام صورة عاطفية جميلة مع غير المسلمين بعد أن فرض عليهم الجزية وهي بمثابة الضريبة عند المسلمين، فهي تأخذ منهم بقدر طاقتهم والمجنون معفي من الجزية.

عن الإمام الصادق (عليه السلام) " جرت السنة لا يأخذ الجزية من المعتوه ولا المغلوب على عقله"[1] .

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) في اجابته لسائل قال : " ذلك إلى الإمام يأخذ من كل انسان منهم ما شاء على قدر ماله وما يطيق"[2].

وكذلك يضع الإمام الجزية على الرؤوس دون الأرض، أو بالعكس في حين ضرائب المسلمين على الأموال الخاصة، و يدل ذلك على التسامح والعطف والعدالة التي يتعامل بها الدين الإسلامي مع غير المسلمين.

عن محمد بن مسلم قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن أهل الذمة ماذا عليهم ما يحقنون به دماءهم وأموالهم؟ قال الخراج وأن أخذ من رؤوسهم الجزية فلا سبيل على أرضهم وأن أخذ من أرضهم فلا سبيل على رؤوسهم " [3].

كما أن الجزية ليست شاقة عليهم ولا تقدير خاص لها، بل يترك أمرها للحاكم يحددها بحسب المصلحة، وفي المقابل تقدم لهم كافة الحقوق والخدمات.

وفي عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) الى مالك الاشتراك" واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم والطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق"[4].

---

[1] وسائل الشيعة : العاملي 11/ 10 .
[2] المصدر نفسه 11/ 114 .
[3] المصدر نفسه 11/ 116 .
[4] نهج البلاغة : الشريف الرضي 3/ 444 الكتاب 53 .

وعليه يتبين مدى حرص الإسلام على أن تكون علاقة المسلمين بغيرهم من غير المعادين للإسلام علاقة طيبة، مليئة بالعواطف السامية والمشاعر النبيلة التي تعكس الصورة الجميلة والمشرقة لمبادئه وأفكاره .

المطلب الثالث / العاطفة في العلاقة الزوجية:

يقسم هذا المطلب على المحاور الآتية:

أولا : عناية الله (ﷻ) بالعلاقة الزوجية

اعتنى القرآن الكريم بالعلاقة الزوجية عناية كبيرة؛ ولأنها روح الحياة فقد ميزها بالاهتمام عن العلاقات الاجتماعية الأخرى، و المتدبر في الآيات والسور الكريمة يجد أن الخالق (ﷻ) تناول جميع مراحل هذه العلاقة بالصورة المفيدة للمجتمع المسلم، ولم يترك مجالاً إلاَّ وقد أوضحه وكانت العاطفة حاضرة في كل مرحلة بدءاً من الخطبة بشكلها اللطيف الودود قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾(سورة البقرة /235) .

قال السيد الطباطبائي في تفسير الآية: " التعريض هو الميل بالكلام الى جانب، ليفهم المخاطب أمراً مقصوداً للمتكلم لا يريد التصريح به من الغرض بمعنى الجانب هو خلاف التصريح والكناية ان للكلام الذي فيه التعريض معنى مقصودا كقول الخاطب للمرأة إني حسن المعاشرة وأحب النساء أي لو تزوجتي بي سعدت بطيب العيش وصرت محبوبة "[1].

وقال الزمخشري في تفسير الآية" هو أن يقول لها انك جميلة أو صالحة أو نافقة ومن غرضي أن أتزوج، وعسى الله أن ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام

[1] الميزان : الطباطبائي 2/ 206 .

الموهم أنه يريد نكاحها، حتى تحبس نفسها عليه أن رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول إني أريد أن أنكحك أو أتزوجك أو أخطبك"[1] .

يظهر من كلام الزمخشري أن التعريض هو ضد الإعلان والتصريح، وأن يقول كلام جميل للفتاة لاستمالة قلبها وإثارة عواطفها، ولم يتوقف الكتاب المجيد عند هذا الحد وإنما أشار الى جوانب مهمة أخرى كثيرة، فقد تحدث عن الأساس الذي تبنى عليه العلاقة الزوجية والحياة في كل أسرة إلاَّ وهي وشيجة الرضا التي يرضى من خلالها الزوجان بالاقتران الدائم ويتم العهد بينهما على إداء حقوق أحدهما للآخر

لذا فقد أسماها الله (ﷻ) ميثاقاً غليظاً قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (سورة النساء / 21) جاء في تفسير الآية أن الله (ﷻ) " حدد عقد الزواج بألفاظ ذكرها في كتابه العزيز، وأوجب الوقوف عندها والتعبد بها تماما كألفاظ العبادة وأضفى على عقد الزواج من القداسة ما أبعده عن كل العقود كعقد البيع والإجارة؛ لأن البيع مبادلة مال بمال أما الزواج فمبادلة روح بروح وعقده عقد رحمة ومودة لا عقد تمليك للجسم بدلا من المال"[2].

والميثاق يشير الى قوة العلاقة والرابطة بين الزوج والزوجة، و هذا الميثاق والعهد يتناسب مع الفطرة التي فطر الله سبحانه الناس عليها، والى ذلك أشارت الآية الكريمة قال تعالى : ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(سورة الروم /21) نجد في الآية السابقة أن القرآن الكريم عبر عن مراحل الحياة الزوجية بأسلوب خاص وطابع رفيع وألفاظ مميزة للفت انتباه القارئ لأهمية هذه الرابطة.

ولأن المقومات واحدة والطبائع واحدة فلا فوارق في الصفات، فيجد كل منهم الراحة والسكن والاطمئنان والاستقرار في ظل الآخر، والمودة والرحمة فهي المهاد و المأوى الذي تنشأ فيه الأسرة، وفي الحنان والعطف تتربى الأبناء والى قوة هذه

---

[1] الكشاف : الزمخشري 1/ 458

[2] الكاشف : مغنية 2/ 282 .

العلاقة أشار سيد قطب " الزواج أعمق وأقوى وأدوم رابطة تصل اثنين من بني الإنسان وتشمل أوسع الاستجابات التي تبادلها فردان، فلا بد من توحد القلوب والتقائها في عقدة لا تحل ولكي تتوحد القلوب لابد أن تتوحد ما تنعقد عليه"[1].

وفي ظلال تلك الرابطة تنعقد النفوس على المودة والتعاطف والتودد، وفي ظلالها تتربى الطفولة " في أجواء الهدوء النفسي والطمأنينة الروحية والاستقرار الغريزي والهدوء العاطفي في طبيعة التكامل الإنساني في علاقة الرجل مع المرأة فيما يحس به كل واحد منهما أن الآخر جزء من ذاته وقطعة من نفسه، بحيث يعيش في فراغ شعوري هائل عندما يشعر بالابتعاد عنه والحرمان منه، وذلك من خلال طبيعة الانجذاب الذاتي الذي يتحرك في كيان الأسرة من خلال الفطرة التي فطر الله الناس عليها"[2].

يبدو أن الأمر لا يقتصر على الجوانب الجسدية بل يتعدى ليشمل الروحية والنفسية في أحاسيس الإنسان، وبذلك يكون السكن تعبير حي ومتجدد بعيد عن العزلة والوحدة الى شعور الأنس والاطمئنان.

وتشير الآية الى كيفية ارتباط المرأة بالرجل والسكن إليه والسكن إليها " هذه الثقة وهذا الشعور الفطري الذي أودع في المرأة وجعلها تحس بصلة لم تعهدها من قبل لا تجد مثلها لدى أحد من الأهل، وبها تعتد إنها بالزواج مقبلة على سعادة ليس وراءها في الحياة، هذا هو المركوز في أعماق النفوس وهذا هو الميثاق الغليظ فما قيمة من لا يفي بهذا الميثاق وماهي مكانته من الإنسانية "[3].

وكما ذكر الزمخشري تفسير جميل للآية الكريمة ويوجهه نحو الحفاظ على هذه الرابطة بقوله" الميثاق الغليظ حق الصحبة كأنه قيل : وأخذن به منكم ميثاقا غليظا

---

[1] في ظلال القرآن : سيد قطب 1/ 239 .
[2] من وحي القرآن : فضل الله 19 / 14 -15 .
[3] تفسير المراغي : المراغي 2/ 180 .

أي بإفضاء بعضهم الى بعض ووصفه لقوته وعظمته فقالوا : صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج"[1].

وقال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (سورة البقرة/187) لابد من الوقوف عند جمال هذه الآية الكريمة، إذ صور القرآن الكريم العلاقة الزوجية بهذا التعبير الرائع كما أن اللباس يستر الإنسان ويقيه الحر والبرد والأذى، كذلك الآصرة الزوجية تحفظ الإنسان وتصونه في جو من المودة والرحمة والاطمئنان والعطف وفي هذه الأجواء يجد الإنسان سكونه واستقراره فيركن الى ما فيه الوئام[2].

وتشعر المرأة بالأمن في هذه الحياة وأنها تجد من يقف بجانبها ويحميها، ويكون البيت والأسرة محور نشاط الرجل وسعيه، وهو الملجأ الذي تأوي اليه، فهذه العلاقة تشبه اللباس بالنسبة للإنسان من حيث الستر وجمال المظهر والوقاية من المفاسد فكما أن اللباس يلصق بالإنسان كذلك الآصرة الزوجية ملتصقه به نفسياً وعملياً.

وقد بينت آيات القرآن الكريم الحقوق المترتبة على هذا العهد، والواجبات لكل الطرفين قال تعالى : ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة البقرة/228).

فللزوجة حق على زوجها من الحقوق " بالمعروف شرعا من حسن العشرة وترك الأضرار، ونحو ذلك للرجال عليهن فضيلة من الحق من وجوب طاعتهن لهم لما ساقوه من المهر والإنفاق"[3].

---

[1] الكشاف : الزمخشري 2/ 47 .

[2] ينظر: الميزان : الطباطبائي 1/ 38.

[3] تفسير الجلالين : محمد بن أحمد بن محمد المحلي وجلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تصنيف : محمد عبد الوهاب التميمي ، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، السعودية، بلا طبعة، 1419هـ - 1998م.

فمن واجبات المرأة انجاب الأبناء وتربيتهم، كونها حساسة وتتمتع بمقدار أوفر من العواطف والمشاعر والأحاسيس، أما الرجل فقد انيطت به مسؤولية الواجبات الاجتماعية التي تستلزم قوة الفكر والابتعاد عن العواطف والأحاسيس الشخصية أكثر[1].

كما يوضح حقيقة الدرجة والزيادة المذكورة في الآية الكريمة التكليف الذي أعطي للرجل قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (سورة النساء /34) " الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية، وسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة الأعمال والطاعات، وبما انفقوا من أموالهم كالمهر والنفقة "[2].

والأسرة كونها وحدة اجتماعية مصغرة فلابد لها من قائد يدبر أمورها، وشرع القرآن الكريم بإعطاء القيادة للرجل" ولكن ليس المقصود هو الاستبداد والإجحاف ولكن المقصود أن تكون القيادة منظمة وموحدة، وتعطى هذه المكانة للرجل لكونه يتمتع بخصوصيات معينة مثل القدرة على ترجيح جانب العقل على جانب العاطفة والمشاعر، على العكس من المرأة التي تتمتع بطاقة فياضة وطاغية من الأحاسيس والعواطف"[3].

وقد وضح القرآن الكريم الأساس من المحافظة على هذه العلاقة المقدسة، فقد أمر الزوج بحسن المعاشرة، وأمر الزوجة بإرضاء الزوج والعناية البالغة بالأولاد حتى تكون عاطفة الأمومة الحجر الدافئ للتربية قال تعالى:﴿ والوالدات يرضعن أولاَدهن﴾ (سورة البقرة /233) .

---

(1) ينظر: الأمثل : الشيرازي 2/ 8.
(2) الصافي: الكاشاني 2/ 232 .
(3) تفسير الأمثل : الشيرازي 3/ 119 .

ويعد الزواج الحصن المنيع والكهف الذي يجد فيه الإنسان الراحة النفسية ولذته الغريزية، إذ فيه السكون والاطمئنان، ويشعر كل من الزوجين بوجود ما يعينه على المشاكل في الحياة، ويشاركه همومها ويشكو له آلامه وآماله، وهذه العلاقة لا تشبهها علاقة أخرى في الحياة، فكما إن الإنسان في بيته يشعر بالأمان، الرابطة الزوجية أيضاً ينبغي أن يتوفر فيها عنصر الأمن والمودة والرحمة والعطف والشفقة.

وقد تابع القرآن الكريم جميع المراحل في العلاقة الزوجية، ففي حال اضطراب الوداد بينهما، واختلاف وجهات النظر والآراء فقد أرشدهم الى الإصلاح، وإذا ما تعثر الإصلاح وصارت الأمور الى الفرقة وضاقت الصدور عرض حكما من أهله وحكما من أهلها قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أهلهِ وَحَكَمًا مِنْ أهلهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (سورة النساء/ 35).وتعد " محكمة الصلح العائلية التي أشارت إليها الآية الحاضرة هي إحدى مبتكرات الإسلام العظيمة، فإن هذه المحكمة تمتاز بمميزات من جملتها أن البيئة العائلية بيئة عاطفية، لذا يجب أن يختلف المقياس المتبع، كما لا يمكن العمل في المحاكم بمقياس المحبة والعاطفة، فإنه يجب حل الخلافات العائلية بالطرق العاطفية حد الإمكان ولهذا يأمر القرآن أن يكون الحكمان ممن تربطهم بالزوجين رابطة القرابة، لتحريك المشاعر والعواطف باتجاه الإصلاح بين الزوجين"[1].

وسبب كون الحكمين من الأهل لقربهم من الزوجين، ويتمكن لهم دراسة سر الخلاف والوقوف على علائم الشقاق المستمر بينهما بكل عناية وتجرد، ليعود الصلح والوئام بتوفيق من الله العليم[2] .

ولإرجاع المودة والألفة وإذا لم تجدِ كل هذه الإرشادات فقد شرع الله (ﷻ) الطلاق إذ أصبحت تلك الحياة سقيمة، و تستمر الرحمة الإلهية للإحاطة بالحياة الزوجية تذكر ما يترتب على الفراق من حقوق وواجبات .

---

[1] تفسير الأمثل : الشيرازي 3/ 123 .

[2] ينظر: المختصر المفيد في تفسير القرآن المجيد: محمد علي التسخيري ومحمد سعيد النعماني بلا طبعة، بلا تاريخ 84.

وهكذا أوضح القرآن الكريم كل مفاصل الحياة الزوجية لإيجاد السعادة والحياة الأسرية الآمنة.

ثانيا/مظاهر العاطفة في الرابطة الزوجية:

العاطفة في الحياة الزوجية تتمثل في الحب والمودة والانجذاب بين الزوجين، فهي شعور وإحساس داخلي ينتج مما يتميز به الطرف الآخر من خلق حسن ووصف جميل وطبع وذوق، بالإضافة الى الميل للنواحي الجمالية وقوامة الشريك، ونعرض في هذا المطلب أهم مظاهر العاطفة بين الزوجين :

أولاً : الحب

كلمة تشمل كل معاني العواطف السامية كالميل والانجذاب والاهتمام واللطف وهي أكبر دليل على نجاح هذه العلاقة، وفي ظلال الحب الطاهر تسلك الحياة الزوجية طريقها الى الاستقرار، وفيه يكمن سر المودة الزوجية واستمرارها يعتمد على حب الزوجين أحدهما للآخر.

فالزوج متى ما أحب زوجته أدى حقوقها وتفانى في كل شيء لإسعادها ورضاها فالكلمة الطيبة والابتسامة والنظرة اللطيفة والمودة والرحمة والرفق والتعاطف والتسامح كلها ثمرة للحب الصادق بين الزوجين، وتزداد كلما كان الحب حقيقي وصادق والى ذلك أشار صاحب تفسير النور " المحبة هدية إلهية لا يصل إليها الإنسان بالمال والجاه أي جعلها هدية للزوجين والمودة والرحمة يثمران متى ما كان معاً، المودة بلا رحمة توجب البرودة والرحمة بلا مودة لا دوام لها"[1].

والحب من الظواهر الإنسانية التي تتجدد وتتغير في الإنسان لذاته، وإن العلاقة الزوجية هي تربة خصبة للحب و كما وصفها القرآن الكريم الميثاق الغليظ هي مقر سكينة القلوب ومودتها.

ثانياً : أسلوب التعبير

---

[1] تفسير النور: قراءتي 7/ 163 .

لما كان الحب جوهر الحياة الزوجية فالتعبير بالألفاظ الجميلة والاقوال اللطيفة هو ضمان تلاقي العواطف، وتحقيق التواصل العاطفي بين الزوجين، فعلى الزوج اختيار عبارات رقيقة للتعبير عن حبه لزوجته وإحساسه ليصل الى أعماق قلبها.

فعندما يتقن الزوج مهارة التعبير ويبين حبه لزوجته بعبارات عذبة في الوقت المناسب سوف يؤثر في قلبها، لأن طبيعة النفس الإنسانية تحب الكلمة الطيبة والزوجة تحب سماع ذلك من زوجها وأن يبدي لها عواطفه.

ثالثاً: العدل

في حال وجود أكثر من زوجة والرجل مكلف بالعدل بين زوجاته من حيث الإنفاق، وغير مكلف بالعدل في مسألة المودة والميل القلبي والحب ومختلف الأحاسيس العاطفية، لأنه تعالى لا يكلف الإنسان فوق طاقته، نلحظ أن القرآن الكريم يحدد العاطفة وينظمها بقوله تعالى﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(سورة النساء/ 129) أي بمعنى" لا تعرضوا كل الإعراض عن المرغوب عنها، وغير المحبوبة لديكم فتتركوها غير مستقرة ولا ثابتة ولا مطمئنة، فهي لا تعامل معاملة الزوجة من المودة والعطف والرحمة، وليست غريبة أجنبية حتى تبحث عن مصيرها وما يسعدها في مستقبلها"[1].

ومن وسائل التعبير الهدية فهي رمز للمودة والاهتمام وجبر الخواطر فلها وقع مهم في نفس الزوجة، فهي تلفت قلبها حتى وإن كانت بسيطة، فهي من وسائل التعبير اللطيفة عن أحوال مِنْهَا الانسجام العاطفي بين الزوجين.

ثالثاً: المعاشرة بالمعروف

تختصر هذه العبارة كل ما تحتاجه العلاقة الزوجية من التعامل الحسن والاحترام والعدل والاحسان وجميع الحقوق المادية والمعنوية، وقد صرح بها القرآن الكريم ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ

(1) الواضح في التفسير: الموسوي 325/4.

فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(سورة النساء /19)في المعاشرة بالمعروف جانب مهم في الروابط الزوجية العاطفية؛ لأنها علاقة راقية قائمة على الحب والتسامح .

وللمحافظة على هذه الرابطة المهمة نجد القرآن الكريم ينظم العاطفة ويوجهها إذا ما تعرضت هذه العلاقة للتفكك والزوال بقوله تعالى ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(سورة النساء/19) بمعنى عدم الاستعجال بالانفصال والصبر والمداراة واحسان الأزواج الى بعضهم، لتكون العاطفة أداة مهمة لحماية الأسرة.

وفي القرآن الكريم الكثير من الوقفات التي يعرض فيها العلاقة الزوجية، ويؤكد على المعروف والمعاملة الحسنة قال تعالى : ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾(سورة البقرة/ ٢٢٩) وقال تعالى : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(سورة البقرة /٢٢٨) تبين الآيات الكريمة أن العلاقة بين الزوجين أما أن تقوم على المعروف وإلاَّ فتسريح بإحسان.

ويرى فضل الله الى أن المعروف في الآية الكريمة ما هو إلاَّ العاطفة المتمثلة بالمودة والرحمة والاحترام فقال " المعاشرة بالمعروف تتمثل في احترام المرأة في مشاعرها وعواطفها و شخصيتها المستقلة كإنسانة محترمة في إرادتها وتفكيرها في ما اختصره القرآن الكريم من كلمتي المودة والرحمة اللتين توحيان بالعاطفة الروحية العميقة والاحترام المتبادل، وهذا ما يحفظ للحياة الزوجية انسيابيتها وحيويتها"[1].

وتأسيساً على ما تقدم فإن المطلوب من الرجل أن يعامل زوجته معاملة طيبة ملؤها مشاعر الحب والعواطف الجميلة؛ لأن الزوجة هي الأقرب للزوج ضمن إطار الأسرة، وعندما تكون علاقته بها علاقة طيبة، يكون هناك انسجام وسعادة وفاعلية أكثر، فعليه ينبغي على الزوجين أن يعاشر كل منهما الآخر بالمعروف، وترك جميع المنفرات لتحقق المودة والرحمة والتسامح والعفو، والأمر للرجال والنساء على حد سواء، وهذا كله يقع ضمن المفهوم العام للعواطف.

---

[1] من وحي القرآن : فضل الله 7/ 163 .

ثالثا/ صور من الروابط الزوجية في القرآن الكريم:

طرح القرآن الكريم نماذج مختلفة عن الروابط الزوجية ونذكر منها الآتي:

أولا : زوجة موسى (عليه السلام)

قال تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾(سورة القصص/ 29) لقد أفاء الله (عز وجل) بلطفه على موسى (عليه السلام) منذ صغره في المهد الى ذهابه الى مدين، الى أن عاد الى مصر بصحبة زوجته بنت شعيب (عليه السلام) لينال وسام الرسالة في طريقه.

وقد وردت سيرة موسى (عليه السلام) وزوجه في آيات عدّة من القرآن الكريم، وعرف منها حياء هذه السيدة الجليلة وبرها لوالدها.

كما فصّل القرآن الكريم في آياته الكريمة، كيفية ولادة النبي موسى (عليه السلام) فقد شاء (عز وجل) أن يولد الغلام وينشأ ويتربى في قصر فرعون، الذي عمد الى قتل كل مولود ليكون للعواطف دور كبير في حياته، بدءا من عاطفة إمه مرورا بعاطفة أخته وزوجة فرعون، حتى زواجه من بنت شعيب.

وبعد أن تبنت آسيا بنت مزاحم الولد، على مرأى ومسمع من زوجها، واحتضنته بعاطفتها، وبذلت جهدها في تربيته حتى بلغ أشده، وعناية الله (عز وجل) تحيطه من كل جانب، وحتى حدث ما لم يكن في الحسبان قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(سورة القصص/21) وصار موسى (عليه السلام) خائفا يترقب بالمدينة، بعد قتله القبطي الذي أراد إبعاده؛ لكن مات بوكزة موسى (عليه السلام) مما تسبب بحزنه، وبات يطلب المغفرة من الله (عز وجل) فاستجاب له فغفر له وهو الغفور الرحيم[1].

[1] ينظر : تقريب القرآن الى الأذهان : الشيرازي 4/ 141.

قال تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(سورة القصص / 16).

فموسى (عليه السلام) كان في فعله قاصدا نجاة مؤمن؛ ولكن القتل صدر منه خطأ، وهذا جعله يعاني المتاعب والمصاعب[1].

وتستمر العناية الإلهية تحيط بموسى (عليه السلام) إذ أرسل إليه الله ﷻ برجل يخبره بما يدبر فرعون لقتله، وأخبره بأن يخرج من مصر فبادر مسرعاً موجهاً وجهه صوب مدين وهو يقول: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (سورة القصص/22) وبعد وصوله الى مدين جلس يستريح عند البئر الذي يسقي منه الناس أنعامهم، فوجد امرأتين تحبسان غنمهما عن الماء لئلا تختلط بغنم القوم ثم عندما ينتهون من السقاية تسقيان، كانتا تكرهان مخالطة الناس، ولما رآهما موسى (عليه السلام) شعر أنهم بحاجة الى المساعدة [2] لتتحرك الرحمة في قلبه ليبادر سؤالهم ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾(سورة القصص /23).

فأجابتاه أنهما لا يستطيعان مزاحمة الرجال حذرا من المخالطة، وبعدها جرت محاورة بين موسى (عليه السلام) والفتاتين، قدم لهم المساعدة وذهب الى ظل الشجرة، وجلس تحتها وشكرت المرأتان موسى (عليه السلام) وعادتا الى والدهم واخبرتاه بما فعله من السقاية فقال لها أبوها، اذهبي إليه وقولي إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا، فأسرعت له ﴿فجاءته احداهما تمشي على استحياء﴾ (سورة القصص/25) فقد وصف القرآن الكريم هذه المرأة بالحياء وأجمل صفة للمرأة فذهبت إليه وأبلغته رسالة أبيها[3] وتبين الآية " موقع الحياء في الدين؛ لأنه أريد مدحها "[4].

---

[1] ينظر: تفسير النور : قراءتي 7/ 23.
[2] ينظر : تفسير الأمثل : الشيرازي 9/ 558.
[3] ينظر : مقتنيات الدرر: الحائري 8/ 164_ 165.
[4] تفسير الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة: يوسف بن أحمد بن عثمان الشهير بالفقيه يوسف، مكتبة التراث الإسلامي، صعدة، اليمن، ط1، 1423هـ- 2002م، 4/ 528.

يبدو من الآيات السابقة أنها كانت موجزة في كلامها، تمتعت بكل مظاهر العفة نقلت رسالة أبيها بكل وضوح من غير تبرج ولا تبذل، وكانت أمينة في إداء ما عليها تحدثت بالقدر المطلوب، ودلت بذلك على تربيتها وأدبها وعفتها، ومثل هذه الصفات ينبغي ان تكون في كل امرأة مسلمة تطلب رضا الله (ﷻ).

وبذلك كانت زوجة نبي فأجاب موسى (عليه السلام) دعوة الرجل، ووجد في بيته كل التكريم والسكينة والاطمئنان فاستأجره شعيب (عليه السلام) ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾(سورة القصص /26).

وجد موسى (عليه السلام) في طلب الرجل ما تبتغيه نفسه، وطلب الزواج من ابنته فوافق شعيب (عليه السلام) بشرط أن يبقى معهم مدة معينة فوافق على ذلك، وعاش موسى (عليه السلام) في كنف هذه الأسرة أعواماً عشرة، وكان قوياً مخلصاً أميناً قضى موسى الأجل المتفق عليه بينه وبين شعيب (عليه السلام) وتم الزواج المبارك، وصارت حياة هذه الفتاة مرتبطة بهذا الفتى القوي الأمين[1].

وبعدها تحرك حنين موسى (عليه السلام) نحو وطنه مصر، واشتاق الى أمه وأخيه هارون، وبين ذلك لزوجته فأخبرته إنها مستعدة للسفر معه، إذ تربطها به عاطفة صادقة، وخرجت هذه الأسرة المباركة، متوجهة الى مصر وسار موسى بأهله، وفي طريقه في ليلة ممطرة وباردة توقف موسى (عليه السلام) وأخذ ينظر فآنس نارا [2] قال تعالى :﴿ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ (سورة طه 10)في تلك الليلة جاء النداء الإلهي ليكون موسى (عليه السلام) كليم الله ﷻ قال تعالى : ﴿كانت إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾(سورة طه/12) هذه الأحداث سبباً أن يلتقي موسى بهذه المرأة الصالحة، وفي مصر عاشت حياتها مع موسى وكانت خير أم وخير زوجة لنبي من أولي العزم، فكانت له خير عون على اداء رسالته تقف الى جانبه وتبعث فيه العزم .

---

[1] ينظر : مقتنيات الدرر: الحائري 8/ 167.

[2] ينظر: الواضح في التفسير : الموسوي 204/10.

إن المتدبر لحياة موسى (عليه السلام) يستنتج حسن تعامل الزوج مع زوجته، فهو لم يتجاهل وجود زوجته، بل بين لها ما يريد أن يفعل وسبب توجهه نحو النار، وما هذا إلا انعكاس للعاطفة الجميلة من الزوج لزوجته.

وكذلك علل فعله حيث أمرهم بالبقاء والانتظار، وذلك لأنه قد رأى نارا فذهب ليجلب لهم شيء منها للدفء والضوء.

نجد مشاعر الحنان والشفقة على الزوجة، وهو يسير في طريق طويل وليل شتاء مظلم، وقد ظل الطريق، مجرد أن رأى النار توجه إليها فورا لعله يأتي بشيء يصيبهم به في طريق العودة.

تبدو مشاعر الحرص و الخوف على الزوجة والرحمة بها، فهو لم يصحبها معه عندما توجه الى النار وهو لا يعلم ماذا ينتظره عندها.

طاعة الزوجة والبقاء حيث أمر الزوج، وعدم اصرارها على الذهاب معه خاصة وهو قد طمئن أهله واخبرهم بما يريد أن يفعل، إذا كان الموقف يستدعي ذلك كما حصل مع موسى.

من الحوار الذي دار بين موسى (عليه السلام) وأهله يظهر حسن التعامل مع الآخر، سواء كانت زوجة أو أولاًد بما يريد أن يفعل للإطمئنان، وبذلك يدل على رحمته بهم وحرصه عليهم، وما هذا إلاَّ صورة جميلة من صور العاطفة تجاه الأهل والزوجة.

في هذا المشهد يصور القرآن الكريم العاطفة الزوجية والمودة بين الزوجين موسى (عليه السلام) وزوجته، وتكرار هذا المشهد مرتين إشادة بدور موسى في خدمة أهله وعنايته بزوجته الصالحة، من هذا الخطاب القرآني ندرك عناية موسى (عليه السلام) بأهله وعاطفته الأسرية تجاههم.

ثانيا: زوجة ايوب (عليه السلام)

اشتهر نبي الله أيوب (عليه السلام) بالصبر، وصار مضرباً للمثل، وقصته يرتوي منها أهل النوائب والمصائب، وفي آيات القرآن الكريم شهادات تثني عليه قال تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾(سورة ص /44).

ومما لا ريب فيه أن أنبياء الله (عز وجل) يقضون معظم حياتهم صابرين محسنين والصبر ملازم لهم في المحن التي يبتليهم بها الله (عز وجل)، وهكذا عاش النبي أيوب (عليه السلام) في ظلال الصبر، و كان يشعر بالسعادة في نفسه، وزوجته كانت معه في هذه المحنة صابرة مؤمنة موحدة لله (عز وجل) " على الرغم من كثر المصائب والابتلاءات قد تبدو كضرر في الظاهر، فإنها في الباطن و في أكثر المواقع تعد لطفاً خفياً ورحمة من الله"[1].

كانت حياة هذه المرأة عظيمة وكانت لأيوب الركن الحصين، هذه الزوجة الصالحة نموذج سامي وإسوة حسنة لجميع الزوجات، لنقف اليوم على فضلها و حسن عشرتها للنبي الصابر، لعل نساء هذا الزمن ينتهجن نهجها خاصة إذا أصيب الزوج بضائقة ونائبة " كانت زوجة نبي الله أيوب واحدة من نساء الدنيا فضلا وكرماً وصبرا، آمنت بدعوة أيوب وصدقته في حين لم يستجب له أحد سوى ثلاثة من الناس"[2] .

كان النبي أيوب (عليه السلام) قد آتاه الله النبوة والثروة والمال والأولاد، والحديث عن زوجته فهو مما يفرح النفس بهذه المرأة الصالحة، التي كانت مجمعاً للفضائل تشد عضد زوجها في الشدة والرخاء، والعاطفة الصادقة من الحب والطاعة والإحسان للزوج فكيف وهي من سلالة الأنبياء، وذكرت كتب التفسير الحياة الزوجية للسيدة الصابرة وتحمل في سيرتها صوراً جميلة عنوانها التضحية والصبر، وتذكر حياتها العظيمة مع زوجها حين تخلى عنه الغريب والبعيد سواها، فقد حفظت وده وعشرته

---

[1] تفسير النور : محسن قراءتي 5/ 446 .
[2] تفسير البغوي : البغوي 7/ 96.

لإيمانها بالله (ﷻ) ورسوله، فلازمته ملازمة الظل ولم تفارقه وقامت على خدمته بلا ضجر ولا ملل مدة ابتلائه[1].

يذكر أن النبي أيوب (عليه السلام) صاحب ثروة عظيمة وأكرمه الله (ﷻ) بسائر النعم، وكان شاكراً لله تعالى، رحيما بالناس عطوفاً بالمحتاجين كافلاً للأيتام ومكرماً للضيف ومن نعم الله عليه أن خصه بزوجة كريمة شاكرة لنعم الله (ﷻ)، تحمل كل معاني الحب والمشاعر الطيبة تجاه زوجها.

وبعد أن انقلب حال أيوب ودارت به السنين العجاف وتبدلت الأحوال، كانت تلك المرأة بارة بزوجها وهجم الفقر والمرض على أيوب (عليه السلام) في ماله وأولاده، فصبر أيوب وصبرت زوجته على بره صبراً أجمل، وخلال السنوات العجاف ترك الناس أيوب (عليه السلام) وانقطع عنه الأصحاب، ولم يبقَ معه إلاَّ زوجته الوفية الصابرة وظلت حانية على زوجها كالمرضعة على وليدها، فلم تخفْ من مرض زوجها، ظلت مؤمنة مسلمة أمرها لله تعالى ترعاه حق الرعاية.

وكانت السيدة الموفقة تزداد قرباً وحباً لزوجها يوماً بعد يوم، وبعد أن تركه الأحباب، تألقت هذه السيدة الجليلة لتترك نموذجاً لكل النساء في طور الحياة الزوجية وبذلك امتحنهم الله (ﷻ) وهذا البلاء اختبار لهم ليكونوا قدوة للآخرين.

ومرت السنون الصعبة حتى استجاب الله تعالى دعاء أيوب (عليه السلام) قال تعالى : ﴿وَايوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أهلهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾(سورة الأنبياء / 83-84).

[1] ينظر : تفسير القرآن العظيم : ابن كثير 4/ 93.

" فرجع الى صحته وعافيته، وعاد الى حياته العائلية المليئة بالعاطفة الغنية بالحنان حيث رزقه الله، ذلك في ما يتمثل فيه من مظاهر الرحمة التي تحركت بإرادة الله بطريقة غير عادية لتظهر عنايته ورعايته عبده الذي أخلص له"[1].

وهذه هي أهم الملامح العامة لحياة هذه الزوجة العفيفة، وانتهت حياة أيوب (عليه السلام) على ما يرضى من الصبر، وكانت زوجته سليلة الأنبياء مثال المرأة الراضية بقضاء الله تعالى، ولن تغيرها المحن والمصائب التي مر بها زوجها، ونأمل من نساء اليوم أن تكون لهن زوجة أيوب (عليه السلام) قدوة بصلابتها ووفائها وبرها وصبرها لزوجها كان مثالا مباركاً لكل زوجة.

المبحث الثاني/ العواطف الإنسانية في القرآن الكريم :

للقرآن الكريم دور كبير في تهذيب العواطف، وضبط مشاعر الإنسان، إذ تناولت الآيات الكريمة العواطف الإنسانية بصورة مباشرة، ليتحقق الاستقرار العاطفي، وتصل تلك المشاعر الى الرقي والطمأنينة والهدوء، لتنطلق في إعمار الأرض واستثمار خيراتها، وبناء مجتمع صالح.

المطلب الأول /العاطفة السياسية في القرآن الكريم:

بحسب طبيعة الإنسان فهو مدني، ويميل الى نوعه ويستأنس بهم ويتعاون معهم على شؤون الحياة وكسب الرزق، ولما كان الجميع مختلفين في كفاءاتهم وطاقاتهم، وفيهم الصالح والطالح، وفيهم القوي والضعيف، وفيهم الغني والفقير، وفيهم الذكي والبليد، فذلك سوف يثير فيهم الأنانية والبغض والتنافس السلبي على المصالح، ما يؤدي الى اضطراب في المجتمع و ضياع للحقوق.

لذا ينبغي للمسيرة الإنسانية من سلطة ترعى شؤونها، وتصون حقوقها وتنشر العدل والحق والمساواة بين الناس، ويقوم نظامها على العاطفة، والمحبة بين الحاكم والمحكوم، ومن هنا بدأت الحاجة للحكومة والحاكم والقوانين، ولا يخفى الأثر البالغ

[1] من وحي القرآن : فضل الله 15/ 255.

الذي يتركه الحاكم أو القائد أو الرئيس في حياة الشعب والمرؤوسين، وقد تكون حياتهم سعيدة أو شقية تبعاً لمؤهلات ذلك الحاكم، فالحاكم العادل المخلص هو الذي يقودهم بالعدل والرفق والمساواة، والحاكم الجائر هو الذي يسترق شعبه ويسرق خيراته، ويكون سبب في إذلاله؛ لأن عاطفته تجاههم عاطفة سلبية .

أولا /حقوق الرعية على الحاكم:

الحاكم أو القائد بوصفه المسؤول عن رعاية وصيانة المحكومين وضامن الأمن والمدافع عنهم، فعليه توفير هذه الحقوق لرعيته وأهمها :

أولاً : العدل

يعد العدل الواجب المقدس للحاكم والفضيلة الجليلة والأثر الخالد والأصل في كل شيء، عليه تقوم حياة الناس وأساس سعادتهم، وأي حاكم يحمل مشاعر طيبة ومحبة تجاه رعيته لا بد أن يكون عادلا، وكثيرا ما يسبب ظلم الطغاة الاضطهاد والانحراف والتمرد وانتشار الفوضى والميل عن الطريق الصحيح وعصيان الله (ﷻ) قال تعالى : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾(سورة ص /26) أي كلف الله (ﷻ) داوود بعد أن مَنّ عليه بالنعمة الكبيرة وهي نعمة الخلافة، بأن يحكم بين الناس بالحق" فإن إحدى ثمار خلافة الله تعالى هي ظهور حكومة تحكم بالحق، ومن هذه الجملة يمكن القول إن حكومة الحق تنشأ فقط عن خلافة الله تعالى، وإنها النتيجة المباشرة لها وقوله لا تتبع الهوى فإنها تشير الى أهم خطر يهدد الحاكم العادل ألا وهو اتباع هوى النفس،....و الحاكم الذي يتبع هوى النفس إنما يفرط بمصالح وحقوق الناس لأجل مطامعه، ولهذا السبب فان حكومته تكون مضطربة ومصيره الانهيار والزوال "[1].

[1] الأمثل : الشيرازي 11 / 389 .

نلاحظ أن القرآن الكريم ينهى الحاكم عن نوع من العواطف وهي هوى النفس كونها عاطفة هابطة، تميل بصاحبها عن الحق، وتذهب به الى الشهوات وتبعده عن إقامة العدل والمساواة بين رعيته.

ثانياً : الصلاح

يرغب أكثر الرعية بتقليد حكامهم والملوك تودداً لهم و تقرباً الى جاههم، لذا يجب أن يتصف الحاكم بالتقوى والصلاح والخلق وحسن السلوك وجمال الفكر والعاطفة الصادقة، فهو قدوة وأسوة للرعية يسيرون على هديه، وصورة للسبيل القويم الذي ينتهجونه.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾(سورة الأعراف/ 142).

نجد أن موسى (عليه السلام) بعد أن استخلف هارون في قومه، أمره بالإصلاح لأهميته، فقد كلفه بأهم ما يجب أن يتصف به القائد، وأهم مسؤولية على عاتقه والمقصود بالإصلاح في الآية، هو اصلاح الشؤون الاجتماعية للمجتمع، كما أن أي مجتمع بحاجة الى قائد مصلح لا يذعن لآراء المفسدين [1].

فالحاكم المنحرف سيء الخلق القبيح الفعل يذهب بالمحكومين والرعية الى سلوك طريق الضلال والمتاهة، فيصبح الحاكم عاجزاً عن ضبطهم وصلاحهم؛ لأن الناس على دين ملوكهم، وعليه فأن أي خطوة اصلاحية في الشأن الاجتماعي لا بد أن تعتمد العاطفة لكي تأتي ثمارها، وهذا هو منهج الأنبياء والأوصياء على مر الأزمان.

ثالثا : الرفق

أسمى ما يتصف به الحكام هو سياسة الشعوب بالرفق، ورعاية شؤونهم بالإحسان وتجنب سياسة القسوة والعنف والترهيب، التي تكون سبب الإضرار بكيان الدولة و إذلال الناس وجرهم الى التخلف.

([1]) تفسير النور : قراءتي 3/ 150.

والرفق صفة جليلة تترك الطيب في أثرها، وتعود على الحاكم والرعية بالرحمة و الصفاء و الوئام، فهي سبب الحب والألفة بين الحاكم والمحكوم، ومدعاة للإخلاص وكف المحكومين عن النفاق، نتيجة الخوف والترهيب والتسلط، وقد أطرى الله على رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) بقوله : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (سورة ال عمران /159).

الآية الكريمة برنامج متكامل للعاطفة الإيجابية التي ترتقي في رحابها النفس الإنسانية، قال الطبرسي "إنّ لينك لهم مما يوجب دخولهم في الدين؛ لأنك تأتيهم مع سماحة أخلاقك وكرم سجيتك بالحجج والبراهين، ولو كنت يا محمد جافياً سيء الخلق قاسي الفؤاد غير ذي رحمة ولا رأفة لتفرق أصحابك عنك ونفروا منك "[1].

وقال مغنية :" إن المقصود من بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله) هداية الخلق الى الحق، وهم لا يستمعون إلاَّ لمن تميل قلوبهم إليه، والنفوس لا تسكن ولا تركن إلاَّ الى قلب رحيم كبير كقلب محمد (صلى الله عليه وآله)، الذي وسع الناس كل الناس، وما ضاق بجهل جاهل أو ضعف ضعيف، بل كان يأمر بالرحمة بالحيوان "[2].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) " إن الرفق لم يوضع على شيء إلاَّ زانه ولا نزع من شيء إلاَّ شانه"[3].

وقال الصادق (عليه السلام)" من كان رفيقاً في أمره نال ما يريد من الناس"[4].

فالرفق عادة محمودة مع الأخيار الصالحين وأصحاب الأخلاق النبيلة، أما المذنبين المثيرين الفتن والفوضى، الذين يعبثون بحرمات الأمة فلا يجب معهم الرفق، فالأسلوب المجدي معهم الزجر والقسوة والحزم، لردعهم عن طغيانهم.

---

(1) مجمع البيان : الطبرسي 2/ 428.
(2) التفسير الكاشف : مغنية 2/ 188.
(3) وسائل الشيعة : العاملي 15 / 271 .
(4) الكافي : الكليني 8/ 128 .

وعليه تعد سمة الرفق لدى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) سبباً رئيسيً في دخول الكثير في الإسلام .

مظاهر العواطف في الحياة السياسية:

للعاطفة هنا صور رائعة ومظاهر جميلة تتجلى في أفعال الحاكم وأقواله:

١_ مخاطبة الرعية بالأقوال اللطيفة، وتجنب كل ما هو بذيء؛ لأن الدين الإسلامي يقوم على أساس المحبة والعلاقة الطيبة مع الناس .

٢_ إن يكون متوداً لرعيته عطوفاً عليهم مشفقاً، يشعر بآلامهم وأحزانهم، وإذا ما حاق بهم خطر وداهمهم البلاء، أسرع لمساعدتهم ورعايتهم وتخليصهم من البؤس والعناء.

٣ _ الارتباط المباشر مع الرعية إذ يعد الارتباط المباشر والواقعي مع الرعية من الأمور المهمة التي يستند إليها الحاكم والتي تعكس عواطفه تجاههم" وقد أثبتت التجارب أن الارتباط غير المباشر بالشعب يكون سبباً لتزييف الواقع، وعدم الاطلاع الكامل على الأوضاع الجارية غالباً، وعدم حصول الضعفاء من الناس على الأخص على حقوقهم، مضافاً الى الارتباط المباشر يوجب ازدياد المحبة يوما بعد آخر بين المسؤولين و بين أفراد الشعب"[1].

٤_ يتجنب إرهاق الناس وتحميلهم مالا يطيقون من الضرائب الباهظة التي تكون سبباً في شقائهم.

نخلص الى أن الدين الإسلامي يريد للعواطف السامية ومشاعر الحب واللطف والرفق، بين القائد وشعبه والحاكم ورعيته، أن تتجسد على أرض الواقع، وتكون أداة في تحقيق الأهداف المطلوبة عمليا، لتنعم البلاد بحياة سعيدة ومستقرة.

رابعا: إسعاد الرعية

---

[1] نفحات القرآن : الشيرازي 10 / 158 .

الحاكم بوصفه أميناً على رعيته وشعبه، فهو مسؤول عن اسعادهم ورقيهم من خلال تفقد شؤونهم وقضاء حوائجهم ورعايتها، فعليه أن يضمن إشاعة الأمن بين الناس والعدالة والمساواة، ورعاية المجال العلمي والصحي والاجتماعي والأخلاقي من خلال الاهتمام بالمراكز الصحية، ونشر العلم والتعلم وجميع الأساليب العلمية الحديثة، في مجال التنمية والصناعة والزراعة والتجارة ومساعدتهم على الإفادة من الموارد الطبيعية، واحتواء الطاقات المبدعة في جميع المجالات.

والملفت للنظر "هو أن منهج الحكومة الإسلامية المستنبط من القرآن المجيد والسنة القطعية، والمقرر قبل أربعة عشر قرن كان قد أهتم فوق حد التصور بمسائل التربية والتعليم والتبشير والإنذار، وقد اعتمد برامج عديدة ومتنوعة لتحقيق هذا الغرض، وحكومة الرسول الاكرم محمد (صلى الله عليه وآله) بنيت على أساس ثورة ثقافية، وقد اهتم الرسول الأكرم، طيلة الثلاث عشرة سنة، التي قضاها بمكة بالتربية والتعليم ونشر الثقافة الإسلامية والعقائد، وقد ربى أصحابه بحيث صار كل منهم لبنة أساسية في بناء الحكومة الإسلامية"[1].

وبذلك تصبح علاقة الملك بشعبه علاقة وطيدة و يمتد حبل المودة بينهم ويصبح حاكم قلوبهم وعقولهم.

ثانيا / حقوق الحاكم :

يعد الحاكم أو القائد العادل عماد الأمة وقطبها، ومؤسس نهضتها وسبب ازدهارها والحارس الأمين المخلص لها، وهو العنصر الفعال والأصل في المجتمع " لذا وجب أن يكون التجاوب في العواطف والمشاعر قوياً بين الحاكم والمحكوم و الراعي والرعية، ليستطيع الأول إداء رسالته الإصلاحية لأمته، وتحقيق أهدافها وأمانيها، ولتنال الأمة في ظلال حكمه مفاهيم الطمأنينة والحرية والرخاء"[2].

---

[1] نفحات القرآن : الشيرازي 10 / 271 .

[2] أخلاق أهل البيت : مهدي الصدر، دار الكتاب الإسلامي 344 .

وعليه للحاكم حقوق على الرعية تكون العواطف قطب الرحى فيها، وإذا صارت الأمور الى الاختلاف والإجحاف بين الحاكم والمحكوم، بدت مظاهر الجور والظلم للناس، وهُجرت السنن، واتبع الهوى، وسقمت النفوس، فيترك الحق وتتبع الرذيلة ويذل خيار المجتمع وتعلو كلمة الباطل، فكيف تكون الحالة النفسية والمشاعر لمن يعيش تحت سلطة حاكم جائر ظالم، وكيف تكون معاناتهم فهم عرضة للاضطهاد والعنصرية.

وللحاكم على رعيته حقوق، تعود في أصلها الى العاطفة الإيجابية المستقرة في نفوسهم تجاه حاكمهم ومحبتهم له، التي هي انعكاس لسياسته معهم، ومن هذه الحقوق:

١_ الطاعة

من حقوق الحاكم على المحكومين الطاعة فيما يرضي الخالق (ﷻ) إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والطاعة هي المؤيد الأول للحاكم على اهتمامه بالمحكومين والاخلاص لهم واستشعار أحلامهم وأحاسيسهم، وحرصه على اسعادهم وتحقيق رغباتهم وامانيهم، أما العصيان والنفاق والعناد فهي صفات تثير الحاكم ويعمد الى الانتقام منهم، ويصبح غير مبالٍ بأمورهم وصلاحها وتصبح جهوده بعيدة عن البناء والتطور.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(سورة النساء/59).

يرى السبزواري بأن الطاعة محور كل تكليف إلهي وقانون وضعي، فلا فائدة في تشريع لا تطبيق فيه، إذ إن الطاعة هي الالتزام مع العمل، وطاعة الله هي الإيمان به وبدينه الحق، والعمل بأحكامه وشريعته، وطاعة الرسول؛ فلأنه المبعوث لتبليغ أحكام الله تعالى، ولا ينطق عن الهوى، وطاعة أولي الأمر في حدود ما أمر الله

تعالى ورسوله، ولا بد أن يكونوا مؤمنين،؛ لأن الله لا يأمر بطاعة من لم يكن من أهل الإيمان، ولو تسلط على المؤمنين جبرا وغصبا[1].

وعليه فإنّ طاعة الشعوب الطوعية للحاكم، ماهي إلاّ انعكاس لمحبتهم له وعاطفتهم نحوه، ويبادلهم هو أيضا هذه المشاعر ليتمتع بهذا الحق وهو الطاعة.

2_ المؤازرة والنصيحة

الحاكم مهما بلغت كفاءته وقدرته، فلا يمكن له أن يحيط بكل صغيرة وكبيرة و شاردة وواردة من أمور الرعية، والملك والبلاد والقيام بجميع واجباتهم، بل هو يحتاج مؤازرة شعبه ورعايته ودعمه بالجهود الممكنة، سواء كانت مادية أو معنوية وهذا بدوره يفيء عليهم بالأمن والخير وتسعد الرعية، قال تعالى حكاية عن ذو القرنين:﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾(سورة الكهف/95).

من أجل الوصول الى الأهداف، لا بد من همة الناس ومشاركتهم الفعالة، وبدل طلب المساعدات المالية، تطلب مساعدة القوى الإنسانية[2].

ومما تقدم فإنّ ملكا مثل ذو القرنين يحكم الشرق والغرب في زمانه، وأعطاه الله من المال الكثير يطلب المساعدة بالقوة العملية من الرعية، ولم يصبه الغرور نتيجة ما يتمتع به من امتيازات الحكم، ولم تسيطر عليه نشوة السلاطين، فيذهب الى الطغيان والجبروت، وإذلال الناس وتكبيل حرياتهم وإهانة كرامتهم، بل طلب منهم المؤازرة بما يكنه لهم من مشاعر وأحاسيس طيبة .

كما يتحتم على العقلاء وأصحاب الرأي السديد والمصلحين، أن يقدموا على نصيحة الحاكم والأخذ بيده، فأن أنصت كان بها، وإلاَّ فهم أدوا واجبهم بما يحملون من عاطفة تجاه بلدهم ومجتمعهم، ونلحظ في العصور المتأخرة وتطور أساليب

([1]) مواهب الرحمن ، السبزواري 8/ 351.
([2]) تفسير النور: قراءتي 5/ 209.

الحياة وتعدد الوسائل، لا يأخذ الحكام بأي موعظة أو مبادرة للنصح؛ لذا على الشعب الوقوف بوجه ظلمهم وطغيانهم والتنديد بأفعالهم.

ثالثا/صور من الحكومات في القرآن الكريم:

لما كان القرآن الكريم يزخر بين طياته علما ومعرفة وكل ما يحتاج إليه الإنسان فقد تحدث عن العديد من الحكومات في آياته الكريمة، نعرض منها الآتي:

أولاً : حكومة يوسف (عليه السلام)

صرح القرآن الكريم بأن قصة يوسف (عليه السلام) أحسن القصص، ونجد العاطفة بصورتها الإيجابية أو السلبية في جميع أحداثها، منذ الطفولة وحتى صار عزيز مصر، وطلب يوسف (عليه السلام) من الملك أن يجعله مسؤولاً عن اقتصاد البلاد، قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾(سورة يوسف /55) اقترح يوسف ذلك حفظاً للمصالح من جانب، ومن جانب آخر أنه عليم بكيفية القيام بهذا العمل " اختار يوسف الولاية على خدامة الدولة واقتصادها ولم يطلبها للمصلحة الخاصة بل للصالح العام الذي يحفظ للمستضعفين حقوقهم، يا يوسف إن البلاد مقبلة على بلاء وشدة، إذا لم يكن صاحب الخزانة حفيظاً عليها ضاعت حقوق الناس، وخاصة الفقراء والمساكين، هذا الى أن المال عصب الأمة وحياتها، فإذا لم يكن زمامه بيد الأكفاء علماً وخلقاً، كان مصير الأمة الى الهلاك والدمار أما إذا كانت مقادير الأمة بيد الأكفاء والإمناء فانهم يقودونها الى خيرها وصلاحها"[1].

المحصل أن خوف يوسف (عليه السلام) على المستضعفين والفقراء إحساس جميل، ينبع من عاطفة مخلصة لقائد محب لرعيته.

ثانياً/ حكومة داوود وسليمان (عليهما السلام)

كانا (عليهما السلام) من أنبياء بني إسرائيل، وقد أفاء الله (عز وجل) عليهما من مقام الخلافة، ومن أصولها القضاء بين الناس بالحق والعدل قال تعالى : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا

[1] التفسير الكاشف : مغنية 4/ 330 .

جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾(سورة ص /26) يتم هنا تهيأة داوود(عليه السلام) للقضاء بعد حدوث واقعة معينة، إذ قدَّر الله (عز وجل) في هذا الأمر أن يعد داوود الاعداد الكامل لهذه المهمة، عندما سمع كلام أحد المتخاصمين فقال هذا اقتراح ظالم؛ لأن أخوك لديه تسع وتسعون نعجة ويريد أن يأخذ نعجتك قال تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ إنما فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾(سورة ص/ 24).

وبعد ذهاب المتخاصمين راجع النبي داوود (عليه السلام) نفسه، وتفكر كيف أنه لم يطلب الدليل من هذين المدعيين، وأن الحكم يجب أن يستند الى الدليل، وكان حكمه على مجرد دعوى من أحدهما فرأى أنه تسرع في إصدار الحكم، والظاهر أن الله (عز وجل) ابتلاه لينبهه ويسدده في خلافته وحكمه بين الناس، وأن يكون كفيلاً بنفوس الناس وأموالهم ومن ثم أصبح مؤهلاً للقضاء، وفي الحقيقة كان الرجلان ملكين قد بعثهم الله (عز وجل) الى داود (عليه السلام) وافهامه كيفية الحكم وترك العجلة فيهم[1].

فقد ظن داوود (عليه السلام) أن الله تعالى ابتلاه وفتنه بالدين، لكنه سبحانه امتحنه بتلك الحكومة تنبيها له فاستغفر لذنبه وخر راكعا ورجع الى الله بالتوبة[2].

ومن يتصدى لأعمال الناس يجب أن يكون من أهل المعرفة والتقوى والصلاح والأخلاق، فعلى "كل حاكم أن يقضي بالحق وإلا شمله الحساب الدقيق العسير والعذاب الأليم، ولا فرق بين حاكم وآخر سوى أن تبعات الأنبياء والأوصياء تقدر بمكانتهم ومنزلتهم"[3].

([1]) ينظر : الميزان : الطباطبائي 17/ 160.

([2]) ينظر : انوار التنزيل واسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي: ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، وبهامشه حاشية العلامة أبي الفضل القرشي الخطيب المشهور بالكازروني، مؤسسة شعبان، بيروت، بلا طبعة، بلا تاريخ،5/ 17.

([3]) التفسير المبين : مغنية 600.

وعليه لكل من توكل إليه وظيفة الحاكم، أن يُسير عاطفته في ظل عقله، وإلاَّ سوف يسير المجتمع الى الانحراف والانحطاط .

أما عن النبي سليمان (عليه السلام) قال تعالى :﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾(سورة النمل /17) تدل الآية الكريمة على أن دولة سليمان (عليه السلام) قائمة على نظام دقيق محكم، ويظهر ذلك من قوله الجن والأنس والطير بهذا الترتيب الطبيعي يدل على عظمة مملكة سليمان (عليه السلام) وتبسمه يدل على تواضعه، فلم يأخذه الغرور وهو صاحب سلطان عظيم بعاطفته الصادقة جعل من ذلك الموقف مناسبة بالقرب من الله (عز وجل) بقوله :﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾(سورة النمل/19) جاء في تفسير الآية أن سبب تبسم النبي سليمان (عليه السلام) "من نعمة الله عليه في تسخير الجيش وعظيم الطاعة"[1] .

إن حادثة سليمان مع النملة وتبسمه لم تظهر عاطفته فقط، بل بينت بأن المشاركة الوجدانية والشعور بالمسؤولية نحو الآخرين لا يختص بالإنسان، بل يعم ويشمل الحيوانات والطيور والحشرات، فنجد أن النملة عندما أحست بالخطر حذرت أبناء جنسها[2].

وذلك يدل على أنه قاصد الإصلاح وليس الملك والدنيا، ولا بد لمن يملك هكذا منطق، تكون من صفاته العدل والإحسان والإنصاف واحترام حقوق المحكومين التي هي أجل مبادئ العاطفة قال تعالى : ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾(سورة النمل /22) قال الزمخشري " ألهم الله تعالى الهدهد فكافح سليمان (عليه السلام) بهذا الكلام، على ما اوتي من فضل النبوة و الحكمة

([1]) أحكام القرآن : لأبي العربي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي(ت543هـ)، راجعه : محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ - 2003م، 3/ 478.

([2]) ينظر : التفسير الكاشف : مغنية 6/ 12.

والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة، ابتلاء له في علمه وتنبيها على أن في أدنى خلقه و أضعفه من أحاط علما بما لم يحط به"[1].

وقال المراغي" فضحك متعجباً من حذرها وتحذيرها، والهداية التي غرسها الله فيها مروراً بما خصه الله من فهم مقصدها، وقال ربي ألهمني أن أشكر نعمتك"[2].

وقال سيد قطب" بهذا النداء القريب المباشر المتصل أوزعني اجمعني كلي، أجمع جوارحي ومشاعري ولساني وجناني خواطري و خلجاتي وكلماتي وعباراتي وأعمالي وتوجهاتي، أجمعني كلي أجمع طاقاتي كلها أولها على آخرها، وهذا هو المدلول اللغوي لكلمة أوزعني لتكون كلها في شكر نعمتك علي وعلى والدي"[3]

نخلص الى أن النبي سليمان (عليه السلام) كان ملك قوي وشجاع غيور على الدين، كانت وظيفته الأولى، أن يدعو الناس الى التوحيد والحكمة ومجانبة الباطل والجهاد من أجل كلمة الحق، وحث الناس على الإيمان بالله وطاعة الخالق، لتعيش الأمة في بصيرة وهداية.

ثالثا : حكومة بلقيس ملكة سبأ

بلقيس كانت ملكة سبأ، وكان لها جيش عظيم معروف التنظيم والإعداد كما ورد ذلك من الأخبار، والمناصب عادة تحتاج الى قوة ومقارعة وقدرة وجهود كبيرة بالإضافة الى الحكمة والإرادة، حتى وإن كانت بلقيس تحمل تلك الصفات لكنها تبقى امرأة تميل الى العاطفة في جميع أحكامها، وتعرف بالرقة واللطافة، وبلادها تملك القوة والحصانة وحكومة مهيبة، وقد وصف الهدهد مملكتها بإيجاز إذ نقل القرآن حكاية عنه :﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾(سورة النمل/ 23).

---

(1) الكشاف : الزمخشري 12/ 190 .
(2) تفسير المراغي : المراغي 19 / 129 .
(3) في ظلال القرآن : سيد قطب 1/ 267 .

أدركت ملكة سبأ إنها في مواجهة أمر ذي بال، وفكرت في سبيل يمهد للحوار والنقاش للوصول بخير الأمور، كانت بلقيس امرأة حكيمة عاقلة اعتمدت على خبرتها وعهد آبائها بإدارة البلاد والسياسة، وبدت حكمتها بعد التفكر في أمور منها إنها لم تنفرد بالرأي في جوابها بل أشركت المسؤولين و جمعت أهل الحكمة وأصحاب المشورة من رجال دولتها وعرضت عليهم كتاب سليمان (عليه السلام) .

قال تعالى حكاية عنها: ﴿قَالَتْ يَا ايهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾(سورة النمل / 32) المراد بقوله أفتوني أي الإشارة عليها بالرأي السديد واتخاذ الموقف المناسب في الرد على كتاب سليمان، رد اعتمد العقل والحكمة أي أشيروا علي في الأمر ما كنت لأقضي أمراً دون مشورتكم وحضوركم [1]

عرضت بلقيس عاطفتها الجميلة وتلطفت في هذا العرض على قومها، وكشفت عن خلقها وحسن أدبها معهم في الآية الكريمة، إن تلك الطريقة تعتمدها بلقيس في جميع الأمور، وإنها عادتها الجارية في إدارة شؤون البلاد (ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون) فأحست بالأمر الكبير الذي جاء من نبي يعرف عنه القوة والعدل والسلطان العظيم، نجد أن للعاطفة دور كبير في هذه الحادثة، إذ إن قصد بلقيس من استشارة رجال دولتها استعطافهم وإثارة مشاعرهم للوقوف بجانبها، بالإضافة إلى اختبارهم ومدى طاعتهم لها، و حزمهم في إقامة أمورهم ومقاومة أعداءهم.

يبدو من قولها إنها صاحبة فكر ثاقب، استطاعت أن تكون على بينة من أمر قومها، كما إنها مدركة أن بانفرادها بالرأي وهن وضعف يؤدي الى هلاكها وهلاك دولتها، فكان جوابهم مدعاة لسرورها : ﴿قالوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (سورة النمل/ 33).

أي نحن أصحاب عدد وعدة وأصحاب قوة وشجاعة، أي إنهم أبدوا استعدادهم للحرب، فهم مطمئنون من الناحية العسكرية والنفسية، وقد فوضوا الأمر لها فهم يثقون بها لأنها ورثت الخبرة وفنون السياسة من أسرتها الحاكمة، فهي تعرف كيف

[1] ينظر : صفوة التفاسير : الصابوني 2/ 408.

تمسك بدفة النجاة والأمان (والأمر اليك) ونحن مصغون ما تأمرينا (فانظري ماذا تأمرين)[1].

في هذا الحوار دليل على صحة المشاورة، والاستعانة بالخبرات والآراء السديدة وبعد هذه المشورة مالت بلقيس الى الصلح، فلا شيء وراء الحرب إلاَّ الدمار وسفك الدماء والخراب وإذلال الشعوب والأسر، لذلك فهي تعدل الى المهادنة (إني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلين)، حاولت حل الأزمة مع سليمان (عليه السلام) وأرادت معرفة حاله، وهل هو نبي يرفض الهدية أو طالب للدنيا فيقبلها، فلما عاد الرسُل الى بلقيس وأخبروها بما رأوا أدركت أن عليها أن تقبل دعوة سليمان (عليه السلام).

لقد انطلقت عاطفة بلقيس الى جانب عقلها في آفاق نفسها، لتستعيد نظرتها وقومها الى الحياة وركوب طريق الحق؛ لذا على كل فرد أن يفكر في نفسه وفي نعم الله (عز وجل) العقلية والمشاعر والعواطف، وقيمة كل انسان بما يفعل ويقول وأي طريق يسلك.

حكومة فرعون

تكرر الحديث عن فرعون كثيراً في القرآن الكريم، فهو رسالة من الله (عز وجل) الى الطغاة والمتجبرين وكل مغرور، إذ أرسل الله (سبحانه وتعالى) رسولاً من أولي العزم آتاه الحكمة والقوة والشدة في مواجهة ذلك الطاغية، وشد أزره بأخيه هارون (عليه السلام) وكان خير معين له في هذه الدعوة، وكان من أهم المناهج التي اتبعها من خلال التوجيه الإلهي مع فرعون هو العاطفة عن طريق أسلوب الرقة واللطف قال تعالى :﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾(سورة طه /44) إذ إنّ الخطوة الأولى في مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هي القول اللين والبيان اللطيف، وكل الآمال في اللين واللطف[2].

---

[1] ينظر : من وحي القرآن : فضل الله 17/ 205 .

[2] تفسير النور : قراءتي 5/ 323.

واللين هو أحد المظاهر العاطفية وهو أصل في الدعوة الى الحق و" هو الكلام الدال على معاني الترغيب، والعرض بأحسن عبارة وألطفها، بأن يظهر المتكلم للمخاطب، أن له من السداد والرأي ما يتقبل به الحق، ويميز به بين الحق والباطل مع تجنب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجهيله؛ لأن ذلك ينفره من الحق ولو كان ظاهراً جلياً"[1].

وقال ابن كثير :" هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العلو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه آنذاك ومع هذا أمر ألا يخاطبه إلاَّ بالملاطفة واللين "[2].

فاعتمد مع فرعون أسلوب غاية في الرقة والملاطفة، اتبعا القول اللين محافظين فيه على المبادئ، اسلوب لا تنازل فيه الى فرعون، ومن أهمية القول اللين :" انه لا يثير العزة بالإثم، ولا يهيج الكبرياء المدعى الذي يعيش به الطغاة، ومن شأنه أن يحيي القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان"[3].

ومن أمثلة القول اللين قوله تعالى:﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾(سورة النازعات/18- 19) عبارات وألفاظ غاية في اللطف والتحبب الى المخاطب.

وللمفسرين وقفة مع هذه الآية في بيان وجه اللطف من موسى (عليه السلام)تجاه فرعون فكان من لطف موسى (عليه السلام) مع ذلك الطاغية، كان بأسلوب العرض لا الأمر وهو غاية اللطف والتودد" بدأ بمخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض، كما يقول الرجل لضيفه: هل لك أن تنزل بنا، وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه بالتلطف ويستنزله بالمدارة من عتوه"[4].

---

[1] التحرير والتنوير : ابن عاشور 16 / 124 .

[2] تفسير ابن كثير : ابن عاشور 5/ 294.

[3] في ظلال القرآن : سيد قطب 4/ 2336 .

[4] تفسير جوامع الجامع: أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي(من اعلام القرن السادس الهجري)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم، ط1، 1421هـ، 3/ 723.

عرض عليه أمر يقبله كل عاقل ولا يرفضه إلاَّ كل جاهل غافل، كما خاطبه كخطاب الملوك بإضافة التزكية الى نفسه، وقوله أهديك بين يديك فنسب الهداية إليه أيضاً وقوله هل لك فائدة لطيفة وهي " أن المعنى هل لك في ذلك حاجة أو أرب، ومعلوم أن كل عاقل يبادر الى قبول ذلك؛ لأن الداعي إنما يدعو الى حاجته ومصلحته لا الى حاجة الداعي، فكأنه يقول الحاجة لك وأنت المتزكي وأنا الدليل والمرشد لك والى عظم مصالحك" [1].

فهذه أوجه عدة في التلطف مع فرعون محاولاً اقناعه وتحبيب الإيمان له وكسب وده، وكلها داخلة في القول اللين من أجل استجابة فرعون للأمر الإلهي لكنه لم يزدد إلاَّ طغيانا.

المطلب الثاني /العاطفة تجاه الحيوان في القرآن الكريم:

اتسمت تعاليم الشريعة السمحاء بالرأفة والعدالة، وقد خلق الله (ﷻ) جميع المخلوقات وكل ما على وجه الأرض على قاعدة العدل واللطف الإلهي قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾(سورة طه /50) وذلك ينعم الجميع بالمساواة والرحمة والعدالة، وهذا يشمل جميع المخلوقات الحيوان والنبات والأنس والجن، بل وحتى الجمادات.

كما إن حياة جميع المخلوقات تحكم وفق منظومة قوانين وأنظمة وعلاقات متبادلة، لا يمكن تجاوزها في هذا الكون الواسع بما فيه يرتبط بعضه مع بعضه الآخر، وهذا من حكمة الله (ﷻ) قال تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾(سورة النمل/ 88).

[1] ينظر : الكشاف: الزمخشري، ٤ / ١٩٦ التفسير الكبير: الرازي٣١/ ٣٧ ،روح المعاني : الآلوسي٣٠ / ٢٩.

أي أن الجبال تسير سيرا حثيثا مثل سير السحاب، وأنّ الله (ﷻ) صنع ذلك صنعا وخلق كل شيء على وجه الإتقان والإحكام والاتساق[1] .

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾(سورة الملك/3) أي أن نظام الخلق مبني على الرحمة الإلهية والنظام الموجود هو النظام الأحسن ولا يوجد فيه أي شائبة أو نقص[2] وقال تعالى :﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَايَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(سورة الرعد/ 3)

وتتجلى الرحمة الإلهية من خلال إرسال الرسل والأنبياء لإرشاد الإنسان وتوضيح معالم سلوكه، وكما إن للإنسان دور وله حقوق وأحكام، كذلك الحيوان فله حقوق، وإن عظمة الدين الإسلامي تشمل الحيوانات بالعطف والرعاية، وأوجب لها مجموعة من الأحكام، والآيات الكريمة كما تحدثت عن خلق السماوات والأرض والأنبياء والرسل والأمم السابقة والجن كذلك تحدثت عن الحيوان قال تعالى: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة :النحل/5-8) .

وجعل بعض أسماء السور بأسماء حيوانات كالعنكبوت والفيل والبقرة والنمل والنحل، والاهتمام القرآني واضح بالحيوانات، إذ جعل بعضها معلماً للبشر، كما فعل الغراب في قصة ابني آدم (عليه السلام) هابيل وقابيل قال تعالى : ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادمينَ ﴾(سورة المائدة/ 31) تمكن قابيل من تعلم طريقة الدفن" من التجربة الحسية للغراب، ليكون ذلك منهاج المعرفة بواسطة

(1) ينظر : مجمع البيان : الطبرسي 7/ 209.
(2) تفسير النور : قراءتي 10/ 132.

الحواس مما يشاهده الإنسان من فعل المخلوقات الاخرى، أو ما يسمعه أو يلمسه أو يذوقه، ليكون ذلك سبيلًا لحركة الإدراك في انتاج المعرفة"[1].

وبعضها استنكر أفعال الإنسان الضالة كما في هدهد سليمان (عليه السلام).

وقد حرصت الشريعة السمحاء على الرأفة بالحيوان والعناية بأكله وشربه ووضعت أحكاماً خاصة للصيد والذباحة، كما أوضح القرآن الكريم مكانة الحيوان وأنه مسخر لخدمة الإنسان، وقد جمع بين منفعة الإنسان والرحمة ولم يسمح بالعبث أو القسوة .

وقد وردت آيات قرآنية تدعو الى العناية بالحيوان قال تعالى : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَايَاتٍ لِأُولِي النُّهَى مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾(سورة طه/ 53_ 54).

قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾(سورة السجدة/ 27).

قال تعالى:﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾(سورة النازعات/33) " حيث سخر لكم ولأنعامكم ما يتمثل فيها من شروط الحياة الضرورية، ومن خلال ذلك كانت العظمة التي توحي بها دقة التدبير، وكانت النعمة التي توحي برحمة الله ولطفه وعنايته في ما أنعم به على الإنسان من ذلك كله"[2].

قال تعالى : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾(سورة الأنعام /38)

---

[1] من وحي القرآن : فضل الله 8/ 137 .

[2] من وحي القرآن : فضل الله 24/ 44 .

أي "هم جماعات مثلكم في أن الله (ﷻ) خلقهم وتكفل بأرزاقهم وعدل عليهم، فلا ينبغي أن تظلموهم ولا تجاوزوا فيهم ما أمرتم به"[1] والتعبير بأمم يدل على أن لها عقلا حساسا في عالمها والتعبير بأمثالكم يؤكد هذا المعنى؛ لأنها تتشابه مع الإنسان في مسألة الإدراك والفهم والشعور، وهذا تأكيد مجدد بأن لها تسبيح أو دعاء عن وعي في عالمها الخاص بها، وأن القراءة المتوفرة لدى الطيور وباقي الحيوانات يؤكد بانها ذات ذكاء وشعور "[2].

يتبين من الآية الكريمة أن جميع الحيوانات تعيش بطريقة وضعها الله (ﷻ) لها في مجتمعات وتحت قوانين قال تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾(سورة النور/41) يسبح لله فيما ألهمه الله من طريقة التعبير عن أحاسيسه ومشاعره، لأنه هو المحيط بالكائنات بكل أسرارها الداخلية وملامحها الخارجية وخطواتها العملية في الكون كله"[3].

وعليه فالحيوانات و جميع المخلوقات بينها مشاعر وتواصل ويجب احترام عالمهم

وتمتد العواطف لتطال الحيوانات فعنه (صلى الله عليه وآله) " دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من حشائش الأرض"[4].

وذات يوم كان النبي (صلى الله عليه وآله) يتوضأ، فشاهد هرة تحدق في الماء فقطع وضوءه وقدم الماء للهرة" [5].

([1])الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) : أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(671هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1405بلا طبعة، هـ - 1985م، 6/ 407.

[2] نفحات القرآن : الشيرازي 2/ 399.

[3] من وحي القرآن : فضل الله 126 / 337 .

[4] مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي (ت1320هـ)، مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، قم، ط1، 1408هـ، 8/ 44.

[5] دروس من القرآن : محسن قراءتي، ترجمة: لجنة مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط1، 1404هـ 363.

فقدم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بسيرته العظيمة صورة جميلة للعاطفة تجاه الحيوانات، كما نجد الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء رغم مكابدته الحر والظمأ، بعد أن كشف عن المشرعة، وهم بشرب الماء نكس الجواد رأسه يريد أن يشرب فالتفت إليه سيد الشهداء (عليه السلام) مخاطباً، أنت عطشان وأنا عطشان والله لا أشرب حتى تشرب"[1].

نظرة الإسلام للحيوان من مركز أهميته في الحياة ومنفعته فيها، وتعاونه مع الإنسان في عمارة الأرض، لذا نجده حاضراً في كثير من تشريعات الدين الإسلامي وينص القرآن الكريم على تكريم الحيوان ومكانته ودوره الى جانب الإنسان.

قال تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾(سورة النحل /6).

أي إن الله (عز وجل) "يريد الإيحاء للإنسان بأن الجمال والزينة يمثلان نوعاً من أنواع النعمة، التي منّ بها الله على الإنسان، كما يتميزان بقيمة إنسانية، يريد من الإنسان أن يحس بها في حياته من وسائل الركوب التي قد يلهم الإنسان اكتشافها وبهذا نستطيع استيحاء الفكرة الدينية التي تدعو الإنسان للتطلع الى كل تطور في وسائل الحياة"[2].

والحيوان تربطه بالإنسان علاقة وصلة فهو قريب منه، لذا نجد أن الخالق (عز وجل) يريد من الإنسان ان يبتعد عن هذه النظرة الضيقة للحيوان، أي النظرة المادية المتعلقة بالأكل والنقل واللباس، إذ للحيوان جانب روحي معنوي يقتضي الإحسان اليه والرفق به .

وكذلك نجد أن الله (عز وجل) أقسم ببعض الحيوانات، لما تحمل من صفات حميدة ومنافع مادية ومعنوية قال تعالى : ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾(سورة العاديات /1).

---

[1] مناقب آل أبي طالب : أبي جعفر محنمد بن علي بن شهراشوب، المطبعة الحيدرية، النجف، 1376هـ - 1956م، 4/ 58 .

[2] من وحي القرآن : فضل الله 13/ 195.

كذلك حددت الشريعة الإسلامية أحكام ذبح وآداب خاصة تتصف جميعها بالإحسان الى هذه المخلوقات، ونهت الشريعة عن الوقوف على الدابة أو ركوب ما لم يخلق للركوب، كذلك منعت من تحميل الحيوان ما لا يطيق أو أي نوع من أنواع الإساءة إليه، الحمد لله على هذه الشريعة التي تضمن حقوق الحيوان فكيف بالإنسان.

كما تنهى الشريعة عن قتل الحيوان عبثا بدون الانتفاع من ذلك عن الإمام الصادق (عليه السلام) " أقذر الذنوب ثلاثة، قتل البهيمة، وحبس مهر المرأة، ومنع الأجير أجره"[1].

و عن النبي (صلى الله عليه وآله) من قتل عصفورا عبثاً جاء يوم القيامة وله صراخ حول العرش يقول: ربي سل هذا قدم على قتلي من غير منفعة"[2].

عن حمران بن أعين عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال سألته عن الذبح فقال : إذا ذبحت فارسل، ولا تكتف السكين تدخلها تحت الحلقوم وتقطعه الى فوق، والإرسال للطير خاصة، وإذا كان شيء من الغنم فامسك صوفه أو شعره، ولا تمسكن يداً ولا رجلاً فإما البقرة فأعقلها واطلق الذنب، وأما البعير تشد خفافه الى إباطه وأطلق رجليه وعن جعفر بن محمد (عليه السلام) أنه سئل عن الشات تذبح قائمة قال : لا ينبغي ذلك السنة أن تضجع ويستقبل بها القبلة"[3].

كما " يستحب ادخال السرور في القلوب، وأن كان قلب حيوان كما أدخل الإمام السجاد (عليه السلام) سروراً على قلب ضبية بإرجاع خشفها إليها "[4].

---

[1] مستدرك الوسائل : النوري 5/ 72 .

[2] مستدرك الوسائل : النوري 8/ 303 .

[3] دعائم الإسلام : القاضي النعماني المغربي، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ط2، بلا تاريخ، 2/ 179 .

[4] الفقه وأحكام الحيوان : الشيرازي 248.

من حق الحيوان على الإنسان أن يطعمه، فإن إطعام الحيوان الجائع مستحب وقد يجب وأنّ الله تعالى أوصى بإطعام الطعام وأن كان حيواناً، وقد أطعم الإمام السجاد (عليه السلام) الظبي الجائع[1].

ومن حق الحيوان على الإنسان" لا يقرعه بالسوط وأن أبطأ بالعمل عن أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور"[2].

ومن آداب الذبح الحيوان الذي يسوق الى مذبحه برفق، وأن يعرض على الماء قبل ذبحه، ويستحب للذابح الا يري الحيوان شفرة ذباحه، ويستحب ذبح الحيوان أن يمرر السكين على مذبح حيوانه بقوة حتى يريحه ساعة الذبح، ويستحب ذبح الحيوان يحرك حيوان بعد ذبحه من مكان الى آخر، ويكره أن تكون ذباحه بمنظر من حيوان آخر من جنسه، ويكره أن يذبح الإنسان بيده ما رباه من الغنم، ويكره سلخ جلد الذبيحة قبل خروج روحها[3].

عن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) قال: أن الله كتب الاحسان على كل شيء فإذا قتلتم فاحسنوا القتلة، واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة، وليحكم أحدكم شفرته وليرح ذبيحته"[4].

نفهم من النص المتقدم أن الشريعة الإسلامية أرادت إراحة الحيوان عند الذبح

هذا المستوى الراقي من الرفق واللطف بالحيوان جلي في سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام)، وإذا كان للحيوان هذا النصيب من العطف والشفقة فكيف بالإنسان الذي فضله على جميع المخلوقات

---

(1) المصدر نفسه 249.
(2) نهج البلاغة: الشريف الرضي 3/ 440، الرسالة 47.
(3) ينظر : جواهر الكلام : النجفي 36 / 131 -139.
(4) ميزان الحكمة : الري الشهري 3/ 2499.

الخاتمة

الخاتمة والنتائج

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبيه المؤيد بالمعجزات وعلى آله الطيبين الهداة الذي يسر لي البحث في موضوعات القرآن الكريم.

في ختام مباحث هذه الدراسة وما تضمنت من مطالب مختلفة، وبعد هذه الرحلة الممتعة مع الآيات الكريمة، يمكن التوصل الى مجموعة من النتائج تقدمها الباحثة للباحثين والمعنيين في هذا المجال.

1- الحب صفة من صفات الذات الإلهية ولها نصيب في القرآن الكريم، وأن الله عز وجل واجب الوجود ويحب عباده المؤمنين الصالحين، وهم يحبون ربهم ولكن أين حبه تعالى وهو الذي لا حد لوصفه من حب العبد الممكن الوجود.
2- إنّ تجليات محبة العبد لله تعالى هي بالابتعاد عن العصبية والانانية والتحلي بالعفو والرحمة، فالقلب العامر بحب الخالق لا يكره الآخرين ولا يدخل في صراعات معهم.
3- لم يرد لفظ العاطفة في القرآن الكريم صراحة، إلا أنه وردت بعض المعاني الأخرى، التي تدل على مشاعر الأنسان وعواطفه، كالحب والود والكره وغيرها، أو يذكر القلب إشارة الى الجوانب الوجدانية والنفسية ، مما يظهر أن هذا المصطلح من المصطلحات الحديثة التي تضم تلك المعاني التي وردت في القرآن الكريم .
4- عرض القرآن الكريم العواطف بطرق مختلفة، وكان أبرزها وأهمها اسلوب القصص القرآني، كما في قصة يوسف (عليه السلام) أو قصة إم موسى وغيرها، إذ عرض فيها أجمل القيم العاطفية والوجدانية، والتي ترتبط ارتباطاً مباشراً بسلوك الفرد، كما طرح لنا منهجاً نافعاً يساعد الفرد على فهم عواطفه

ومشاعره، وعواطف الآخرين والوسائل النافعة في التعامل معها وضبطها وتوجيهها باتجاه صحيح بقصد العبرة والعظة .

5- تعد العواطف أبرز عناصر الشخصية الإنسانية، فهي تحدد اتجاهه وسلوكه وتلعب دوراً كبيراً وفاعلاً في حياته، ولأن الانسان يفكر من خلال زاويته العاطفية لذا تظهر آثارها في حكمه على الأمور والمواقف.

6- لاريب أن الرقي النفسي عند الإنسان يتطلب عاطفة راقية تعلو على الشهوات واللذات والغرائز، لذلك غالبا ما تكون العاطفة غير المستنيرة بالحق المبين عاطفة هابطة .

7- عمدت أساليب الغزو الفكري بالضد منهج القرآن الكريم، الى تقديم العاطفة تقديماً مجانباً للأخلاق، وسلب القيمة السامية التي عرضتها الآيات الكريمة، فقد سلط الضوء على الجانب المادي السلبي لتصبح العاطفة بلا معنى ومجرد مادة .

8- ان العواطف الطيبة بين الاخوان والأرحام من شأنها أن توحدهم وتجمع كلمتهم وتمنع عنهم الفرقة والاختلاف .

9- كل من يجافي طريق الحب الإلهي سوف يسير قهرا بحب الموبقات والفانيات.

التوصيات

في ضوء ما تقدم ترد التوصيات الآتية:

1- استثمار العواطف ومختلف الجوانب الوجدانية والنفسية والإفادة منها في اصلاح المجتمع .

2- تناول موضوع عواطف الانسان ومشاعره في دراسات قرآنية أخرى وحث الباحثين وطلبة الدراسات العليا على بحثها والإحاطة بها بصورة عميقة وشاملة؛ لأن الموضوع بحاجة الى مزيد من الاهتمام والعناية فهو في غاية الأهمية.

3- تكثيف الدراسات والبحوث التي تظهر حقيقة الإسلام الإنسانية وإظهار العواطف الإيجابية في كل مجالاته .

4- محاربة العواطف السلبية المدسوسة من قبل محاربي الإسلام وفضح مخططاتهم التي تمس القيم والمبادئ الإسلامية التي تحاكي الشباب وتسلب عقولهم بذريعة ممارسة الحرية.

5- تحديد وتقنين العواطف إذ يجب وضع حدود معينة للعواطف خصوصا التي تتحول من الإيجابية الى السلبية في حال إطلاقها.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- أحكام القرآن : لأبي العربي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي(ت543هـ)، راجعه : محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط3، 1424هـ - 2003م.
2- احياء علوم الدين : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي(ت505هـ)، دار المعرفة، بيروت – لبنان،ط2، 1963، .
3- أخلاق أهل البيت : مهدي الصدر، دار الكتاب الإسلامي، بلا طبعة، بلا تاريخ .
4- الأخلاق في القرآن: محمد تقي مصباح اليزدي ، دار التعارف، لبنان 1425هـ2004م.
5- الأخلاق في القرآن : ناصر مكارم الشيرازي، سليمان زادة، قم، ايران، ط2 1426هـ.
6- أساس البلاغة : أبو القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشري (ت538هـ) تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،1419هـ- 1998م
7- أصول علم النفس : أحمد عزت راجح، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط7، 1968م.
8- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمنشورات، بيروت،-لبنان، ط1، 1428هـ-2007م
9- الأنا والهو : سيجموند فرويد ، ترجمة : محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ط4 ، 1402، 1982 .
10- الانفعالات نموها وادارتها : راهبة عباس العادلي، دار الكتب والوثائق، بغداد –العراق، ط1، 2010م.
11- انوار التنزيل واسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي: ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، وبهامشه حاشية العلامة أبي الفضل القرشي الخطيب المشهور بالكازروني، مؤسسة شعبان، بيروت بلا طبعة، بلا تاريخ.
12- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير : أبي بكر جابر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، السعودية، ط1 1423هـ- 2002م.

13- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي(ت 1111هـ)،دار التعارف، للمطبوعات بيروت- لبنان.
14- البحر المحيط في التفسير: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي (ت754هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان طبعة جديدة، 1431هـ - 2010م.
15- البداية والنهاية : ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1407هـ.
16- تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، مطبعة الكويت ، الكويت ، ط2، 2008.
17- تاريخ الأمم والملوك : محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، بيروت، لبنان، ط2، 1387هـ.
18- تاريخ ابن خلدون (العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر): عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون(ت808هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1401هـ - 1981م
19- التبيان في تفسير القرآن : أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت460هـ)، تحقيق: أحمد حبيب العاملي، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1.
20- التجديد في تفسير القرآن المجيد : علي عبد الرزاق مرزة، المؤسسة الإسلامية للبحث والمعلومات، قم، إيران، ط1، 1428هـ.
21- التحرير والتنوير : محمد ابن عاشور(ت1393هـ)، مؤسسة التاريخ، بيروت – لبنان ، ط1، 1420هـ، - 2000م.
22- تربية الطفل في الإسلام : مظاهري، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ - 1993.
23- تحف العقول عن آل الرسول(صلى الله عليهم): أبو أحمد الحسن بن علي بن الحسن بن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم – إيران، ط2، 1362هـ.
24- التحقيق في كلمات القرآن : حسن المصطفوي، مركز نشر آثار المصطفوي، طهران،1430هـ، 2009 م، ط1، 1416هـ.
25- تشكيل عقلية اسلامية معاصرة : عبد الكريم بكار، دار الاعلام، عمان، ط3، 1432هـ - 2011م.
26- التعريفات : علي بن محمد الجرجاني(ت816هـ)،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، بلا طبعة .
27- التفسير الأثري الجامع : محمد هادي معرفة، مطبعة ستاره، قم، إيران، ط1، 1387هـ- 2008م.

28- تفسير الأصفى: محمد محسن الفيض الكاشاني (ت1091هـ)، مركز العلوم والثقافة الإسلامية ، قم، إيران، بلا طبعة، 1429هـ.
29- تفسير البغوي معالم التنزيل: الحسن بن مسعود البغوي، دار طيبة، بيروت، بلا طبعة، 2007م.
30- تفسير تسنيم : عبد الله الجوادي الآملي الطبري، تحقيق: عبد المنعم الخاقاني، دار الاسراء للنشر، ط2، 2011م.
31- تفسير الثعالبي المسمى الجواهر الحسان في تفسير القرآن : عبد الرحمن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي (ت 875هـ)، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط1 1418هـ - 1997م.
32- تفسير الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة: يوسف بن أحمد بن عثمان الشهير بالفقيه يوسف، مكتبة التراث الإسلامي، صعدة، اليمن، ط1، 1423هـ- 2002م.
33- تفسير الجلالين : محمد بن أحمد بن محمد المحلي وجلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تصنيف : محمد عبد الوهاب التميمي ، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، السعودية، بلا طبعة، 1419هـ - 1998م.
34- تفسير جوامع الجامع: أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي(من اعلام القرن السادس الهجري)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم، ط1، 1421هـ.
35- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم : أبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي (375هـ)، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ -2006م.
36- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت310هـ)، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، دارهجر، القاهرة، ط1، 1422هـ - 2001م.
37- تفسير العياشي : محمد بن مسعود بن عياش العياشي (من اعلام القرن الثالث الهجري)، تصحيح: هاشم المحلاتي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، بلا طبعة، بلا تاريخ.
38- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي(ت 776هـ)، دار ابن حزم، بلا طبعة، 1420هـ _2000م.

39- تفسير القمي : أبو الحسن علي بن ابراهيم القمي(من اعلام قرني 3-4هـ)، صححه وعلق عليه: طيب الموسوي الجزائري، مكتبة الهدى، النجف، بلا طبعة ، بلا تاريخ.
40- التفسير الكاشف : محمد جواد مغنية، دار الأنوار، بيروت- لبنان، ط4، بلا تاريخ .
41- التفسير المبين : محمد جواد مغنية، مؤسسة عز الدين، بيروت، لبنان، طبعة ثانية منقحة ومزيدة، 1403هـ- 1983م.
42- تفسير المراغي : أحمد بن مصطفى المراغي(ت1371هـ)، مطبعة مصطفى البلابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1365هـ _ 1946م.
43- تفسير مقتنيات الدرر : مير علي الحائري الطهراني، تحقيق: محمد تقي الهاشمي، دار الكتاب الإسلامي، ط1، 1433هـ - 2012م.
44- تفسير من وحي القرآن :محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت – لبنان، ط2، 1419هـ - 1998م.
45- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط10، 1430هـ - 2009م.
46- تفسير النور: محسن قراءتي، دار المؤرخ العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1435هـ - 2014م.
47- التفسير الوسيط : وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م.
48- تقريب القرآن الى الأذهان : محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم، بيروت، ط1، 1424هـ- 2003م.
49- تنزيه الأنبياء: أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي المعروف بالشريف المرتضى(ت436هـ)، دار الأضواء، ط2، 1989م.
50- تهذيب اللغة : محمد بن أحمد الأزهري الهروي(ت370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1.
51- التوحيد : أبي جعفر بن علي بن بابويه القمي الصدوق(ت 381هـ)، تحقيق: هاشم الحسيني الطهراني، جماعة المدرسين، قم – ايران، بلا طبعة.
52- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت1376هـ)، قدم له : عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل ، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ- 1999م.
53- الجامع الصغير في احاديث النذير البشير: جلال الدين بن أبي بكر السيوطي(ت911هـ)، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط2، 1425 – 2004م.

54- الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي): أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(ت671هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بلا طبعة 1405هـ - 1985م.
55- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام : محمد حسن النجفي ،تحقيق: عباس القوجاني، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط7، 1981م.
56- الجوهر الثمين في تفسير القرآن الكريم : عبد الله شبر، مراجعة وتعليق: اسامة الساعدي، ذوي القربى، قم، إيران، ط1، 1431هـ.
57- الحب في القرآن الكريم : محمود بن الشريف، دار ومكتبة الهلال، 1983م.
58- حكمة القرآن في سورة لقمان: محمد النمر الصائغ الموسوي، دار الولاء، بيروت – لبنان، ط1، 1432هـ - 2011م.
59- دراسات في علم النفس : محمود البستاني، دار البلاغة، ط4، 2010م.
60- الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص : عبد الكريم العثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1401هـ - 1981.
61- دروس من القرآن : محسن قراءتي، ترجمة: لجنة مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط1، 1404هـ.
62- دعائم الإسلام : القاضي النعماني المغربي، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ط2، بلا تاريخ.
63- الدعوة الى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية : سير توماس ارنولد، ترجمة: حسين ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1971م.
64- الذكاء العاطفي :جون جريفر، ترجمة: مهى قرعان، مكتبة جرير، الرياض، ط1، 2017م.
65- الذكاء العاطفي : دانييل جولمان، ترجمة : ليلى الجبالي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،1998.
66- رسالتنا : محمد باقر الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصيصية للشهيد الصدر، قم، ط4، 1429هـ.
67- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود البغدادي الآلوسي (1270هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، بلا طبعة.
68- زبدة التفاسير: فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشاني (ت998هـ)، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، إيران،ط1، 1433هـ.
69- سكيولوجية الدافعية والانفعالات : محمد بني يونس، دار المسيرة، القاهرة، ط1،2009 م.

70- سلوة الحزين المعروف بالدعوات : قطب الدين الراوندي (ت 573)، مدرسة الإمام المهدي(عليه السلام)، قم، إيران،بلا طبعة، بلا تاريخ .
71- الشاب بين العقل والعاطفة : محمد تقي فلسفي، تعريب: نور الدين مير زادة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، بلا طبعة.
72- شرح دعاء أبي حمزة الثمالي : علي الأحمدي الميانجي، تحقيق: مهدي هوشمند، دار الحديث، ط1، 1388هـ، 1/ 122.
73- الصحاح : اسماعيل بن حماد الجوهري(ت393هـ)، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط4، 1407هـ.
74- الصحيفة السجادية : الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، تقديم : محمد باقر الصدر، المحبين للطباعة، ط1، 1427هـ - 2006م.
75- صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1417هـ - 1997.
76- الطبقات الكبرى : محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد ، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1، 1410هـ، - 1990م.
77- الطفل بين الوراثة والتربية : محمد تقي فلسفي، تعريب : فاضل الحسيني الميلاني، بلا طبعة، بلا تاريخ.
78- عاشوراء قراءة في المفاهيم وأساليب الإحياء : حسين أحمد الخشن، مؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر(دار الملاك)، ط1، 2010م.
79- العاطفة كالماء : جاسم حسين المشرف، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط1، 2012.
80- العقل والقلب : مركز نون للتأليف والترجمة، جمعية المعارف الإسلامية، ط2، 2007.
81- عقود المرجان في تفسير القرآن : نعمة الله الجزائري (ت 1112هـ)، تحقيق: مؤسسة شمس الضحى الثقافية، احياء الكتب الإسلامية، قم، إيران، بلا طبعة 1388هـ.
82- العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام): جعفر السبحاني، بقلم : جعفر الهادي، مؤسسة الصادق عليه السلام، قم، ط1 1416هـ -1998.
83- علم النفس التربوي، عبد المجيد منصور، مكتبة العكيان، الطبعة الاخيرة 2003م.
84- علم النفس العام: خليل ميخائيل معوض، مركز الاسكندرية للكتاب ، مصر ط2، 2000.

85- علم النفس الإكلينكي : محمد جاسم محمد، مكتبة دار الثقافة للنشر ، عمان ط1، 2004.
86- العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري(ت170هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ- 2003م.
87- عيون أخبار الرضا: ابي جعفر بن علي بن بابويه القمي الصدوق(ت381هـ)، تحقيق: حسن الأعلمي، منشورات القرى، ط1، 1427هـ.
88- غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الآمدي التميمي ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت /لبنان ، ط1، 1422هـ، 2002م،الحكمة 5528، 205.
89- الغزو الفكري والتيارات المعادية للاسلام : علي عبد الحميد محمود جامعة الإمام محمد بن سعود ، المملكة العربية السعودية 1981م.
90- الفروق اللغوية : أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن يحيى بن مهران العسكري(ت395هـ)، تحقيق: محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة – مصر، بلا طبعة.
91- فلاح السائل : علي بن موسى ابن طاووس(ت1193هـ)، المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف، 1965هـ.
92- في ظلال القرآن : سيد قطب، دار الشرق، القاهرة، ط9، 1400هـ - 1980م.
93- في ظلال نهج البلاغة : محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط3، 1979.
94- القاموس المحيط : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط8، 1426هـ - 2005م.
95- القصة في القرآن الكريم الخصائص والدلالات : إبراهيم الصعبي.
96- الكافي : محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني(ت 329هـ)، تحقيق: قسم احياء التراث، قم، ط2، 1388هـ.
97- كتاب الصافي في تفسير القرآن: محمد محسن الفيض الكاشاني، تحقيق: محسن الحسيني الأميني ، دار الكتب الإسلامية، طهران – ايران، ط1، 1419هـ
98- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، دار احياء التراث العربي، ط1، 1421هـ - 2001م.
99- كنز الدقائق وبحر الغرائب : محمد المشهدي القمي، تحقيق: آقا مجتبى العراقي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط1، 1407هـ.

100- لسان العرب : محمد بن مكرم بن علي الأنصاري(ت711هـ) ،دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان ط1، 1408هـ.
101- مبادئ علم النفس : محمد بني يونس، دار الشروق، عمان – الأردن،ط2، 2004 .
102- مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي (ت1085هـ)، تحقيق: أحمد الحسيني، مكتب النشر للثقافة الإسلامية، قم، إيران، 1408هـ.
103- مجمع البيان في تفسير القرآن: أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548هـ)، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط2، 1425هـ.
104- محبة الله : محمد تقي مصباح اليزدي، بلا طبعة، بلا تاريخ.
105- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت546هـ)، تحقيق وتعليق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم ومحمد الشافعي ، ط1، 1402هـ - 1982م.
106- المختصر المفيد في تفسير القرآن المجيد: محمد علي التسخيري ومحمد سعيد النعماني بلا طبعة، بلا تاريخ.
107- المدخل الى علم النفس الحديث : ركس نايت ومرجريت نايت، دار الفارس عمان، ط2، 1993.
108- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي (ت1320هـ)، مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، قم، ط1، 1408هـ.
109- مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: أبي الفضل علي بن الحسن الطبرسي تحقيق: مهدي هوشمند، دار الحديث، ط1، 1418هـ.
110- مصباح المتهجد : أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت 460هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان، ط1، 1411هـ - 1991م.
111- المصباح المنير: أحمد بن محمد الفيومي، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1998م.
112- معاني الاخبار : ابي جعفر بن علي بن بابويه القمي الصدوق(ت381هـ)، تحقيق : علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، طهران، ط1، 1379هـ.
113- المعجم الأدبي : جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط2، 1984م.
114- معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم: محمد محمد داوود، دار غريب، القاهرة، 2008م.
115- المعجم الفلسفي: جميل صديقه، دار الكتاب اللبناني، القاهرة،1982.
116- معجم اللغة العربية المعاصرة : أحمد مختار عبد الحميد، عالم الكتب، ط1،1429هـ.

117- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ - 1999م.
118- معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، 1404هـ.
119- المعجم الموسوعي في علم النفس : نوربير سلامي، ترجمة : وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق -سوريا، 2001م.
120- المعجم الوسيط : (مصطفى إبراهيم وآخرون) مجمع اللغة العربية بالقاهرة بلا طبعة ، مصر، بلا تاريخ.
121- معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة : سميح عاطف الزين، دار الكتاب المصري، القاهرة،ط1، 1991م.
122- مفاتيح الجنان : عباس القمي، تحقيق: علي آل كوثر، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، بلا طبعة، بلا تاريخ.
123- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الرازي(ت606هـ)، دار الفكر، ط1، 1401هـ -1981م
124- مفاهيم القرآن: جعفر السبحاني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
125- مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الاصفهاني، تحقيق : صفوان عدنان داوودي، مطبعة النور، قم، ط2، 1337هـ.
126- المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، قدم له: وائل أحمد عبد الرحمن المكتبة الوقفية، مصر، بلا طبعة، بلا تاريخ.
127- مقامات القلب : محمد محسن الفيض الكاشاني، ذوي القربى، قم – ايران، ط1،1426هـ.
128- من لا يحضره الفقيه : أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق(381هـ)،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.
129- من هُدى القرآن : محمد تقي المدرسي، دار القارئ، بيروت، ط2، 1429هـ - 2008م.
130- مناقب آل أبي طالب : أبي جعفر محمد بن علي بن شهر اشوب، المطبعة الحيدرية، النجف، 1376هـ - 1956م.
131- المنهج الإسلامي في التعايش السلمي مع غير المسلمين : غازي سعيد سليمان ، مطبعة هيئة إدارة واستثمار الوقف السني بغداد ، 2009 .
132- مواهب الرحمن في تفسير القرآن: عبد الأعلى الموسوي السبزواري، نكين، قم – ايران،ط3، 1431هـ - 2010م.

133- الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي (ت 1402هـ)، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، 1417هـ - 1997هـ.
134- ميزان الحكمة : محمد الري شهري، دار الحديث، قم – ايران، ط1، 1422هـ.
135- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: محمد عبد الله دراز، دار الغد الجديد، القاهرة – مصر، ط1، 1438هـ - 2017م.
136- نفحات القرآن : ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة سليمان زادة، قم – ايران، ط1، 1426هـ.
137- النفس في دائرة الفكر الإسلامي: حقيقتها ودافعها انفعالاتها-عواطفها : أحمد القبانجي، دار المحجة البيضاء 2001م.
138- نهج البلاغة : الشريف الرضي، شرح: محمد عبده، منشورات الفجر، بيروت – لبنان، ط1، 1429هـ - 2008م.
139- نور الثقلين : عبد علي الحويزي(ت 1112هـ)، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة اسماعليان، قم – ايران، ط4، 1412هـ.
140- الواضح في التفسير : عباس علي الموسوي ، مركز الغدير، بيروت، لبنان ط1، 1433هـ،-2012م
141- وجهتي في الحياة : عبد الكريم بكار، مكتبة مركز الراية، الرياض، ط1 1428هـ - 2007م.
142- وسائل الشيعة الى تحصيل علوم مسائل الشريعة : الحر محمد بن الحسن العاملي، مؤسسة آل البيت ((عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، ط2، 1411.
143- اليتيم في القرآن والسنة: عز الدين بحر العلوم، دار الزهراء، بيروت لبنان،ط1، 1432هـ،2011 م.

المجلات

144- الأزهر : مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، القاهرة – مصر، المجلد 20، العدد الرابع.
145- مجلة الاستاذ : المجلد الرابع عشر، العدد الأول، العواطف تكوينها وخصائصها النفسية، أحمد حسن الرحيم.

البحوث والدراسات

146- الأسس المعرفية المعجمية العربية، قراءة في ضوء اللسانيات المعاصرة: لواء عبد الحسن اطروحة دكتوراه، كلية التربية – جامعة كربلاء، 2014.

147- الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم : إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى ، رسالة ماجستير، جامعة النجاح ، فلسطين، 2009.
148- الذكاء العاطفي في القرآن الكريم دراسة موضوعية : يسرى أبراهيم الرفاعي أبو الحسن ، رسالة ماجستير، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا، كولالمبور، 2013.
149- تعريف المنظومة والقضية والمشكلة : عائشة الفقيه ، بحث منشور، جامعة أم القرى، السعودية shsh2330.blogspot.com
150- العناية باليتيم في ضوء القرآن الكريم، فريدة محمد أحمد الغامدي، كلية الدعوة واصول الدين، جامعة إم القرى.
151- Strongman the psychology of emotion (2003) 5thed wile @ sonaltd.
152- human Ethan beh(2008):never lose controi again list of emotions<improvement mentor.com>seif
153- jonmarshall reeve understanding motivation and emotion
154- Randolph r Cornelius the science of emotion

Abstract

Conclusion Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and praye rs and peace be upon all the prophets and messengers, especially our Prophet and Prophet Muhammad and his pure family and those who followed his path and guided him until the Day of Judgment.

The emotion is a human instinct deposited by God in the heart of man, as he created him from a fist of clay, and breathed into it from his soul, and made him a mind and emotion, and revealed to him a law that directs emotion and governs the mind, and that man in fact a set of emotions, but it is the distinctive part of him, and the most visible and most present features of his personality, it has a severe and profound impact on the self, and the rest of the other moral aspects of his behavior.

The researcher's thesis, entitled (The Emotional System in the Noble Qur'an - An Analytical Study-) consisted of an introduction And four chapters as follows: The first chapter was an introductory talk about the objective rooting of the vocabulary of the title and included three topics (definition of the system and emotion language and idiomatically, the relationship of emotion with the emotional mind, types of emotions and the system of heart love).

The second chapter included the study of sacred emotion in the Holy Qur'an and was in three demands (the love of God Almighty for the slave, the love of the slave to God Almighty, and the love of the slave for the Prophet (peace be upon him) and the people of...

Conclusion

Praise be to Allah, by whose grace good deeds are done, prayers and peace be upon His Prophet who supports miracles and on His good and guiding God who facilitated my research on the topics of the Holy Qur'an .

At the end of the investigations of this study and the various demands it contained, and after this enjoyable journey with the noble verses, a set of results can be reached provided by the researcher to researchers and those concerned in this field.

1- The word emotion is not mentioned in the Holy Qur'an explicitly, but there are some other meanings, which indicate human feelings and emotions, such as love, friendliness, hatred, etc., or the heart is mentioned in reference to the emotional and psychological aspects.

2-The Holy Qur'an presented emotions in different ways, the most prominent and most important of which was the style of Quranic stories, as in the story of Yusuf (or the story of Em Musa and others), as it presented the most beautiful emotional and emotional values, which are directly related to the behavior of the individual, and he also presented to us a useful approach that helps the individual to understand his emotions and feelings, and the emotions of others and the beneficial means of dealing with them, controlling and directing them in a correct direction

3- Emotions are the most prominent elements of the human . personality, as they determine his direction and behavior and

play a major and active role in his life, and because a person thinks through his emotional angle, so its effects appear in his judgment of things and situations.

4- There is no doubt that the psychological sophistication of man requires a refined emotion that transcends desires, pleasures and instincts, so the emotion that is not enlightened by the truth is often a downward emotion. One of the methods of intellectual invasion against the approach

5- of the Holy Qur'an, the presentation of emotion is a marginal presentation of morals and the deprivation of the sublime value offered by the noble verses, as this invasion deliberately highlighted the negative material side so that emotion becomes meaningless and just material.

6- Love is a characteristic of the divine self and has a share in the Holy Qur'an, and that the Almighty is the duty of existence and loves his righteous faithful servants, and they love their Lord, but where is his love Almighty, which is limitless to describe the love of the slave who can exist

7- The good emotions between the brothers and the wombs would unite them, unite their word and prevent them from division and difference.

8- Whoever goes beyond the path of divine love will walk compulsively with the love of mortalities and mortalities.

9- The manifestations of the slave's love for God Almighty lare to stay away from nervousness and selfishness and to show forgiveness and mercy, as the heart full of love for the Creator does not hate others and does not enter into conflicts with the

Republic of Iraq

University of Kerbala / College of Islamic Sciences

Department of Quranic Studies and Jurisprudence

The emotional system in the Holy Quran

(an explanatory study)

A thesis submitted to the Council of the College of Islamic Sciences / University of Kerbala and is part of the requirements for obtaining a doctorate degree in Sharia and Islamic sciences

Written by student

Shaima Thabet Nasser

Supervision of

Prof. Dr. Sobhi Al-Adly

1444 2023

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جمهورية العراق
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
قسم الدراسات القرآنية والفقه

المنظومة العاطفية في القرآن الكريم - دراسة تحليلية-

أطروحة مقدمة الى مجلس كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة في الشريعة والعلوم الإسلامية

كتبت من قبل الطالبة

شيماء ثابت ناصر

بإشراف

الاستاذ الدكتور صبحي العادلي

1444هـ 2023

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

صدق الله العلي العظيم

(سورة المائدة /54)